



جامعة الجزائر 2
أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ



الشعانة في مواجهة الاحتلال الفرنسي في الفترة ما بين (1852-1900م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د في التاريخ المعاصر

إشراف:

أ-د. دليوح عبد الحميد

إعداد الطالبة:

- صورية دين

أعضاء لجنة المناقشة

العضو	مؤسسة الانتساب	الصفة
أ-د. قدور محمد	جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله	رئيسا
أ-د. دليوح عبد الحميد	جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله	مقرراً
د. علاوي فضيلة	جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله	عضوا
د. بيتور علال	جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله	عضوا
د. مقيدش علجية	جامعة الجلفة - زيان عاشور	عضوا
أ-د. قن محمد	جامعة الجلفة - زيان عاشور	عضوا

الموسم الجامعي: 1444-1445هـ / 2023-2024م



جامعة الجزائر 2
أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ



الشعانية في مواجهة الاحتلال الفرنسي في الفترة ما بين (1852-1900م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د في التاريخ المعاصر

إشراف:

أ-د. دليوح عبد الحميد

إعداد الطالبة:

- صورية دين

أعضاء لجنة المناقشة

العضو	مؤسسة الانتساب	الصفة
أ-د. قدور محمد	جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله	رئيسا
أ-د. دليوح عبد الحميد	جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله	مقرراً
د. علاوي فضيلة	جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله	عضوا
د. بيتور علال	جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله	عضوا
د. مقيدش علجية	جامعة الجلفة - زيان عاشور	عضوا
أ-د. قن محمد	جامعة الجلفة - زيان عاشور	عضوا

الموسم الجامعي: 1444-1445هـ / 2023-2024م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ

مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا]

صدق الله العظيم

[الأحزاب: 23]

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على أداء هذا

الواجب ووفقني في إتمام هذا العمل.

أتوجه بجزيل الشكر والامتنان

إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل

وفي تذليل ما واجهته من صعوبات وأخص بالذكر البروفيسور المشرف: "دليوح عبد الحميد"

الذي لم يخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيّمة

والتي لطالما كان عوناً لي في هذا البحث.

كما أشكر كل من الأساتذة: سعيود إبراهيم، بوساليم صالح، مختار شنيّة، أبو بكر محمد

السعيد، جعفري أحمد، ملاخ عبد الجليل

والشكر موصول إلى لجنة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة: البرفيسور قدور محمد

، البروفيسور قن محمد، الدكتور بيتور علال، الدكتورة علاوي فضيلة، الدكتورة

مقيدش عرجية

إهداء

إلى النبوعين اللّذين لا يملّان العطاء إلى من حاك سعادتي

بخيوط منسوجة من قلبهما إلى والداي العزيزين أطل الله في عمرهما

إلى زوجي وإلى قرّة عيني أبنائي. هيثم، ملاك وقطر الندى

إلى إخوتي وأخواتي

إلى كافة صديقاتي وزملائي.

إلى من علّمونا حروفاً من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجل العبرات في

العلم.

إلى من صاغوا لنا علمهم حروفاً ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح

إلى أساتذتنا الكرام.

إلى كل من ساعدني من بعيد أو قريب أهدي هذا العمل.

صورة

قائمة المختصرات

1-باللغة العربية:

تر: ترجمة.

تح : تحقيق

تع : تعليق

تعرب: تعريب

ع: العدد

ط: الطبعة

ج: الجزء

د.ت.ن: دون تاريخ النشر

د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

ص: الصفحة

ص ص: صفحات متتالية

مج : مجلد

مخ : مخطوط

م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب

م.و.ن.ت. المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع

2-باللغة الأجنبية :

A. E. S. C: Annales, Économies, Sociétés, Civilisations.

A. O: Archives de la willaya d'Ouargla

A.N.E.P: Agence Nationale d'Édition et de Publication.

ANOM: Archives Nationales d'Outre Mers

B.L.S: Bulletin de Liaison Saharienne

B.M.S.A.P: Bulletins et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris

Bul. Soc. Géo. Est : Bulletin De La Société De Géographie De L'est

CCDS: Centre Culturelle et de Documentation Saharienne

Cie: Compagnie.

CNRS: Centre National de la Recherche Scientifique.

f: feuille.

F: Fond Ministériel

ff: feuilles successives

Fscl: Fascicule

GGA: Gouvernement General d'Alger

Introd.: Introduction.

IBID : Ibidem (même référence).

Manus.: Manuscrite.

Mgr: Monseigneur

MI: Ministère de l'Intérieur.

MMSH: Maison Méditerranéenne des Sciences et de l'Homme.

N: Numéro.

OP .CIT : Opère Citato (référence précédemment citée.

p: page.

pp : pages successives.

Pub: Publication.

R.A: Revue Africaine.

R.O.M.M: Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée.

S: Série

S.D : Sans Date

T: Tome.

Trad: Traduction.

UNESCO: United Nations Educational Scientific and Cultural Organization

V: Volume.

مقدمة

مقدمة

إنّ المتأمل لتاريخ الشعوب التي عانت ويلات الاستعمار بشتى أنواعه ،وكيفية نضالهم في أخذ حريتهم وفرض وجودهم لحري به أن يقف على تلك المقاومات التي تركت المستعمر يتخبط في كيفية دحرها وإيقافها .

وما مقاومة الشعانبة للمستعمر الفرنسي ببعيد ،إذ شكلت قبائل الشعانبة اللبنة الأساسية في مساندتها للمقاومات التي ظهرت في جنوب الصحراء ،حيث ساهمت في تفعيل الأنشطة الإقتصادية والإجتماعية والتي أثرت فيما بعد على مسار الأوضاع السياسية بعد دخول الاستعمار الفرنسي واحتلاله للصحراء .

كل هذا أدى إلى ظهور مقاومات شاركت فيها جل القبائل في الصحراء الجزائرية ،ومن بين هذه القبائل قبائل الشعانبة التي ساهم أفرادها في التصدي للمستعمر الفرنسي ومنع توسعه في الصحراء الجزائرية ،هذه المساهمة شكلت بالنسبة للمستعمر الفرنسي عائقا كبيرا ،فأرسلت إليه العديد من المستكشفين والجواسيس للتعرف على التفاصيل الدقيقة عن الشعانبة ومدينتهم ،غايتهم في ذلك إعطاء لمحة عن المدينة قصد تسهيل السيطرة عليهم .

لقد قام الشعانبة بمقاومة ثورية ضد الاحتلال الفرنسي الغاشم التي كان لها صدى في المنطقة وما جاورها من القبائل الأخرى ،مما دفع بالاستعمار الفرنسي لفرض حصار على مقدرات القبيلة من الناحية الاقتصادية ،والتدخل في الشؤون الاجتماعية والثقافية ،وذلك لخنق المقاومة وفرض حصار عليها ،لكن الشعانبة تصدوا للمستعمر الفرنسي بكل قوة وصمود ،وصده في الفترة الممتدة ما بين 1852-1900 ؛قاصدين عرقلة تقدم الاحتلال الفرنسي للتوغل في أعماق الصحراء الجزائرية لمدة تقارب نصف قرن من الزمان .

ورغم هذا الرصيد النضالي الكبير لأبناء الشعانبة إلا أنها لم تحظ بالقدر الكافي الذي لا يبخسها حقها بدراسة مستقلة تبرز مظاهر مقاومة سكانها للإستعمار الفرنسي ولهذا فقد أردت

أن أتقدم بهذه الدراسة الموسومة بـ: الشعانبة في مواجهة الاحتلال الفرنسي في الفترة ما بين 1852-1900.

- دوافع اختياري للموضوع

يعتبر البحث في التاريخ المحلي من المجالات التي تستهويني الدراسة فيه، ومدينة متليلي -باعتبارها المنطقة التي ترعرعت فيها - من المناطق التي تحتاج لمزيد من الدراسة الأكاديمية لوضع تاريخها داخل إطار أكاديمي يسمح للأجيال المقبلة الاطلاع عليها والتعرف على حثياتها.

وهناك مجموعة من الأسباب والدوافع التي جعلتني اقتنع بضرورة الخوض في هذا الموضوع ولعل أهمها:

- أن اختياري لموضوع الشعابنة في مواجهة الاحتلال الفرنسي ما بين 1852-1900 يأتي في إطار اهتمامي بتاريخ المنطقة ورغبتي بإثراء هذه الدراسة.
- الرغبة في معرفة الدور الذي لعبته قبائل الشعابنة في مقاومة الاحتلال الفرنسي بداية دخوله للصحراء الجزائرية والتعرف على مدى علاقتهم مع قادة المقاومة في الجنوب الجزائري.
- رغبتي في المساهمة في كتابة تاريخ المنطقة خاصة أحداث المقاومات الشعبية التي تميزت بها مدينة متليلي والتي لا بد من تسليط الضوء عليها وإبراز هذه المساهمة بثبوتها وترسيخها لإزالة غبار الزمان عنها، ولا تذهب في طيات النسيان.

-أهمية وأهداف الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها حاولت لإمطاة اللثام عن الكثير من الأحداث التاريخية التي شهدتها الجنوب الجزائري بصفة عامة ومدينة متليلي الشعابنة بصفة خاصة، في مسعى لمحاولة صد الاستعمار الفرنسي في التوغل داخل الأراضي الجزائرية، وتأتي استكمالاً لبعض الدراسات التي تناولت جوانب أخرى من تاريخ الصحراء، وبالتالي يمكن المساهمة ولو بالقليل في استكمال كتابة تاريخنا المحلي بالخصوص وتصفيته من شوائب الاستعمار ومنه تهدف هذه الدراسة إلى:

- المساهمة في كتابة تاريخ الصحراء الجزائرية بشكل خاص والتاريخ الوطني بشكل عام.
- البحث عن المصادر التي اهتمت بتدوين تاريخ الصحراء الجزائرية وبالأخص المقاومات الشعبية، سواء كانت وطنية أو أجنبية، ووضعها في متناول المهتمين بالدراسات التاريخية للمنطقة.
- إبراز مدى مساهمة الشعابنة في المقاومات الشعبية ومدى تضامنهم مع الكثير من الزعماء عندما يتعلق الأمر بتهديد خارجي.

-الإطار الزمني والمكاني للدراسة

- من خلال مقدمة الموضوع يتضح جليا أن فترة موضوع البحث من بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين زمنيا ومكانيا لمدينة متليلي الشعبانية .
- فالمعلم الزمني الأول يمثل سنة 1852 م شهدت فيه اندلاع مقاومة الشريف محمد بن عبد الله وانضمام شعبانية متليلي له في نفس السنة .
 - أما المعلم الزمني 1900 فهو يمثل نهاية مقاومة الشيخ بوعمامة بالمغرب وعودت الشعبانية المناصرين له لوطنهم .
 - أما الإطار المكاني فهو منطقة الشعبانية والمناطق التي شارك فيها الشعبانية لنصرة قادة المقاومة بالجنوب الجزائري .

الاشكالية :

بعد اختيار موضوع الدراسة وجمع جزء من المادة العلمية وبداية الاطلاع والتعمق في تفاصيل البحث ظهرت لي الكثير من التساؤلات والاشكاليات التي وجب البحث فيها للحصول على إجابات مقنعة تفك الكثير من العقد التاريخية ،ولعل الاشكالية الرئيسية المطروحة تتمثل في :

ما مدى مساهمة الشعبانية في مواجهة الاحتلال الفرنسي من 1852 -1900؟ ومنه تفرعت الكثير من التساؤلات أهمها:

- الاشكال الفرعي الاول :من هم الشعبانية ؟وماهي تركيبتهم السكانية ؟.
- الاشكال الفرعي الثاني :كيف تم احتلال مدينة متليلي ؟وماهو رد فعل الشعبانية ؟
- الاشكال الفرع الثالث : ما مدى مساهمة الشعبانية في مقاومتي الشريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة ؟
- الاشكال الفرعي الرابع :ماهو دور الشعبانية في ثورة أولاد سيدي الشيخ ؟
- الاشكال الفرعي الخامس :إلى أي مدى ساهم الشعبانية في مقاومة الشيخ بوعمامة وكيف كانت نهايتهم ؟

-الخطة المعتمدة في الدراسة

ولدراسة موضوعي هذا فقد قسمته إلى خمسة فصول:

فالفصل الأول عنوانته بالشعبانية خلال القرن 19م تطرقت فيه إلى التركيبة السكانية والجغرافية للشعبانية بالإضافة إلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية .

أما الفصل الثاني فكان بعنوان المخططات الفرنسية للتوسع في المنطقة وصولاً إلى الاحتلال الفرنسي لمنطقة

الشعانية

بينما خصصت الفصل الثالث لإبراز مساهمة الشعانية في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله و الشريف بوشوشة، وتحالف الشعانية وجهادهم معهم، ذكرت في الجزء الأول أهم المعارك التي خاضها الشعانية ضد المستعمر رفقة الشريف بن عبد الله وتناولت فيه أيضاً أسباب تراجع مقاومة الشعانية مع الشريف بن عبد الله أما في الجزء الثاني فتناولت فيه مقاومة الشريف بوشوشة وتطورت : إلى التعريف به وبداية حركته الثورية ثم مراحل مقاومة الشعانية معه بداية من الإعداد للجهاد وصولاً لمرحلة التراجع، كما أوضحت أهم المعارك التي قادها بوشوشة مع الشعانية .

بينما خصصت الفصل الرابع لدور الشعانية في ثورة أولاد سيدي الشيخ إذ تناولت فيه أصل أولاد سيدي الشيخ ثم أسباب مقاومتهم وتحضير الشعانية لها ومدى مساهمتهم فيها ورد فعل الاستعمار على مساهمتهم لها . أما الفصل الخامس و الأخير من هذه الدراسة فقد تناولت فيه مقاومة الشيخ بوعمامة ومساهمة الشعانية فيها، فقد تطرقت فيه لذكر أصل الشيخ بوعمامة وأسباب اندلاع ثورته والتحضير

لها وتناولت مراحل مقاومته ودور الشعانية فيها كما ذكرت أهم المساهمات التي قدمها الشعانية لثورة بوعمامة ورد فعل السلطات الاستعمارية على القبائل المساندة له وفي الأخير تطرقت إلى ذكر نهاية بوعمامة ومصير الشعانية بعده .

-المنهج المتبع في الدراسة

إن طبيعة الموضوع هي التي تجعلنا نحاول اختيار أسلوب مناسب لهذه الدراسة والتي نتمنى أن تثمر بأشياء جديدة نأخذها نخدم البحث العلمي من جهة وإضافة لبنة لتاريخ مدينة متليلي الشعانية من جهة أخرى، وعليه فقد اعتمدت خلال البحث لهذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي والوصفي الذي يعتمد على وصف الظواهر التاريخية من حيث أهميتها وتأثيرها وتحليل الأحداث وأبعاد تفاعل الصراع بين سكان المنطقة والمستعمر وتفسير التطورات واستخدام النتائج المترتبة عنها قصد الوصول إلى معرفة الدوافع الحقيقية لاحتلال منطقة الشعانية ومساهمتهم في المقاومات الشعبية للتصدي لقوات المستعمر الفرنسي .

-الدراسات السابقة :

هناك الكثير من المؤلفات التي تناولت مقاومة سكان الجنوب للاستعمار الفرنسي خلال القرن التاسع عشر إلا أننا لا نجد هذه المؤلفات تتحدث عن مقاومة الشعانة باستثناء تقرير باساجيه *passager* الموسومة بـ متليلي الشعانة دراسة تاريخية جغرافية وطبية *Metlili des Chaamba Etude historique géographique et médicale* بالإضافة إلى كتاب تروملي المعنون بـ الفرنسيون في الصحراء والذي حوى مقاومة الشعانة للاحتلال الفرنسي مع الشريف محمد بن عبد الله بينما ذكر Yves Regnier في كتابه الموسوم بـ *les Chaamba sous le régime François* تحدث فيه عن قبائل الشعانة وحياتهم ومقاومتهم للاحتلال الفرنسي

- دراسة نقدية لأهم المصادر :

في الحقيقية فقد اعتمدت في هذه الدراسة على كل ما وجدته يخدم موضوعي نظراً لقلة المصادر المحلية إن لم نقل انعدامها، وكانت الحصة الأكبر للمصادر الأجنبية هي التي وثقت لهذه الدراسة وعليه فهناك عدد لا بأس به من المصادر التي نعتبرها أساسية لا يمكن الاستغناء عنها والتي افادني كثيراً، كذلك على وثائق ومؤلفات مخطوطة وأخرى مطبوعة ومقالات منشورة وسنستعرض أهمها في فصول البحث منها:

- الوثائق الأرشيفية: والتي ساهمت في إثراء الموضوع من خلال التقارير العسكرية والمراسلات الإدارية الصادرة من القادة العسكريين، من بينها أرشيف ما وراء البحار ANOM، من خلال الوثائق المتعلقة بالموضوع الخاصة بالعلب الأرشيفية التي سنتطرق لذكرها في خضم الموضوع.

أما المصادر فنذكر منها:

- كتاب تروملي: *Les français dans le désert* الذي اعتمدت عليه في تتبع خطوات الشريف محمد بن عبد الله عند إعلان ثورته، بالإضافة إلى كتابه الموسوم بـ: *Histoire de l'insurrection des Oulad-Sidi-Echikh (sud-Algérien) de 1864 a 1880* وهو الكتاب الذي يبرز ثورة أولاد سيدي الشيخ.

- كما يعتبر كتاب: les Medaganat لصاحبه Le Chatelier مصدرا مهما أرخ لفترة ظهور الشريف بوشوشة على مسرح الأحداث.

- تقرير باساجيه Passager المرسوم بـ "متليلي الشعانة دراسة تاريخية جغرافية وطنية. Metlili des Chaamba Eude historique géographique et médicale، الذي تحدث فيه عن تاريخ منطقة متليلي الشعانة.

- بالإضافة إلى كتاب تروملي كورناي "الفرنسيون في الصحراء" Trumelet Corneille والذي يذكر فيه التوسع الاستعماري في شمال الصحراء الجزائرية، بدءا من الأغواط ثم متليلي ثم ورقلة وقد أشار فيه إلى دور شعانة متليلي في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله والحملة التي حدثت له سنة 1854.

- كما اعتمدت على توظيف بعض المراجع التي اهتمت بدراسة المقاومة الشعبية في تلك الفترة والتي لا يسعني ذكرها كلها منها: إبراهيم مياسي الذي تناول العديد من الدراسات التاريخية الخاصة بتاريخ الصحراء الجزائرية منها كتابه "الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية"، وكتابه "التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية"، بالإضافة إلى كتاب أبو القاسم سعد الله "الحركة الوطنية"، والدكتور رضوان شافو "التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية"، وكتاب عمود الوافي "ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها".

- صعوبات البحث :

- أثناء انجازي لهذا العمل اعترضتني بعض الصعوبات منها:
- نقص المادة العلمية العربية والتي أخذت من المصادر والمراجع الأجنبية الأساس الأول لها كما أن المراجع الأجنبية كانت متناقضة ولا تذكر الحقيقة كلها خاصة جانب المقاومة.
- احتكار المادة العلمية إن وجدت لدى البعض وصعوبة الحصول عليها لاحتكارها من طرف أصحابها وضياع اغلب الوثائق المحلية التي كانت تحتويها خزانة المسجد العتيق.

الفصل الأول: الشعانة خلال القرن 19م

01- التركيبة السكانية للشعانة

02- جغرافية الشعانة

03- الاوضاع الاقتصادية للشعانة

04- الاوضاع الاجتماعية للشعانة

إن دراسة أي مجتمع خاض ثورات مع المحتل لا بد من دراسة تركيبية له وأوضاعه التي كان يعيشها والتي أهلت له لكي يواجه المستعمر ويقف له بالمرصاد، حيث نجد أن الثورة تستمد قوتها من الطبيعة المكونة لذلك المجتمع دينيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، فضلا عن السياسية التي كانت منعقدة لوجود الاحتلال الفرنسي المهيمن والجاثم على كل الجوانب السياسية .

إن الحركة الثورية التي قادها المجتمع الشعاني وخاصة شعانة متليلي ضد الاحتلال الفرنسي الغاشم كان له صدى في المنطقة وما جاورها من القبائل الأخرى، مما أدى بالاستعمار الفرنسي بفرض حصار على مقدرات القبيلة من الناحية الاقتصادية والتدخل في الشؤون الاجتماعية والثقافية وذلك لخنق المقاومة وفرض الحصار عليها، لكن المجتمع الشعاني تصدى له بكل ما أوتي من قوة .

وستتطرق في هذا الفصل التعرف عن كثر لأصل الشعانة ودراسة المنطقة المتواجدين فيها كما نشير إلى الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمجتمع الشعاني وبالأخص منطقة متليلي الشعانة التي تعد النواة الأولى للشعانة.

01: التركيبة السكانية للشعانية.

أولا : أصل الشعانية .

جاء في مختلف الكتابات والروايات التاريخية حول أصل قبيلة الشعانية، حيث يرى ابن خلدون أن أصل الشعانية يعود إلى قبيلة سليم بن منصور بن عكرمة القيسية العدنانية، وهم ينحدرون من بطن علاق بن عوف بن بثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكان وفودهم على المغرب في التغريبية الشهيرة لبني هلال وبني سليم ومعدل، وذلك عندما سمح لهم المستنصر بالله الفاطمي اجتياز النيل والمرور إلى المغرب سنة 443هـ/ 1052م لمواجهة الدولة الزيدية المتمردة على الخلافة الفاطمية لهم، وذلك بقيادة رافع بن حماد رئيس فرع علاق بن عوف¹.

ويقول إسماعيل العربي "تنحدر قبيلة الشعانية من علاق، من عوف، من سليم بن منصور، من العدنانية، جاءوا إلى إفريقيا الشمالية مع الموجة الأخيرة للغزو الهلالي في أوائل القرن 14م². أما دوماس واستنادا على رواية انتقاها من الشعانية حسب قوله يعود إلى إقليم وهران، حيث يذكر ما يلي: "يقول الشعانية عن أنفسهم أنهم ينحدرون من عائلة واحدة استقرت في منطقة التل، تتكون من سبعة إخوة وإن أصلهم من إقليم وهران". حيث يضيف قائلا: "أن الأخ الأصغر في العائلة المسمى ثامر بن تولال، ونظرا لمضايقات إخوته له، بعد وفاة والدهم خرج مع زوجته وأولاده الصغار وبعض الخدم هائما نحو الجنوب، وما لبث أن لحق به شقيقه ظريف لنفس الأسباب وتاه الأخوين ومن كان معهم متنقلين بين الجبال والسهول إلى أن اهتديا إلى واد متليلي، واستقرت القافلة هناك فاستقر ثامر في الغرب وأخوه ظريف في الشرق وكبرت العائلتين وتضاعف أصحابها وأقاما مدينة حملت اسم النبع الذي استقرا به وأقاموا خيامهما حوله".³

بينما نجد لبوقولت "Baugult" رواية أخرى حيث يرد أصل الشعانية إلى سوريا بقوله "في بداية القرن 14م قدم إلى إفريقيا الشمالية عن طريق الحملة الصليبية الأخيرة فرقة من البدو الرحل السورية لأولاد مدحي، هؤلاء البدو الرحل بقوا في المنطقة الوهرانية لفترة من الزمن، واستمرت الهجرات بعدما اختل نظامهم ووصل بعضهم إلى متليلي"⁴.

¹ - عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط 1421هـ/2000م، ص 94-97

² - إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر، 1982م، ص 163

³ -Dumas Eugène : **Le Grand Désert ,Qu'itinéraire D une Caravane du Sahara au pays des Nègres**, 1848, p309

⁴ -Baugault: **Metlili Berceau de Chaamba** , Paris, 1986, p119

وتتقارب هذه الرواية مع رواية الملازم دارميناك "Lieutenant D'armagnac"، حيث يذكر: "ففي القرن الرابع عشر الميلادي، وفدت مجموعة من البدو الرحل أصلهم من قبيلة سورية لأولاد ماضي إلى شمال إفريقيا، إبان الحملة الأخيرة للدخول الهلالي، حيث مكثوا بوهراة لفترة طويلة في إطار الهجرات المتتالية"¹.

أما بيساجي فيرجع إلى أن أصولهم من اليمن قدموا هجراتهم الثانية، ويصفهم بحبهم للرعي، تركزوا في أعالي جبال لعمور ثم نزحوا إلى زاوية أولاد سيدي الشيخ، بعدها إلى قصر متليلي².

لكن رغم بعض الاختلافات حول أصل الشعانية إلا أن أغلب الكتابات التاريخية تذكر أنهم من عرب بنو سليم القيسية العدنانية، التي هاجرت إلى بلاد الجزائر في قسمين هما: ذياب بن مالك، وعوف بن بثة الذي يتفرع منه مرداس وعلاق ومن علاق حصن ومن حصن بنو علي وبنو حكيم، ومن الأخير يأتي أصل الشعانية والذي يتفرع منها كل من، أولاد صابر، نمير، جوين، زياد، مقعد، ملاعب، أحمد، نوة، مهلهل، رياح بن يحيى وحبيب³.

ثانيا : معنى كلمة الشعانية .

اختلفت الروايات حول معنى تسمية الشعانية، فالبعض يرى بأن أصل كلمة الشعانية هي تركية مركبة من كلمتين شعاع ونبا، أو شعاع وبان؛ أي شعاع ظهر وهي ترمز لخصلة كانت متأصلة في قبيلة الشعانية وهي الجود والكرم، فقد كانوا قديما يشعلون النار لكي يهتدي بها الضال ويقصدهم بها المسافر لكي يستضيف عندهم، ويرشدونه الطريق الصحيح حتى شاع بين العرب ذلك، وتداول الكلمتان تداخلت وأصبحت كلمة واحدة وهي الشعانية⁴. في حين يقول رأي ثاني حسب المصادر المنقولة شفهيًا، أن أغنام القبيلة لها قرون دائرية يطلق عليها اسم شعب وجمعها شعانب⁵.

¹-Lieutenant D'armagnac: **Le Mzab et les pays Chaamba**, Edition Braconnier 1933, p122

²-PAUL FRANCOIS MICHEL Passager: **Metlili Chaamba (Sahara Algeria)**, Center de documentation ,saharienne , sans date, p509

³أحمد توفيق مدني: كتاب الجزائر: تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها. المطبعة العربية، ط، 1931 م، ص 136-137

⁴عبد الحميد مسعود بن ولهة: أبناء الشعانية ومراحل التطور الحضاري لبلاد الشبكة سكانيا عقائديا وعمرانيا، دار الصبحي للطباعة والنشر، غارداية، الجزائر، ط1، 2014م، ص60

⁵سليمان بوغلاية: الشعانية ومساهماتهم في المقاومة الوطنية -1851-1919، دار النشر متليلي، ط1، 2007م ص14

وبعد البحث في الروايات نرى أن الرأي الراجح في ذلك هو: أن أصل تسمية الشعانية يعود إلى التركيب اللفظي لكلمتي شعاع ونبا؛ أي ظهر وبان، واعتبارا أن سكان المنطقة مشهورون بالكرم والجود إلى يومنا هذا، حيث يقول شاعرهم:

رأيت كريما خلّقه من حمى *** يزار ولو أن الديار بلاقاع
ولا مرضت نار القرى في خيامه *** بليل ولو أن الرياح زعازع
إذا صارعته الريح خلنا شعاعها *** يشير إلى الوارد والركب هاجع¹

ثالثا : تركيبة مجتمع الشعانية وتطورها .

استقرت قبيلة الشعانية بشكل نهائي بواد متليلي²، حيث يشير بيساجي إليها بقوله: "إن الشعانية استقروا بشكل نهائي بمتليلي في المنتصف الثاني من القرن 14م، وبمرور الوقت زاد عددهم وضاعت عليهم مما كان لزاما عليهم التفرق في المناطق القريبة من موطنهم الأصلي. حيث استقر شعانية البرازقة بمتليلي³، وشعانية بوروبة بورقلة⁴، بينما شعانية المواضي⁵ انتقلوا إلى المنيع⁶.

يقول بوقولت "Baugaul": في نهاية القرن 16م وبداية القرن 17م ازداد عدد الشعانية مما استدعى هجرة البعض منهم، حيث انتقل شعانية المواضي إلى المنيع، وشعانية بوروبة إلى ورقلة والذين استقروا بمتليلي

¹ -عبد الحميد مسعود بن ولهة: أبناء الشعانية ومراحل تطور الحضاري لبلاد الشبكة سكانيا وعقائديا وعمرانيا، المرجع السابق، ص33

² -متليلي: تقع مدينة متليلي في الإقليم الجنوبي وبالتحديد في ولاية غارداية والتي تبعد عنها بحوالي 42كم وعن العاصمة ب 675كم
يحدها شمالا بلدية زلفانة، العطف، ضاية بن ضحوة، شرقا ورقلة، وغربا البيض أما جنوبا بسبب، تتربع على مساحة تقدر ب 25000 كم مربع وعلى ارتفاع عن سطح البحر ب525م، وتنحصر متليلي ما بين دائرتي عرض 32و37 درجة شمالا، وما بين خطي طول 3 و14 درجة شرق، وتذكر بعض الروايات أن الشعانية عندما قدموا من الجزيرة العربية مكثوا واستقروا بناحية فزان بليبيا بمنطقة اسمها ليلي وقاموا بقصر في هذه المنطقة ولما رحل فريق من الشعانية إلى متليلي الحالية ووجدوها تشبه تماما المنطقة التي قدموا منها لاحتوائها على أرض خصبة ووادي قالوا هذه مثل ليلي ونظرا لتداول الألسن لهذه الكلمة زيدا فيها واصبحت تعرف بهذا الاسم الحالي متليلي، ينظر:

P. F. M. Passager : op.cit, p513.

، ولمزيد من التفاصيل ينظر الملحق رقم (07)، ص156

³ - أنظر الملحق رقم 01، ص، ص144، 145.

⁴ - أنظر الملحق رقم 02، ص 146.

⁵ - أنظر الملحق رقم 03، ص، ص147، 148

⁶ -Dumas Eugène : Ibid, p308

عرفوا بشعانية البرازقة هذه العائلات بسطت نفوذها على مستوى أكبر عرقين شرقيين، وكذا الصحراء المركزية من الشبكة إلى عين صالح وتوات¹.

أما ياف رونيي "Yves reginier" يقول: بأنه لضرورات الحياة كان على قبيلة الشعانية أن تتفرق، البعض اتجه نحو ورقلة بقيادة بوروبة والبعض الآخر اتجه للاستيلاء على المنيع، وهؤلاء هم شعانية المواضي، أما الذين بقوا في متليلي هم البرازقة². ويقول إسماعيل العربي: اشتد الضغط السكاني على القبيلة فأخذت بطون منها تسلك طريق الهجرة إلى أصقاع أخرى ... وكذلك هاجر بطن المواضي إلى القليعة(المنيع) في القرن 16م، واتجه بطن بوروبة شرقا إلى ورقلة، بينما هاجرت بطون أخرى عقب ثورة بوعمامة إلى المنطقة الشمالية في الصحراء³.

من خلال ما سبق يتضح فعلا أنه تمت هجرات من الشعانية متليلي إلى المناطق السابقة الذكر بدليل وجود تركز الشعانية اليوم في هذه المناطق، وهذه الهجرات ربما تعود إلى:

1- عدم اتساع الرقعة الجغرافية لمنطقة متليلي، والبحث عن مناطق جديدة رعوية وخاصة أن نشاطهم الأساسي هو الرعي .

2- أو ربما تعود هذه الهجرات إلى تطلع قبائل الشعانية للزعامة والإنفراد في الأماكن الخاصة بهم .

¹-Baugault : Op.tic ,p122

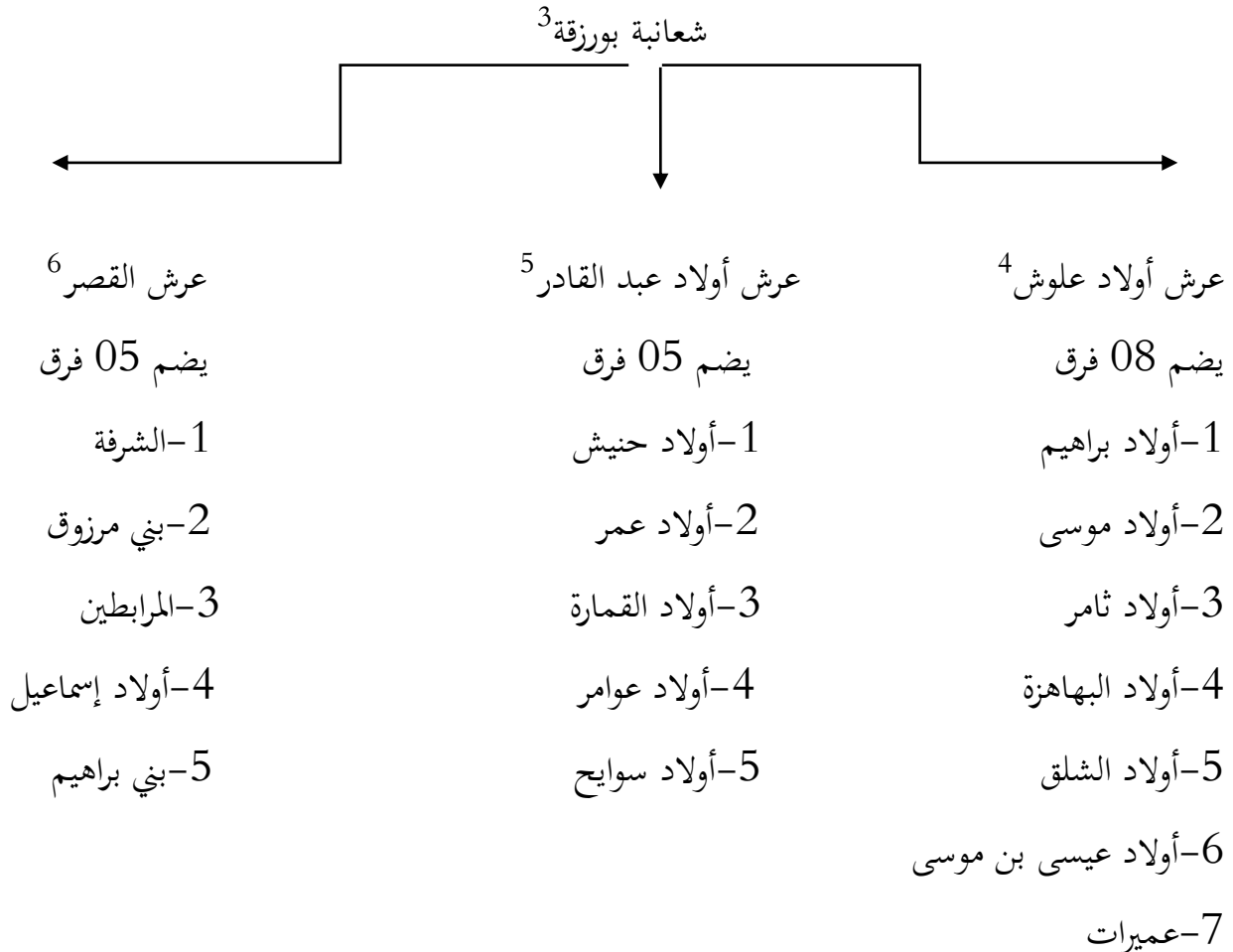
² Yves REGNIER, **Le Chaamba sous le Régime Français**, les éditions Domat Montchrestien, paris, 1933, P6.

³-إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص164.

3-1-فروعهم :

القسم الأول: شعابنة بورزقة¹ في جنوب وادي متليلي ومدينة غارداية وهم يسيطرون على منطقة شاسعة من الصحراء تمتد حتى وادي لواه ووادي زرقون غربا وجيرانهم فيها أولاد يعقوب، الدواودة من رياح الهلالية²

ويعتبر شعابنة متليلي (البرازقة) من أكبر جماعات الشعابنة عددا، وهم ينقسمون إلى ثلاث عروش كبيرة حسب التقسيم الاستعماري، وهي عرش أولاد علوش، عرش أولاد عبد القادر، عرش القصر، وهذه العروش تنقسم إلى فرق وهي كالآتي:



¹ - سمو بذلك نسبة إلى زعيمهم المشهور في الصحراء وهو بورزقة أحمد بن أحمد .

² - محمد سليمان الطيب: موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، ط2، 1998م/1418هـ، ج1، ص1009.

³ - هذا المخطط من تصميم الباحثة

⁴ - P. F. M. Passager : op.cit.P525.

⁵ - Yves Regnier . Op.cit.P07.

⁶ - P. F. M. Passager : op.cit.P526.

8-أولاد جرودة

هذا وبالإضافة إلى بعض المجموعات من الزوى (الذين ينحدرون من أسرة أولاد الشيخ الوافدون من لبيض سيدي الشيخ بولاية البيض)، وكذا الزوج وغيرهم التحقوا بهذا التجمع القبلي مع مرور الزمن .
بينما يقول إسماعيل العربي: "ينقسم الشعابنة بصفة عامة إلى صنفين أو معسكرين يسمى أحدهما (الشرافة) وهو تقدمي منفتح، والآخر (الغرابة) وهو محافظ مغلق، وأولاد علوش ينتمون إلى هذا الصنف الأول بينما أولاد عبد القادر إلى الصنف الثاني¹ .

وإليك الجداول الآتية تبين الإحصائيات السكان لكل عرش لسنة 1896م مأخوذ من الإدارة الفرنسية آنذاك² .

عدد المنازل	عدد السكان	جماعة القصر
16- منزل و 35 خيمة	459- نسمة	-المرابطين
11- منزل و 15 خيمة	349- نسمة	-الشرفة
29- منزل	302- نسمة	-بني مرزوق
27- منزل	231- نسمة	-بني مزاب
04 - منزل و 15 خيمة	84- نسمة	-أولاد اسماعيل

¹-إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 165

²-Cauneille A.: les chaambas leur Nomadisme, 1968.p39.

عرش أولاد عبد القادر والثوامر¹ :

عدد المنازل	عدد السكان	عرش أولاد عبد القادر
23 منزل و 61 خيمة	647 نسمة	-السوايح
17 منزل و 72 خيمة	398 نسمة	-أولاد حنيش
48 منزل و 71 خيمة	391 نسمة	-القمارة
25 منزل و 50 خيمة	362 نسمة	-أولاد عمر
49 منزل و 79 خيمة	352 نسمة	-العوامر
عدد المنازل	عدد السكان	عرش الثوامر(أولاد علوش)
26 منزل و 90 خيمة	550 نسمة	-الثوامر
26 منزل و 89 خيمة	423 نسمة	-أولاد براهيم
25 منزل و 93 خيمة	422 نسمة	-أولاد موسى
20 منزل و 50 خيمة	230 نسمة	-الجرودة
15 منزل و 32 خيمة	146 نسمة	-البهازة
22 منزل و 36 خيمة	180 نسمة	-أولاد عيسى بن موسى
13 منزل و 29 خيمة	143 نسمة	-الشلق
06 منزل و 25 خيمة	116 نسمة	-عميرات

¹-Cauneille :Ibid.P42.

-انتشار الشعانية خارج متليلي :

بعد ما اكتظ وادي متليلي بالسكان وهو ما أدى إلى ازدحام في أماكن الرعي، اجتمع قادة القبيلة في نهاية القرن الرابع عشر ميلادي لدراسة الأمر، وقرروا بعد التشاور إلى أن توزع بعض من فرق شعانية متليلي على المدن المجاورة، فانتقلت بعض من فرق الشعانية إلى

المنيعة¹ أو ما تسمى بالقلعة آنذاك ويطلق عليها الجغرافيون بهذا الاسم لوقوعها على هضبة تادميت، وكانت من بين الفرق التي انتقلت هم: فرقة أولاد معمر وأولاد بلقاسم، ثم لحق بهم أولاد فرج، وبعد أن استقروا قام سكان قصر المنية من الزناتيين بمحاولة طردهم من المدينة، وهو الأمر الذي أدى إلى نشوب معركة بين الجانبين تغلب فيها الشعانية وطردها كل من اعتدى عليهم من المنطقة، وبعد كل هذا توافدت على المنية فروع أخرى ليست من الشعانية وهم أولاد عائشة وأولاد سيدي الحاج وأولاد زيد.

-شعانية المنية (المواضي) :

أطلق هذا الاسم على شعانية المنية²؛ لأنهم ينحدرون من سلالة ماضي³ الذي اضطر إلى الانفصال عن قبيلته وانتسب إلى القبيلة التي وفدت بقيادة ذياب بن غانم عبر شمال إفريقيا رفقة ثامر بن توال، واستقر معهم في متليلي، حسب ما ذكر ايفروني، وبعد فترة طويلة أصبح أبناءه يشكلون جزء من القبيلة ومع تزايد أبناء الشعانية، أصبحت الأراضي والمياه غير كافية في واد متليلي فغادروا إلى المنية التي كان يقطنها سوى المئات من الزنات⁴. واختلفت الروايات حول القرن الذي هاجر فيه شعانية المواضي إلى المنية، إذ نجد أنهم هاجروا في القرن الرابع عشر بينما يذكر إسماعيل العربي أنهم هاجروا في القرن السادس عشر، وبعد استقرارهم في المنية انقسموا إلى خمسة عروش حسب إحصاء 1896م وهي:

¹-المنية: تعرف بالقلعة وهي واحدة من أجمل الواحات تقع في أقصى الجنوب الجزائري، تغني بها الشعراء بوصف طقسها الجميل ومياهها الكثيرة العذبة ومزروعاتها وبساتينها الخلابة، أما عن قصرها المعروفة به فهو مبني بحجارة ومنحوتة من بقايا رومانية وهو من أجمل القصور بالصحراء، وهي محاطة بمرتفعات وشرفات ليس بها إلا باب واحد يفتح من الجهة الغربية، ينظر: أحمد توفيق مدني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 241.

²-عبد الحميد مسعود بن ولية: أبناء الشعانية ومراحل التطور الحضاري... المرجع السابق، ص 117.

³- أنظر: الملحق رقم 04، ص 149.

⁴-Yves Régnier : op.cit .p15

- 1-المواضي :يضم فرقتين ،أولاد بلقاسم وأولاد معمر.
- 2-عرش أولاد عائشة: نسبة إلى امرأة عربية تسمى عائشة، وفدوا إلى المنيعية من الشمال الغربي للجزائر، ضم ثلاث فرق هم: أولاد محمد، أولاد الشيخ، والحنابيش .
- 3-عرش أولاد فرج: ضم فرقتين هما فرقة الدحامة، وفرقة المهادي المنتسبين إلى جدهم الأول الذي يعتبر من المستقرين الأوائل بالمنيعية بعد ما هاجر من متليلي .
- 4-عرش أولاد سيدي الحاج يحي: ضم ثلاث فرق هم، أولاد سيدي قدور بن يحي، والعاودين، وفرقة القرينات، وهم من ذرية الشريف الحاج بن يحي الذي أحضره الحاج بوحفص بن سيدي الشيخ إلى مدينة المنيعية لأجل تعليم وتأديب أبنائه .
- 5-عرش أولاد زيد: الذي ضم فرقتين هما، أولاد الحاج دحمان، وأولاد الحاج منصور المنتسبين إلى جدهم الأول زيد القادم من نواحي منطقة الزاب¹.

-شعانية ورقلة (بوروبة) :

حيث هاجروا من عاصمتهم متليلي إلى مدينة ورقلة² لتكون مقرا لهم، إذ دخلوا في لعبة الأحلاف فيها في زمن السلطان علاهم، وهم شعانية أهل زريبة الذين دخلوا في صراعات مع بني ثور³ والسلطان بني جلاب بتقرت⁴، الذي جاء لمساعدة بني ثور، وهو الأمر الذي أدى إلى نشوب معارك بين الجانبين التي لم تتوقف إلا بعد تدخل الحاج بوحفص بن سيدي الشيخ الذي عقد الصلح بينهما.

وهذا الصلح مهد لهجرة جديدة وكبيرة لشعانية متليلي نحو ورقلة قادها البطل الحربي (بوروبة) في بداية القرن السابع عشر ميلادي، ثم التحق به القائد الحربي الثاني (بوسعيد) في هجرة ثانية للشعانية⁵، وبعد هاتين الهجرتين انتسب شعانية ورقلة تحت اسم قائدها الأول بوروبة .

¹-عبد الحميد مسعود بن ولية: أبناء الشعانية ومراحل التطور الحضاري...، المرجع السابق، ص124-126.

²-من أشهر الحواضر التي ترتادها قبائل الشعانية ،ومن أول القرى التي هاجر منها بني ميزاب اثر سقوط المملكة الرستمية، سكاتها مزيج من العرب والبربر والزنوج يتوزعون داخلها على ثلاث أحياء، فحيها الشمالي يقطن به بنو سيسين، وحيها الشرقي بنو إبراهيم، وبنو واجين في الحي الغربي منها. ينظر: محمد الساسي العوامر إبراهيم: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، منشورات ثلاثة، الأبيار-الجزائر، 2007، ص35 . عبد الحميد زوزو: الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي، سدراته بمناسبة انعقاد الملتقى 11 للفكر الإسلامي، مجلة الأصالة، ع 41، ص97-99

³-Yves Régnier :op.cit .p15

⁴-من مدن الواحات الشهيرة ،تقع بين بسكرة جنوبا ووادي سوف غربا ،كانت مركزا إداريا للمنطقة العسكرية في عهد الاحتلال الفرنسي ،لها أهمية اقتصادية لوجودها قرب منابع البترول ،ينظر :محمد الساسي العوامر ،المصدر السابق ،ص35

⁵-J-Bevia :Note pour servir a l historique d Ouargla ,Revue Africain ,64 ,Ben Aknon , Alger 1923 ,p387

-فروع شعانية بوروية :

في البداية انقسم شعانية بوروية إلى عرشين وإحدى عشر فرقة عائلية، لتصبح بعد دخول القوات الفرنسية لصحراء ورقلة مكونة من ثلاثة عروش¹، وذلك حسب إحصاء 29 مارس 1896م وهم: عرش أولاد إسماعيل الذي تعود أصوله مباشرة إلى أولاد إسماعيل بمتليلي، وتضم أربعة فرق: أولاد بوروية، الشفق، أولاد بوبكر، أولاد عمر.

-شعانية وادي سوف:

يعود انتقال جزء من شعانية المنيعية من عرش أولاد فرج إلى واد سوف²، وذلك في نهاية القرن الثامن عشر بعد ما أصابهم القحط في العرق الغربي الكبير، فقد كانوا هناك فرقة لشعانية تسمى بأولاد غدير³. وفي سنة 1835م التحق بهم الشيخ عمران وهو أحد أبناء شعانية المنيعية (من عرش أولاد فرج) ومن العائلات النبيلة التي تضم أشهر زعماء الحرب⁴ اتجه نحو واد سوف بعد ما استقر رفقة عائلته بورقلة عند شعانية بوسعيد مدة من الزمن، وبعد خلاف كبير مع أحد شعانية بوسعيد أدى إلى قتل عمران المدعو (المير) الذي تعرض له في شمال ورقلة، الأمر الذي جعله لا يجرأ على الرجوع إلى قبيلة بوسعيد، لذا استقر بنواحي واد سوف رفقة زوجته وأبنائه أبو الطيب ومسعود

وأصبح قائدا للحرب بمهارته القتالية العالية وكوّن هناك فرقة أخرى لشعانية واد سوف سمية بالعمارنة⁵، وانتسبوا إلى قبيلة المصاعبة ثم انفصلوا عنها في سنة 1886م، ووفق مرسوم تنفيذي صاروا قسما مستقلا لهم قيادة خاصة بهم وجباية مستقلة، بحيث أصبح محمد بن يونس لأولاد غدير ومحمد بن الطيب بن عمران لأولاد عمران⁶. وهكذا انحصر الشعانية الذين بواد سوف في عرشين هما: العمرانية والغدايرة، ومعهم بيوت قليلة من آل عدوان مختلطون معهم⁷.

¹-Yves Régnier :op.cit.p37

²-عبارة عن واحات شاسعة مترامية الأطراف، تقع في الجنوب الشرقي، تمتد من الجريد التونسية إلى واد الشبكة وبها قرى كثيرة أهمها واد قمار، وأهل سوف من قبيلة الزناتة البربرية، نرح إليها أحد من شعانية ورقلة واستوطن فيها. ينظر: أحمد توفيق مدني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص243. ينظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 2005، ص96.

³-عبد الحميد بن ولهة: الحركة الوطنية والثورة التحريرية بناحية غرداية، دار صبحي، غرداية-الجزائر، ج1، ص35.

⁴-Yves Régnier :op.cit,p16

⁵-عبد الحميد بن ولهة: أبناء الشعانية، المرجع السابق، ص118-119.

⁶-عبد الحليم بن ولهة: المرجع نفسه، ص131.

⁷-إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، المصدر السابق، ص373.

وعليه يمكن القول أن الإحتلال الفرنسي للمناطق الصحراوية ساهم في خلق ظروف ملائمة لانتشار الشعانية وتوسعهم في مناطق الجنوب الجزائري¹.

02: جغرافية قبائل الشعانية

أولاً: الموقع الجغرافي

نظرا لتواجد الكبير للشعانية وأصولهم الأولى في مدينة متليلي، والتي تعد الحاضنة الأولى لأهم المعارك ضد المحتل الفرنسي ارتأينا أن تكون الدراسة منصبة بشكل كبير على هاته المدينة العريقة.

ومعرفتنا لموقعها يبين لنا ما مدى اختيار قبيلة الشعانية لهذا الموقع والذي كان سببا في صعوبة المحتل الفرنسي في القضاء على المقاومة بسهولة .

حيث تقع مدينة متليلي الشعانية في جنوب الجزائر وبالتحديد في الشمال الشرقي للصحراء الجزائرية² على بعد 42 كلم من مدينة غاردية، و 675 كلم من عاصمة الجزائر، تتربع على مساحة 25000 كلم مربع، وترتفع بحوالي 495م على سطح البحر. يحدها شمالاً بلدية زلفانة، العطف، بنورة، ضاية بن ضحوة، وشرقا ورقلة، وغربا البيض، أما جنوبا سبب³.

وقد اختلف وصف المؤرخين لمدينة متليلي الشعانية كالاتي:

يرى دوماس أثناء زيارته للجنوب في سنة 1845م أن: "متليلي تقع فوق ربوة تعلو واد متليلي السور المحيط بها ذو شرفات مبني بطريقة سيئة، بهذا السور ثلاث أبواب: الباب الظهراوي، باب الحارة، الباب الغربي، يحيط السور بمتليلي من كل الجهات ما عدا الجهة الشرقية إذ تمتد البساتين على نصف فرسخ كما يوجد بالمدينة مسجد العتيق وكذلك السوق ويسمى بسوق الكسوة⁴.

أما بيساجي فيقول "كان بمتليلي جدار طوله 100م بالشمال، ومن 60 إلى 80م من النواحي الأخرى، كان مفتوح على ثلاث أبواب، باب الشمال وباب الجنوب وآخر للغرب وهو صغير، يبدأ هذا الباب بأدراج تطوق القصر، وكذلك توجد بالمدينة ثلاث شوارع الأول يقع بالشمال وبه مساجد محاطة بالمنازل في وسطها نافورة عمومية، والثاني في الوسط به بعض المنازل أما الثالث فإنه يأخذنا إلى السوق"⁵.

¹ - أنظر : الملحق رقم 05، ص 150.

² - أنظر : الملحق رقم 06، ص 151.

³ - P. F. M. Passager : op.cit.p513

⁴ - Ibid. :p314

⁵ - P. F. M. Passager : op.cit .p315

بينما ذكر الأغواطي في رحلته: "ليس بمثليلي أسوار وليس فيها ماء باستثناء ما يستخرج بالطواحين، ووجه الأرض هنا ليس رمليا منبسطا بل هو عبارة عن هضاب مغطاة بصخور حادة تقطع كالكساكين، وينمو فيها النخيل وقلما ينزل فيها المطر"¹.

وعليه فإن الرأي الراجح هو أن الأسوار لم تكن في المدينة كلها وأنها انحصرت في القصر، لأنه بني بطابع عربي إسلامي تتوفر فيه الأبواب والأسوار من أجل التحصين والحماية.

أما فلكيا فتتخصر بين دائرتي عرض (17-32 درجة) شمالا وجنوبا، وخطي طول (3-41 درجة) شرقا وغربا، تحدها شمالا الأغواط وغارداية، وجنوبا المنيعية وشرقا بريزينة والبيض، وغربا ورقلة².

ثانياً: الوسط الطبيعي والمناخي.

1- الوسط الطبيعي:

1-1. التضاريس:

تقع منطقة مثليلي الشعانية في إحدى طيات الشبكة، وهي عبارة عن هضبة من الصخور الكلسية متراصة رمادية اللون ذات عروق بلورية تحتوي على حفر مملوءة برواسب مرمرية، كما نجد في بعض المواقع الجير البلوري³، تتخللها أودية وشعاب نحتت من العصر الجيولوجي الرابع، تسمى عندنا اصطلاحا بالشبكة وهي عبارة عن تداخل الأودية والشعاب .

1-2. الأودية والغطاء النباتي :

لا يوجد بمنطقة الشعانية جداول جارية أو نصف جارية أو أودية تجري بانتظام بل هناك أودية جافة لا تعرف الماء إلا بصفة استثنائية بسقوط الأمطار.

ترتكز التغذية أو التزود بالماء من السبخات والغابات المحيطة بالواد شرقا وغربا على الشعبة وهي غير منتظمة، تتميز بجريانها على التربة مخلقة وراءها صخور كبيرة وصغيرة وهي تجري لمرات عدة في السنة، أو تبقى جافة طوال السنة، ومن أبرز الشعاب في مثليلي: واد مثليلي الذي يمتد من شمالها إلى جنوبها يقع على ارتفاع

¹-ابن الدين الأغواطي: رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين، تخ: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص254.

²- P. F. M. Passager : op.cit.p513

³-Henry Duveyrier :coup d œil sur les pays des Béni M Zab et sur Lelui des Chaamba Occidentaux Bull ,social géographie ,de Paris ,1859 ,p128

505م ويبلغ انحصاره 76م. ويصل طوله من الجنوب ما بين 280م إلى 600م شرقا وغربا، وعرضه 20كم، وهو مركز الحياة في متليلي، حيث يقسمها إلى نصفين يعمر عليها سكان الشعانية¹.

ومن أهم الأودية التي تتخلل منطقة الشبكة عامة²:

- واد متليلي: يعد واد متليلي شريان الحياة بالنسبة لأبناء الشعانية منذ قدومهم إلى هذه المنطقة، حيث يرتفع فيه منسوب المياه الجوفية لتروي الإبل والماشية، وهو المصدر الأول للشعانية قبل أن يحترفوا الزراعة، وحفروا بجانبه آبار كثيرة يتراوح عمق البئر فيها ما بين 12م إلى 60م وذلك حسب الجهات³.
ولأن المياه الجوفية تعتمد بشكل كبير على كمية الأمطار المتساقطة، فهي ترتفع في وقت الرطوبة وتنخفض في فترات الجفاف، ومن أبرز الآبار المنتشرة في الجهة الشمالية من متليلي: بئر كرمري وأقلة وكرومينة، وساهم الشعانية بحفر العديد من الآبار خارج الواحة خاصة بواد زرقون الذي يعد قبلة الرعاة الرحل، حيث حفروا ستة عشر بئر⁴.

- وادي مسك: يقع في الجهة الغربية من مدينة متليلي، وهو ينبع من أعالي الشبكة ويقطعها في الطول تقريبا، ويعتبر من الأودية التي اعتمد عليها الشعانية قديما في زراعتهم، حيث حفروا الآبار بالقرب منها وتتفرع منه أودية كثيرة مثل: واد سبسب، والجديد، وتوازيه روافد كثيرة أهمها واد محيقن⁵.

- وادي الطويل: هو واد كبير تتفرع منه بعض الأودية الصغيرة كواد الغزالات وواد الجرجير (وواد الجرجير جرت فيه معركة كبيرة مع المستعمر الفرنسي كبد فيه الثوار خسائر كبيرة للجيش الفرنسي، وسمية المعركة على اسم الواد) وكلاهما بالمنصورة، ويعتمد عليه الرعاة من أبناء الشعانية في رعي مواشيهم.

- واد الدغير: هو من الأودية المستعملة للرعي عند الشعانية، وينتهي عند ضاية الرمث وبقاوي، ويصف الجنرال كولومب ازدحام الرعاة عليه فيقول: "في واد ادغير يوجد مئة بئر وبئر، ولكنك تجد صعوبة في سقي جمل واحد عند تواجد الناس فيه"⁶.

- واد بوعلي ووادي زايرة: فهما الأكثر اتساعا واستعمالا من طرف الشعانية، وخاصة الزايرة الشرقية، وقد ذكرها العياشي في رحلته حيث قال عنها: "مياه زايرة مياه حلوة ولم تكن عميقة" كما اعجب بها

¹-P.F.M. Passage :op.cit.p514.

²- أنظر : الملحق رقم 07، ص 152.

³-Charles Amat : **le M'Zab, les Mozabites**, Challamel et C^{io} éditeurs ,Paris ,1888 ,p36.

⁴- P. F. M. Passager : op.cit.p518 .

⁵-محمد عبد الحميد بيشي: **تطور الثورة الجزائرية في ناحية غارداية**، دار زمورة للتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2013م، ص 27.

⁶-بن ولها: **أبناء الشعانية**، المرجع السابق، ص 21.

دوماس كثيرا لجمالها وتوفر العشب بها، أما بول سولايي فأعجب بهندسة بنائها والأعمدة التي تحمل بكرتها فقال: "أنه بحق عمل فني"¹.

- واد النساء: طوله يقارب 270 كم ومساحته 7800 م مربع هو قريب من بلدة القرارة له رافدان هما واد بالوح وواد السودان اللذان يسقيان واحة بريان².

2- الوسط المناخي :

يتميز المناخ الصحراوي بعدة خصائص أساسية وهي الجفاف والحرارة المرتفعة، والموسم الصيفي المتقلب، والبرد المرتبط بالشتاء والرياح المتقلبة لهذا نرى أن المناخ الصحراوي يتميز بفصلين وهما، الحار والبارد ونادرا ما يكون الاعتدال ونفصل أكثر من خلال النقاط التالية:

1-2. الحرارة :

إن معدل درجات الحرارة القصوى لمنطقة متليلي الشعانة تتراوح ما بين 43 إلى 48 درجة مئوية في الصيف، أما في فصل الشتاء وبالضبط في شهر جانفي وفيفري فتصل درجة الحرارة ما تحت الصفر، لذلك يكون أحيانا قارص البرودة وأحيانا تكون معدلاته مساوية للمعدلات المسجلات في المناطق الساحلية. وهذا ما يجعل الفروق كبيرة بين الفصلين، مع بعض الأسابيع الانتقالية في مارس وأفريل، نوفمبر، ديسمبر التي تشكل ربيعا وخريفا.

2-2. الأمطار والرطوبة :

تعاني المنطقة من ندرة شديدة الأمطار، وتتميز بعدم انتظامها حيث سجل متوسط معدلها في السنة 70مم وأحيانا تصل إلى 100مم، فهي تقل في فصل الشتاء وتكثر في فصل الربيع، إضافة إلى انعدام تساقط الثلوج تقريبا، وذلك لانخفاض بخار الماء في الهواء، حيث نجد في شهر أوت يتراوح من أربعة إلى ثمانية مليمتر؛ أي 18% في الصيف ويرتفع إلى 50% في الشتاء، ويبلغ الحد الأدنى لتساقط الأمطار سنويا 01ملم وأقصاها 120ملم.

3-2. الرياح :

تتميز المنطقة بتباين في حركة رياحها حسب الفصل:

¹- بن ولها: المرجع نفسه، ص22.

²- صالح بن داود يوسف بافولولو: ميزاب بلد المعجزات، ط1، غارداية، الجزائر، 2015م، ص51.

ففي الشتاء تكون شديدة وباردة ورطبة تسبب في سقوط الأمطار، قادمة من الشمال والشمال الشرقي، وفي الصيف تهب رياح قوية حارة (الشهيلي) آتية من الجنوب الغربي، وعواصف رملية تميز شهري مارس وماي، وهي عبارة عن رياح رملية جافة جنوبية وجنوبية غربية، تتسبب بتعرية الغطاء النباتي¹.

03: الأوضاع الاقتصادية

أولاً: الرعي .

يعد الرعي من أهم النشاطات الصحراوية؛ لأنه مصدر هام للغذاء والتجارة، ويعرف على الشعانية أنهم من أقدم من امتن الرعي داخل وخارج متليلي، فنجد أن المشيخة تكون لمن يمتلكون أكبر عدد من الإبل والغنم، أما العائلات الفقيرة التي تملك قطعان قليلة تكون تابعة ومسودة، ويكون الرعي بالقرب من الأودية داخل الواحات².

يقول ايف رونييه عن أسعار الجمال لما لها من أهمية عند الشعانية: "إن الجمل المخصص للتحميل يتراوح ثمنه ما بين أربعة مئة وستة مئة فرنك، أما الجمل لنقل الأفراد يتعدى ألف فرنك في حين إبل السباق ما بين خمسة آلاف وستة ألف فرنك فنرى أن الجمال تعد ثروة حقيقية لسكان الشعانية³".

واهتم الشعانية بتربية الغنم وكذا الخيول والحمير ولكن بشكل قليل مقارنة بالجمال الذي يعد المصدر الأول لهم وكانت لها أسواق خاصة يقصدها التجار من المناطق المجاورة لتبادل السلع، حيث تربي الأغنام في القصر وداخل الواحات، ولا يخلو بيت من بيوت الشعانية إلا ويملك من الماعز والغنم وهو مصدر هام للحليب واللحم .

قال هيلون (Helong) عند دخوله متليلي: "نحن نسير منذ مدة داخل المنطقة الرعوية المتشابهة في الجبال التي لا نفهمها ولا نفهم تضاريسها الوعرة، نجد هناك قطعان من الماعز منتشر في كل مكان ربما يجد شيء يأكله⁴".

كانت نطاقات رعي الشعانية واسعة الحدود ولا تملك حدا فاصلا، حيث يوجد العشب يكون الرعي، يقول دوماس: "ينطلق الشعانية إلى أقصى الحدود، قد يصلون إلى جبال الحقار والتوارق، يشبهون في ذلك البدو

¹ - P. F. M. Passager : op.cit.p521

² - Daumas Eugene: **Le Sahara Algérien** , Dubos frères à Alger ,1845 ,p213 .

³ -Yves Régnier :op.cit. ,p53.

⁴ -Hallencourt Charles : **La Croix et l'épée. Vie illustrée du général de Sonis** , C. Paillart, Imprimeur, édition Abbeville , 1893 ,p56.

الرحل، فهم مجازفون ولا يتعبون يكفيهم في ذلك شرب ماء وقليل من التمر يسدون به جوعهم من الصباح إلى المساء، وفي الليل يستدلون بالنجوم لمعرفة طريق العودة، أما بالنهار بعلامات مميزة¹.

كان لأبناء الشعانة مواعيد معينة ومحددة للرعي، قال في هذا ايفي روني: "إن خروج الشعانة للرعي محدد بتواريخ ومواعيد مضبوطة، إذ يخرجون من منطقتهم نهاية موسم جني التمر، ما يصادف شهر ديسمبر من كل السنة، يقون بمراعيهم حتى شهر جوان، وهو التاريخ المحدد لبناء الزريبة، من الجريد اليابس يقضي فيه الشعانة فصل الصيف حتى شهر أوت، ومع سبتمبر موعد عودتهم لجني التمر"².

ثانيا : الزراعة

مارس الشعانة الزراعة لكن ليس بشكل كبير وذلك لاهتمامهم الكبير بالترحال، ويقال بأن الشعانة لا يعيشون في المناطق التي لهم فيها غاباتهم من نخيل وبساتين للحفاظ عليها من مواشيهم وإبلهم، وكانوا يتركون وراءهم في الأغلب عمال من زناتين وزنوج السودان، الذين يعملون بنظام الخماسة (الخماسين)، حيث يشتغلون على الأرض وله خمس الغلة³.

يقول دوماس: "إن صاحب النخلة الغني يكلف العمل للخماس، فيأخذ الربع من التمر ونصف الجريد المقطوع، ويقوم بالأعمال الفلاحية حتى حين عودتهم من رحلة بحثهم عن المراعي، ولا يستقرون في بساتينهم إلا في موسم جني التمر فيقضون بعض الوقت وسرعان ما يعودون إلى حياتهم المحببة لهم وهي العيش في الخيام وسط الصحراء"⁴.

ومن أبرز الزراعات التي مارسها الشعانة هي زراعة النخيل، يقول أبو القاسم سعد الله: "ليس لمتليلي أسوار وليس فيها ماء باستثناء ما يستخرج من الطواحين، ووجه الأرض ليس رمليا منبسط بل هو عبارة عن هضاب مغطاة بصخور حادة تقطع كالسكاكين وينمو فيها فقط النخيل، وقلما ينزل المطر"⁵.

تتواجد بساتين النخيل على بعد اثنين كيلومتر للجهة العلوية لواد متليلي، تتبع تعرجاتها على مسافة 06 كلم تقريبا تحتوي على ثلاثين نوعا من التمر، تعطي بعضها أجود التمر التي تعتبر الغذاء الأساسي

¹ - Daumas Eugene : op.cit ,p311.

² -Yves Régnier :op.cit. ,p34.

³ -D'Armagnac: **le Mzab et les pays Chaamba**, Bracoonnier Editions, Alger, 1934. De Card E. Rouard ,p140.

⁴ - D'Armagnac: op.cit. ,p141.

⁵ -أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2005م، ج1، ص253

لأهل المنطقة، كما أنها مصدر هام للتجارة¹.

تسقى البساتين بنظام الفقارات أو الأحواض التي تملأ من البئر عن طريق جر الحيوانات كالإبل ثم يوزع عن طريق السواقي وتوزع على البساتين بالأدوار، وكذلك تستغل مياه الأودية المتجمعة عقب

نزول الأمطار لسقي البساتين².

إلى جانب النخيل نجد بعض من الأراضي بمساحات صغيرة تخصص لزراعة القمح والشعير كما نجد زراعة الخضروات الضرورية كالطماطم والجزر واللفت والبصل... الخ، إلى جانب أشجار الفواكه الرمان، التين، الایجاص ولكن بشكل قليل لا يفي بالحاجة³.

ويوافق ذلك ما جاء عند يافى روني (Yves Regnier) لما وصف المنطقة حيث قال: "يوجد بساتين النخيل في الجهة العلوية للواد وتعطي بعض النخيل أجود التمور ، كما تصطف البساتين يمينا وشمالا، وتتوسطها قناة تتراوح عرضها من 2 إلى 3م تستخدم لتمرير المياه ومهيئة لتصدي الفيضانات، ويقوم الشعانة بغرس بعض الخضروات كاللفت، والجزر الهندباء البرية والشعير والقمح، وتسقى عن طريق الآبار الموجودة أسفل الوادي".
وتتوفر واحة متليلي على أراضي شاسعة صالحة لزراعة البقوليات والحبوب ووفقا للإحصائيات الواردة في التقرير السنوي لسنة 1937 الخاص بملاحقة غارداية فإن واحة متليلي وسببب تضم 47000 نخلة⁴.

ثالثا: التجارة والصناعة .

1-التجارة :

بحلول فصل الخريف يكون موعد عودة الشعانة من رحلاتهم الرعوية لجني التمور ويخصصون لها أسواق معروفة، حيث يفد إليهم التجار لشراء التمر، وفي المقابل يأتي التجار الوافدين بما عندهم من تجارة فيتبادلون المنفعة في ذلك.

وهي إحدى وسائل التبادل التجاري الذي يكون في قصر مدينة متليلي وسط ممر عتيق، حيث يتم عرض التجارة من ألبسة والخضر والبقالة، وهي تعتبر عاصمة ومركز تبادل تجاري في الصحراء. وكانوا يتعاملون بكثرة

¹-Yves Régnier :op.cit. ,p112.

²-Charles Amat : op.cit. ,p59.

³- P. F. M. Passager : op.cit.p546.

⁴-Yves Régnier :op.cit,p12

مع بني ميزاب وبعض من تجار منطقة تقرت، وكان المستقرون من قبيلة الشعانية يقيمون محلات داخل مدينة القصر¹.

الشعانية بطبيعتهم التي يمتازون بها وهي الترحال يتاجرون أثناء ترحالهم، ومن بين الأسواق التي كانوا يترددون عليها هي بلاد السودان، عين ماضي، الاغواط، غدامس، تميمون، تونس، يعتمدون في تنقلاتهم على الجمال لرحلاتهم التجارية².

يقول ماك كارثي (Mac Carthy)³: "إن تجارة الجنوب الجزائري مع تونس كانت تمتد على طول 1000 كلم، بداية من متليلي الشعانية إلى غاية تونس مرورا بتوقرت ووادي سوف وواحات الجريد التونسي". كما أن هناك تجارة رائجة وهي تجارة العبيد لما كانوا يحتاجونه للسخرة والأعمال الشاقة وكذلك في بسانيهم، يذكر دوماس في ذلك: "أنه يوجد هناك تاجر من الشعانية يسمى سي الحاج محمد كان كثير التردد على مناطق الهاوسا الموجودة غرب إفريقيا في شمال نيجيريا وجنوبي النيجر، والتي كان يجلب منها العبيد، حيث جلب 5000 عبدا وباعها في عدة أماكن حتى وصل إلى طرابلس ثم قفل راجعا إلى متليلي"⁴.

وكان الشعانية يعتمدون قائد للقافلة ذو خبرة يقول ايف رونييه أنهم أسياذ طرق القوافل إلى غدامس، تيدكلت، وكذلك هم رحل يمتازون بالبسالة والشجاعة في القتال وتسيير القوافل⁵. وكان كل أفراد القافلة تحت إمرة القائد الذي له خبرة في غوائل الصحراء ويأتي بعده الشاوش الذي يوصل الأوامر التي يصدرها القائد وبعده الشواف الذي يكشف طريق القافلة ويوجد الخوجة أو الكاتب يكتب المشتريات والمبيعات والشاهد على ذلك ويكتب العقود ويأخذ وصية التوفي إذا توفي أحد الأشخاص، حيث يسجلها ويؤمنها للورثة، المؤذن ليأذن للصلاة والإمام الذي يؤم بالجماعة للصلاة⁶.

نلاحظ أن هناك تنظيم في سير القوافل وكأنها مدينة راحلة بجميع تنظيماها لهذا كانت تستهوي التجار في السير معهم للتجارة، لذلك فقد أعطت السلطات الفرنسية لشيخ قبيلة متليلي بعض الصلاحيات على التجارة

¹-Lieutenant D Armaganac :op.cit,p121

²- Daumas Eugene :Le Sahara Algérien ,p302

³-Mac Carthy Oscar :Géographie Physique Economique et Politique de l'Algérie, Dubos Frère Imprimeur –Editeur ,Alger 1958 ,p231

⁴-Dumas : Le grand désert, ou Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des Nègres, royaume de Haoussa, Imprimerie et librairie centrales de Napoléon. Chaix et Cie, 1848 p320 .

⁵-Yves Régnier: op.cit. ,p108.

⁶- Daumas Eugene: Le Sahara Algérien ,p304.

العابرة من الجنوب نحو الشمال، ويظهر ذلك من الرسالة التي بعث بها الشيخ بن الحاج موسى من فقارة الزوى المؤرخة في تاريخ 14 مارس 1874م إلى غرفة التجارة بالجزائر "لقد قال لنا بنو ميزاب أننا ملزمون بدفع الضرائب إلى شيخ قبيلة متليلي إذا أردنا أن ننقل بضاعتنا لمبادلتها في الأغواط"¹.

2-الصناعة :

تعد الصناعة البدوية من أبرز الأعمال التي يهتم بها سكان الصحراء، فنجد قبيلة الشعانية يقومون بصناعته تحت الخيام هناك حدادون يصنعون السكاكين، المناجل حذوات الحصان ووسائل لنج الصوف وكذا الأسلحة وإصلاحها².

والنساء الشعانية تساهم بشكل كبير في إنعاش الصناعة³ وذلك بإعداد الصوف والوبر الممزوج من الغنم والإبل ونسجها على شكل برنوس وجلابة لتقيهم من برد الشتاء بالإضافة إلى الفراش العمراني التي تستعمل في تجهيز العروسة وكذلك الحبل المصنوع من الصوف ومن جلود الماعز والغنم الذي تصنع منه القرية للماء والعكة لحفاظ الدهان لسنوات تستعمل في الرحلات الطويلة .

وكذلك تصنع المرأة البدوية الكسكاس لطهي الطعام والطبق المصنوع من الحلفة، ومن سعف النخيل تصنع الحصائر والقبعات الكبيرة وحبال قوية لسحب الماء من الآبار، ويصنعون من الطين قلال الفخار وكثير من الأواني وغيرها، كل هذا ساهم في الاقتصاد وانتعاش التجارة.

04: الأوضاع الاجتماعية .

1-4: السلطة ونظام الحكم

يخضع النظام عند الشعانية البدو⁴ إلى رئيس أو شيخ القبيلة، فالمجتمع البدوي متعاون ومسير بطريقة جد منظمة، حيث يلقب رئيس المجموعة بالشيخ، من سماته الشهامة الصدق، التدين وفي أغلب الأحيان الفروسية والقوة والغنى، وتكون له السلطة المطلقة على كل الرجال والنساء مهما كانت أعمارهم .

¹-Paul Solleillet : **Avenir de la France en Afrique** , CHallamel aîné Editeur ,Paris ,1876 ,p72.

²- Daumas Eugene :**Le Sahara Algérien**, op.cit. ,p314.

³-Yves Régnier :op.cit. ,p114 .

⁴ - أنظر : الملحق رقم 08، ص153.

يقوم أهالي القبيلة بتنصيب الشيخ على رأسهم ويبايعونه ولا يتون في أمر إلا وللشيخ أمر في ذلك¹ ويطيعونه في كل شيء يقوم به الشيخ وفي نفس الوقت على شيخ القبيلة أن يلتزم بالعادات والتقاليد، ونستطيع القول أنه كان هناك مجتمع منظم ومؤطر بشكل يجعل الحياة تكون مستمرة وآمنة لا ظلم فيها والعدل هو أساس الحكم.

والشعانية متقيدون بما يقوله الإمام أي الشيخ ولا يخرجون عن طوعه، ويخصص الشيخ يوم الجمعة يعالج فيها المواضيع التي تخص حياة السكان ومصالحهم، ويحثهم على الالتزام بالقرآن وسنة النبي العدنان، ويحثهم على الصدقة (المعروف) والتعاون فيما بينهم ونصرة المظلوم وردع الظالم.

كذلك يساعد شيخ القبيلة في تسير أمور القبيلة في مجلس خاص يسمى بـ "جماعة العشرة"² والتي يرجع إليها للفصل في القضايا الداخلية بين العروش، وكذلك في القضايا الخارجية كعقد مجلس للحرب ومناصرة الشعانية واستنجادهم، أو إقامة أحلاف مع القبائل الآخرين... وغيرها من الأمور التي تخص القبيلة³.

4-2: كيفية اختيار زعيم القبيلة:

إن منصب الزعامة لم يكن بالصفة الرسمية قبل دخول الاستعمار الفرنسي لشعانية متليلي وإنما كان عبارة عن جماعة كبار تسند إليهم حكم القبيلة، وبعد الحملة الاستعمارية على متليلي الشعانية التي قادها دوسونيس (De sonis) سنة 1866م، حيث طلبت السلطات الاستعمارية من أعيان متليلي تعيين شيخ يكون ممثلاً للشعانية، وفيها شارك الاستعمار في تعيين شيخ القبيلة، حيث قام الجنرال دو لوفيردو (De loverdo) بتعيين الشيخ سليمان بن مسعود في سنة 1875م⁴، ورغم تدخل السلطات الاستعمارية في تنصيب شيخاً لقبيلة الشعانية إلا أنها وجدت معارضة شديدة في ذلك فنجد في سنة 1879م التي إستقال فيها الشيخ سليمان بن مسعود، قامت السلطات الفرنسية بتعيين الشيخ عبد القادر بن محمد، فقامت مجموعة من الشعانية معارضة على

¹-Paul Solleillet: **Voyage De Paul Solleillet d'Alger à l'oasis d'in-Salah**, Typographie et Lithographie. A Jourdan, Alger, 1875,p45

²-جماعة العشرة: تتكون هذه الجماعة من القيادة الثلاثة: لعروش القصر، أولاد علوش، أولاد عبد القادر، إضافة على رؤساء الفرق المنضوية تحت كل عرش ينظر: Passager : op.cit,p526. M. F.P

³-Paul Solleillet: :Ibid, p45

⁴-E.Mangin: Not sur L'Histoire de Laghouat/In/ R.A.V39,1895,p139

اختيار الشيخ عبد القادر بن محمد وثارث ثائرة الشعانية كادت تنشب بينهم حرب فأعادت الأمر إليهم¹، وحسنت الخلاف في ذلك .

وأبرز الشيوخ الذين تولوا رئاسة القبيلة خلال القرن التاسع عشر هو الشيخ أحمد بن أحمد الشلقي من أولاد علوش، الذي كان له دور في كثير من الأحداث التي جرت في المنطقة .

من خلال ما سبق نرى أن المجتمع الشعاني يتسم بالديمقراطية والشورى فيما بينهم وبأبى الضيم والذل والانصياع بسهولة للسلطات الاستعمارية، كما أن هذه الميزة لم تكن في القبائل الأخرى مما أعطاهم القوة في مواجهة الاستعمار الفرنسي.

3-4: الشعانية وعلاقتهم بالقبائل المجاورة

إن التركيبة السكانية للشعانية أهلتهم بأن يكون في تواصل مع المجتمعات المجاورة وذلك لانفتاحهم اجتماعيا وانصهارهم منذ القدم مع بعض القبائل وكذلك نشاطهم التجاري الذائع الصيت والرائج كل هذا أنشأ علاقات وطيدة مع السكان المجاورين لها، هذا مما أثار حفيظة المستعمر الذي بات يتوجس منها خوفاً، وأصبح يضرب عليهم طوقاً محكماً ويسد عليهم المنافذ ويزرع الفتنة بينهم كي يتحكم في مصيرهم متخذاً في ذلك قاعدة فرق تسد .

3-4-1: علاقتهم مع بني ميزاب:

من هم بنو ميزاب؟ ينحدر بنو ميزاب من بني مصعب من قبيلة زناتة الأمازيغية، وكلمة "ميزاب" هي تحريف لكلمة مصعب، وسبب التحريف يكمن في أن البربر لا يستطيع النطق بالعين من مخرجها الحقيقي، وإنما يسهلها إلى الألف فقالوا مصعب ثم مصاب وحرف الصاد إلى زاي كما ينطق في سورة الفاتحة (الصراط إلى زراط) في قراءة من القراءات السبع، فأصبح ينطق مزاب وميزاب، ومصعب هو مصعب بن بادين من البرانس البتر، حيث إرتحل هو وبنيه إلى الوادي واستقروا به مع قبيلة عبد الواد².

¹-Chales Kleinknecht: Mis à jour de la Monographie de l'Annexe de Ghardaïa et du Poste de Metlili Rapport à Mr le Ministre Résidant de l'Algérie et du Gouverneur de l'Algérie ,N383 , Ghardaïa 03/10/1956 ANOM OA 59, F32

²-يوسف بن بكير الحاج السعيد: تاريخ بني ميزاب، المطبعة العربية، غرداية، 1992م، ص13-14

وقد سميت المنطقة التي قطنوا بها باسم ميزاب الموجودة حاليا بغرداية، وهي تحد شعانية متليلي من الجنوب وتبعد عنها بحوالي 35 كلم، وهي تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 600 كلم. ويتكون واد ميزاب من سبعة قصور هي: مليكة بنورة، بني يزقن، العطف، قصر غرداية، بريان، القرارة.

يعتقد بنو ميزاب المذهب الإباضي نسبة إلى لعبد الله بن وهب روايةً للقطب طفيش الذي يقول بأن أصول المذهب تعود إلى عبد الله بن وهب وليس لعبد الله بن الوهاب، وقد تلقوا أصول المذهب عن إباضية سدراته الهاريين من تيهرت بعد سقوط الدولة الرستمية¹.

وقد قامت علاقات بينهم وبين الشعانية تجارية منها وكذا اجتماعية، وذلك بالمصاهرة لتوطيد العلاقة بينهم، لكن المستعمر الفرنسي استغل الاختلاف المذهبي ليؤجج الفتنة بينهم، لكن تصدى لهم أعيان القبيلتين ووضعوا حدا لهذه الخلافات، وعرفوا أن عدوهم مشترك وهو الاستعمار الفرنسي فقاموا بالمصاهرة وتطوير التجارة بينهم. ففي سنة 1888م توجهت اثنا عشر عائلة ميزابية من مليكة واستقرت في متليلي واعتنقت المذهب المالكي وعاشوا في وئام وسلام، في المقابل توجهت اثنا عشر عائلة من متليلي واستقرت في مليكة²، هذا التبادل زاد في توطيد العلاقة بين القبيلتين إلى يومنا هذا.

ولقد نص اتفاق الذي كان بين قصر متليلي وقصر مليكة سنة 1888م على التحالف العسكري، يقوم بموجبه شعانية متليلي بنصرة عرش مليكة ضد الصراعات التي كانت بينه وبين قصري غارداية وبني يزقن، كما سمح لميزابي مليكة بزراعة النخيل في واحة متليلي وذلك بسبب التضييق الذي تعرضوا له في واد ميزاب³، ولضمان تطبيق بنود هذا الاتفاق فقد تم تنقل عائلات شعانية من متليلي واستقروا في قصر مليكة عند باب لطرش لكنهم ظلوا معتنقين المذهب المالكي ولم يبدلوا كما فعل سكان مليكة من بني ميزاب.

ويبدو أن هذا الاتفاق قد أثمر تعاوناً بين شعانية متليلي والميزابيين في المجال التجاري، وفي هذا يقول الضابط كوين (Coyne): "رغم الخلاف الذي بين الشعانية وبني ميزاب إلا أن الشعانية يقومون بنقل بضائع

¹- محمد بن يوسف طفيش: الرسالة الشافية في تاريخ بني ميزاب، طبعة حجرية، 1908م، ص 37

²- Yves Régner :op.cit ,p9

³-Abou Zakaria : **Chronique d'Abou Zakaria** ,Trad :Emile Masqueray ,Imprimerie de L'association Ouvrière V. Aillaud et Cie ,Alger ,1878 , p VI .

بني ميزاب إلى أسواق توات قورارة وتديكليت التي يختلفون إليها بانتظام¹. ويضيف أن بنو ميزاب كانوا يجلبون بواسطة الشعابنة من أسواق الجنوب الغربي الحناء، المصنوعات الحديدية، الخردوات، الزنجيات، المجلوبة من تافلات².

هكذا نلاحظ أن المجتمع الميزابي والشعبي كانوا متعاونين وعلى يد واحدة ومصلحة واحدة وهي طرد المحتل الفرنسي من البلاد، رغم ما قامت به فرنسا من زرع للفتنة والشقاق بين الإخوة لكي يستطيعوا التحكم فيهم ومقدراتهم.

4-3-2 علاقته مع قبائل الطوارق:

ينحدر سكان الطوارق من أصول أمازيغية بربرية من قبائل البتر، وقد استوطنوا في منطقة شمال إفريقيا لمئات السنين؛ حيث تجوب قوافلهم التجارية منطقة الصحراء الكبرى، فهم حلقة وصل بين الشمال الإفريقي وبين قبائل الهوسا في ممالك كانم وقرو وهي (نيجيريا) حاليا. وكلمة طوارق تعني طروقهم في الصحراء وتوغلهم فيها، أو نسبة إلى طارق بن زياد³. ويطلق الطوارق على أنفسهم اسم "ايموها" "IMOHAR" وأصلها ايموزاغ جمع أمازيغ. ويعرف الطوارق باسم رجال الصحراء الزرق وذلك بسبب ملابسهم ذات اللون النيلي، وكذلك بالملثمين لعمايتهم التي يستخدمونها لتغطية أفواههم⁴.

تتكون قبيلة الطوارق من عدة قبائل صغيرة تتوزع على الصحراء الكبرى وهي كالأتي: قبيلة "أهقار" تمتد من أقصى الجنوب الجزائري إلى دولة النيجر، قبيلة "أزواد" وتقطع دولتي النيجر ومالي، وقبيلة "آير" الموجودة بالنيجر، وقبيلة "تادماكا" بمالي⁵.

وكان لكل قبيلة منهم زعيم يطلق عليه باللهجة التارقية "آمينوكال" يتزعمهم في الحرب والسلام وهو المسئول الأول في حماية القبيلة وتسيير شئونها، كما ينقسم المجتمع التارقي إلى مراتب منهم: المحاربون ورجال الدين

¹-A. Coÿne : **le Une Ghazzia dans Grand Sahara** ,Adolphe Jourdan Libraire – Éditeur , Alger ,1881 ,p7

²-A. Coÿne : **Le Mzab/In/R.A .** ,V23,1879,p201

³-عبد الرحمن السعدي: **تاريخ السودان**، تح: هوداس، المدرسة الباريسية لللسنة الشرقية، باريس، 1981م، ص25.

⁴-محمد بن عثمان الحشاشي: **رحلة الحشاشي إلى ليبيا سنة 1895م**، تح: علي مصطفى مصراحي، دار لبنان، بيروت، 1965م، ص123.

⁵-Gouvernement General de l'Algérie :**Les Territoires du Sud de l'Algérie premier partie** .Alger 1929 ,p79

وهم عليّة القوم، اصحاب الحرف وهم الطبقة المتوسطة، والخدم وهي الطبقة الدنيا.¹

يعتقن الطوارق الدين الإسلامي متوحدين على لهجة واحدة وهي التارقية، ويفتخرون بالعربية وينسبون أنفسهم إلى العرب من حمير أهل اليمن ويدعون أن أصلهم منهم².

الامتداد الواسع للطوارق في الصحراء أدى إلى تواصل بينهم وبين القبائل الأخرى ومنها قبيلة الشعانية التي أسلفنا الذكر أنها مهيمنة على جنوب الصحراء، هذا التقارب أدى إلى فرض شراكة ومصالح تجارية وحتى منها العسكرية، هذا النفوذ أدى في بعض الأحيان إلى نشوب حروب بينهم، ويذكر "رينيه" انه خلال خمسة قرون كان الشعانية يدخلون في حروب مع الطوارق وقبائل رعوية أخرى في الصحراء³.

حيث أنه في سنة 1833م أي قبل وصول فرنسا إلى الصحراء حدثت حرب بينهم أسفرت بعدها إلى توقيع السلام بين الشعانية والطوارق، وهذا حسب ما ذكره الضابط "كويين"⁴، وكان ذلك في منطقة حاسي بركاوي، واستمر هذا الصلح إلى غاية أواخر القرن التاسع عشر ميلادي.

وبعد التوغل الفرنسي في الصحراء، ورؤيته إلى هذا الصلح بين القبيلتين والتي تعدان من أهم القبائل المتواجدة في الصحراء، لم يألوا جهدا في إذكاء نار العداوة بينهم وتحثي الفرصة لزرع الفتنة بينهم؛ لأن توحيدهم لا يخدم أطماعهم التي جاءوا من أجلها.

يُذكر في الوثائق الرسمية لحكومة الجزائر: "أنه هناك بين الشعانية والطوارق كراهية شديدة وحرب دائمة، إن التوارق مثل كل البربر هم الظاهرة المتخلفة المنبوذة، في حين أن الشعانية هم على إتصال مع الحضارة في المنطقة الشمالية حين يتحكمون بكل المنافذ المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط وإلى الجزائر انطلاقا من الموانئ والمدن الكبرى أين يشترون البضاعة، عكس الطوارق الموجودون في قلب وأطراف الصحراء"⁵.

¹-روين هاليت: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1988م، ص100.

²-Yves Régnier :op.cit ,p143.

³-P.F.M. Passage :op.cit.p511.

⁴-A. Coÿne: op.cit.p9.

⁵-Gouvernement General de l'Algérie : op.cit.p74.

إن هذا الكلام يَنم على زرع الفتنة ،وتفكيك القبائل وكسر وحدتهم وزرع الضغينة والعداوة بينهم، وقد صرحوا بذلك في وثائقهم الرسمية "سياسة الصحراء هي سياسة لابيرين (Laperrine¹)، تقوم على أساس إذكاء العداوة بين الشعانية والطوارق ؛لأن هذا العداء قد مكنا من النجاح في السيطرة على الجنوب".²

لكن كانت خيبة المستعمر الفرنسي واضحة وذلك من خلال التعاون بين القبائل في صدها للتوسع في صحراء الجزائر، والحروب والمقاومات شاهدة على ذلك، وقد سطوروا بذلك بطولات سوف نتطرق لها في الفصول القادمة.

وخلاصة القول هو أن منطقة الشعانية يسكنها أغلبية شعانية بورزقة المعروفة بشعانية متليلي، إذ يمثل الشعانية قبلا في الصحراء الجزائرية حيث كانوا يعدون شعبا متميزا كمجموعة كبيرة من الرحل، وهم يسيطرون على الوحات الشرقية الجزائرية، يمكن أن نحصر مجاهم الجغرافيا شرقا من حدود وحات فزان وقات بليبيا وتعتبر واحة غدامس مركزهم المتقدم في الاتصال والتجارة، وأبدعوا في تسير قوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء الجزائرية في القرن التاسع عشر .

¹-لابيرين (Laperrine François Henri) (1860-1920):جنرال فرنسي شارك في غزو الصحراء والسودان أسس فرق الميهارست الصحراوية التي ترأسها سنة 1901م إلى غاية 1914م، دخل عين صالح سنة 1904م مع الأب شارل دوفوكو، عاد من الصحراء بعد الحرب العالمية الأولى، توفي في حادثة سقوط طائرة، خلال أول رحلة جوية بين الجزائر وطمبوكتو .

ينظر : p267, 1994, Paris, Denoël Editions, **Grands Sahariens**, Philipe Decraene

²-Gouvernement General de l'Algérie : op.cit.p75

الفصل الثاني:

المخططات الفرنسية للتوسع في الجنوب

01: تقارير الرحالة الأوروبيين عن الصحراء الجزائرية.

02: سياسة التوسع في المنطقة.

03: الاحتلال الفرنسي لمنطقة الشعابنة.

إن السياسة الاستعمارية الفرنسية في جزائر، تهدف إلى بسط السيطرة على كامل التراب الجزائري وتنوع في ذلك الأسلوب المنتهج للحرب، فنجد استعمالها للأسلوب السياسي والاقتصادي والعسكرية، فضلا على الأسلوب الديني الصليبي الذي سعت من خلاله فرنسا لتنصير الجزائريين لكنها فشلت في ذلك رغم مساعيها الخفية ، وذلك بأخذها للغطاء الحضاري والتسامح الديني ونشر العلم، وإنقاذ البشر من التخلف والأمراض، هذا الأسلوب ليس وليد الحملة المسعورة على الجزائر، بل منذ الحروب الصليبية على العالم الإسلامي، والتي كان منبعها الحقد الديني وخاصة الكاثوليكي التي تتزعمه فرنسا .

هذا المد الصليبي انتهج سياسة خاصة في غزو البلدان الإسلامية، وذلك بظهوره بالزي المنقذ للبشرية من التخلف الروحي والعلمي بزعمه، فقام باستعمال شتى الطرق للوصول إلى مبتغاه، فنجد الغزو العسكري يباركه رجال الدين ويحثون على الحرب من جهة ومن جهة أخرى يعملون كمبشرين ومستكشفين يسبقون بذلك الغزو العسكري ويمهدون له الطريق، وذلك بإعطاء التقارير والمخططات المفصلة على المناطق التي يذهبون إليها.

وفي هذا الفصل سنستعرض لهذه المخططات التي ساعدت المحتل الفرنسي في احتلال الجنوب الجزائري.

01: تقارير الرحالة الأوروبيين عن الصحراء الجزائرية

قدم الرحالة الأوروبيون معلومات هامة حول الصحراء الجزائرية حثوا فيها فرنسا على التوسع في هذه المناطق لذا أقدم المستعمر الفرنسي على القيام بالعديد من الرحلات الاستكشافية إلى المناطق الجنوبية ومن بينها:

أولا: البعثات الفرنسية لاستكشاف الصحراء الجزائرية :

بعد استكشاف الانجليز والألمان للصحراء، دخل الفرنسيون مجال المنافسة في الاستكشاف ولم يكن تفكير فرنسا في توسعها العسكري نحو الجنوب وليد تاريخ الاحتلال أو القضاء على المقاومة الشعبية في المناطق الشمالية، وإنما يعود إلى سنة 1824م¹ أو قبل ذلك بكثير حيث بدأ الفرنسيون مغامرتهم في الصحراء الافريقية منذ رحلة "روني كاييه" في أعوام 1824-1828م وازداد حماسهم بعد احتلالهم لمدينة الجزائر عام 1830م، وتمحورت اهتمامات الفرنسيين في ثلاث محاور رئيسية²:

1- هذا المحور هو الهدف الأساسي بالنسبة للفرنسيين، ويتمثل في التركيز على الغزو والتوسع الاستعماري الذي يسمونه بالاستكشاف؛ إذ حاولوا التعرف على إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية، كما حاولوا استكشاف المظاهر الجغرافية الطبيعية ودراسة المجموعات السكانية.³

2- هذا المحور جاء نتيجة للاهتمام الأول وخدمته وتدعيمه، ويتمثل في محاولة وضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية والبرية وأسلاك الهاتف لتسهيل عملية التنقل للقوات العسكرية والمغامرين، وعليه بدأ الفرنسيين في دراسة المظاهر الطبوغرافية والتضاريسية والمناخية لتحديد المناطق التي تصلح لمد خطوط السكة الحديدية.⁴

3- جاء هذا المحور لخدمة المحورين السابقين ويتمثل في محاولة خلق بحر داخلي صحراوي، من أجل إحداث تغيير جذري في الظروف الطبيعية والمناخية القاسية للصحراء.⁵

¹-أحميدة عميراي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص64

²-يجي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دون ط، الجزائر، 1999، ص64

³-يجي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار ومن خلال ما كتبوه، مجلة الأصالة، العدد 72، 1979م، ص52

⁴-يجي بوعزيز: المرجع نفسه، ص52

⁵-يجي بوعزيز: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص64.

ولتحقيق مايسعون إليه كان لابد من إرسال إرساليات وبعثات تمهد لهم الطريق للاحتلال الصحراء ،ومن بينها :

1-1 بعثة روني كايي:

يعتبر "روني كايي" أول المغامرين الفرنسيين الذين توغلوا في عمق الصحراء الجزائرية، حيث عبرها انطلاق من السينغال حتى مدينة تومبكتو¹، ثم عاد عبر طريق تافيلات إلى فاس والرباط وطنجة بين عامين 1842-1828م.

ولقد كان يتطلع إلى اختراق الصحراء من السينغال إلى مصر والحجاز، ولكن اعترضت سبيله صعوبات عديدة فاكتفى بالوصول إلى تمبكتو ومنها توجه إلى المغرب².

وعليه يمكن القول أن روني كايي يعتبر من الأوائل المغامرين الفرنسيين الذين توغلوا إلى الصحراء حيث عبرها من السنغال إلى تمبكتو ثم عاد عن طريق توات وتفيلات ومنها إلى فاس والرباط ثم إلى طنجة، وقد قدم معلومات هامة إلى المصالح المهتمة باحتلال الصحراء، هذه المعلومات ساعدت فرنسا في التوسع نحو الجنوب الغربي³.

كما قام "ادوارد فوجيل" (Edoired Vogel) برحلة من طرابلس إلى أعماق الصحراء في سنة 1853م، وقام "بونمان" برحلة إلى غدامس عبر واد سوف عام 1857م، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كشف الفرنسيون نشاطهم الاستكشافي في الصحراء، حيث قام الضابط دو كولومب برحلة استكشافية نحو الجنوب الغربي الجزائري .

ولقد استعان دو كولومب بالخليفة سي حمزة ولد بوبكر الزعيم الروحي لأولاد سيدي الشيخ وبعض من رجالات الشعانبة ليستدل على الطريق الأسهل بغية العبور إلى الجنوب، وفي شهر جانفي من سنة 1857م سافر الموكب قصد استكشاف قصور تيفورارين وتوات وتيديكت⁴.

¹- تمبكتو هي إحدى المدن الاستراتيجية والحيوية التي تقع على ضفاف نهر النيجر، وبفضل موقعها الاستراتيجي شكلت سوقا تجارية صحراوية للتجار من مختلف الجهات، وخاصة من مصر وفزان وغدامس وتوات وفاس وغيرها من المدن. ينظر: أحيدة عميراوي: المرجع السابق، ص 66.

²- أحيدة عميراوي: المرجع السابق، ص 70.

³- إبراهيم مياي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، 1837-1934م، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص 405.

⁴- إبراهيم مياي: المرجع السابق، ص 410.

1-2 بعثت هنري دوفري:

ولعل من أهم البعثات الاستكشافية بعثة "هنري دوفري"¹، الذي بدأ رحلته الفرنسية من سكيكدة يوم 8 ماي 1859م متجها إلى بسكرة عبر قسنطينة وباتنة، ومن بسكرة اتجه إلى القرارة يوم 13 جوان من نفس السنة، ثم عاد إلى غارداية التي وصلها يوم 21 جوان ثم توجه نحو متليلي ومنها إلى المنيعية التي وصلها يوم الفاتح من سبتمبر ولم يرحب به من طرف سكانها².

عاد دوفري إلى غارداية ومنها إلى الأغواط بهدف التوجه إلى قصور توات وبلاد التوارق لكنه غير اتجاهه نحو الصحراء فغادر الأغواط أواخر سنة 1859م، واتجه إلى القرارة ومنها إلى تقرت وبسكرة ثم قسنطينة لأخذ قسط من الراحة. وبعد استراحته في قسنطينة اتجه نحو بسكرة وكان ذلك في 01 فيفري 1860، ومنها إلى واد سوف ثم إلى الجريد في الجنوب التونسي ثم توجه إلى قابس وعاد عن الطريق الشمالي إلى قفصة ثم توزر³.

وفي يوم 10 أفريل 1860 قرر العودة إلى بسكرة سالكا بذلك ممر شبيكة وتامزا، مروراً بكل من النقرين وواحات عين التافة وسيدي عقبة.

نلاحظ حول هذه التحركات أنها كانت تتم بسرعة ويرجع ذلك إلى خوفه من قطاع الطرق وبعد هذه الرحلة كلفه الوالي العام للجزائر بالاستعداد للقيام برحلة إلى التوارق، وعلى إثرها غادر المدينة باتجاه الوادي ومنها إلى غدامس بمساعدة الشيخ عثمان والشيخ مينكول ايخون⁴.

غادر دوفري غدامس أوائل شهر ديسمبر من سنة 1860م متجها إلى غات بمساعدة الشيخ عثمان وزعيم التوارق ايخون، ومن غات إلى فازان ثم اتجه إلى نحو طرابلس ومنها إلى الجزائر لاستعداد إلى رحلة أكبر ولكنه لم يسعفه الحظ في مواصلة رحلته، إلا أن المذكرات والملاحظات التي سجلها كتبت بعناية، فقد قدم

¹ - هنري دوفري: Henri Duveyrier مستشرق ورحالة فرنسي ولد بباريس سنة 1840، اهتم بالدراسات العربية في باريس، قام بأول رحلة إلى الأغواط سنة 1875، انطلق يوم 8 ماي 1859 في رحلة نحو الصحراء ولم يرجع منها إلى غاية أكتوبر 1861، أصدر عدة دراسات حول المناطق الصحراوية وقد نشرت أغلبها المجلة الجغرافية. توفي سنة 1892 أنظر :

Henri Lamirault et Cie: La Grande Encyclopédie inventaire raisonné des sciences des lettres et des arts, 31 Tomes, H. Lamirault et Cie. Editeurs, Paris, 1885-1902, T15, p153

² - إبراهيم مياي: المرجع السابق، ص 411.

³ - أحمد عميراي: المرجع السابق، ص 67.

⁴ - إبراهيم مياي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 83.

معلومات هامة حول هذه المناطق في كتابه "طوارق الشمال" (Touareg de Nord)¹، وفي هذه الفترة وبالتحديد في شهر نوفمبر 1860م قام كل من "كولونيو" و"بورمان" بتنسيق رحلة مع إحدى القوافل التي تنشط بين سعيدة والبيض، وفي هذه الرحلة تعرف كولونيو على قورارة أو قيروت، أما بورمان فقام برحلة من بنغازي إلى السودان².

1-3 بعثة جيرهارد رولفس (Gerhardt Rohlfs)³

قام جيرهارد رولفس برحلات عديدة لاكتشاف الصحراء منضويا تحت فرقة اللفييف الأجنبي الفرنسي التي كانت تعمل في الجزائر، ففي البداية اتجه نحو المغرب الأقصى، حيث تجول في الجزء الجنوبي منه متجهاً منه نحو السوس ثم الواد ثم إلى تفيلات متجهاً نحو وهران، وفي الرحلة الثانية انطلق إلى رولفس من طنجة إلى واد زير عبر الأطلسي ومن هناك إلى وادي الساورة وبني عباس ثم واحات توات وتيدليكت وعين صالح ثم غدامس ومنها إلى طرابلس⁴.

وبذلك يكون رولفس قد نجح في اختراق الصحراء من المغرب الأقصى إلى ليبيا عبر الصحراء الجزائرية. أما رحلته الموالية فقد انطلق من طرابلس عبر عرق مرزق متجهاً إلى التشاد ثم إلى بورنيو ومنها إلى لاغوس وبذلك يكون رولفس أول رحالة أوروبي يعبر إفريقيا الغربية من ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى ساحل غانا جنوباً⁵.

¹ - المرجع نفسه، ص 101.

² - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 67.

³ - جيرهارد رولفس: اسمه الحقيقي فريد بيك جيرهارد رولفس، ولد في 14 أبريل 1831م في منطقة برين الحرة، وتوفي سنة 1896م وهو من أشهر الرحالة الألمان. ينظر: مؤنس مفتاح: جيرهارد رولفس - الرحلة الألمانية - سنة 2012م.

⁴ - إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 91.

⁵ - إبراهيم مياشي: المرجع السابق، ص 117.

1-4 بعثة الرحالة فلاترز¹ (FlattersPaul)

تعتبر بعثة فلاترز بمثابة عدد جديد لعمليات الاستكشاف، إذ قام فلاترز برحلتين من ورقلة إلى الأغواط وأسندت إلى فلاترز مهمة القيام بعملية استكشاف لمد طريق صحراوي من الجزائر إلى النيجر. وضمت هذه الرحلة عشرة أعضاء وهم: "فلاترز" عقيد المشاة والقائد الأعلى الأسبق للأغواط و"موسون" نقيب أركان الحرب، و"برانجه" مهندس الجسور والطرق، و"روش" مهندس المناجم و"برنار" النقيب في سلاح المدفوعات، و"غيار" الطبيب و"لوساتولييه" و"بروسلار" مسيري الجسور والطرق²، وتم تعيين هؤلاء الأعضاء خلال شهر ديسمبر لانطلاق البعثة التي كان انطلاقها من ورقلة في 21 ماي 1880م باتجاه منطقة الزاب، حيث سلكت البعثة دروبا جديدة لهذا استطاع فلاترز أن يقدم معلومات مهمة حول المناطق التي اجتازها، ثم غادرت البعثة بلدة العطف وسلكت وادي ميزاب وصولا إلى بني يزقن بغرداية، ومن غرداية اتجهت البعثة نحو بلدة بريان ومنها إلى الأغواط، ومنها عاد فلاترز إلى باريس لتلقى الدعم المادي من طرف مصلحة الطريق الصحراوي³.

وبعد تلقيه الدعم المالي عاد إلى ورقلة ونظم رحلة ثانية إلى أقصى الجنوب الجزائري بهدف اكتشاف بلاد الطوارق، ودراسة مشروع الخط الحديدي عبر الصحراء، وظهرت البعثة بمظهر الاستكشافات العلمية لكن في الحقيقة هو تمهيد لاحتلال المنطقة ونهب خيراتها .

انطلقت البعثة الثانية من ورقلة يوم 04 ديسمبر 1880م باتجاه السودان واستقرت بـ ايزانم ثم غادرتها يوم 30 جانفي 1881م للبحث على سبخة امادقور⁴، ومن هناك تم التوجه إلى تيماسين وصولا إلى بئر الغرمة يوم 16 فيفري وهناك قام التوارق بقتل فلاترز ورفاقه⁵. هذه الحادثة أثرت على البعثة وكانت بمثابة صدمة عنيفة للعمليات الاستكشافية في الصحراء، حيث تعطلت لمدة من الزمن؛ لأن الصحراء لم تخلو من المقاومين والثوار

1-فلاترز : ولد يوم 16 سبتمبر 1832 ب لافال، انظم إلى الكلية الحربية اسان سير سنة 1851، وترقى في صفوف الجيش الفرنسي حتى أصبح مقدما بتاريخ ماي 1879، حيث كان جديرا شغل منصب صعب وهو الحاكم العسكري بالأغواط، اختير من طرف وزارة الحربية لمرتين من أجل قيادة حملتين استكشافيتين نحو الحراء الوسطى حتى قتل رفقة مرافيه في الحملة الثانية سنة 1881 على يد التوارق. ينظر :

Derrécagaix. V : Exploration du Sahara, Les Deux Missions De Lieutenant-Colonel Flatters, Société De Géographie, Paris, 1882¹

²-احميدة عميراي: المرجع السابق، ص72.

³-إبراهيم مياي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص124.

⁴- المرجع نفسه: ص126.

⁵-يجي بوعزيز: المرجع السابق، ص69.

مثل: بومرزاق وسي موسى بوحمار الدرقاوي وغيرهم من المقاومين الذين لقوا النصر والتأييد من سكان الجنوب، إضافة إلى ثورة أولاد سيدي الشيخ التي أخرجت البعثات العلمية والاستكشافية لمدة عشر سنوات، وكذلك مقاومة الشيخ بوعمامة¹.

2- المشاريع الفرنسية لاحتلال الجنوب الجزائري .

لتمهيد احتلال الصحراء قام المستعمر الفرنسي بتمهيد للمنطقة واستمالة سكانها، حيث جاءتهم على أنها تمثل مشروع حضاري ينقذهم من التخلف والبداءة، في حين أنها جاءت لنهب الخيرات وزرع الفتنة وتفكيك القبائل المتوحدة فيما بينها، فلجأت إلى إنشاء مشاريع بها تسيطر على مقدرات وخيرات الصحراء وذلك لما تزخر به من غاز وبترول ومعادن ثمينة، هذا من جهة ومن جهة أخرى تسهيل للمستعمر الفرنسي السيطرة على جنوب الصحراء ومن بين هاته المشاريع:

2-1 مشروع السكة الحديدية :

كانت فرنسا تنظر للصحراء الجزائرية نظرة مخزون اقتصادي وأمني واستراتيجي، حيث يؤمن لها مستقبلها في القارة الإفريقية ولذلك اهتمت بمشروع مد السكة بين أقاليم الشام والجنوب²، حيث أرادت فرنسا أن تربط الجزائر عبر الصحراء بمستعمراتها في إفريقيا الغربية، ولقد كان اهتمام فرنسا بموضوع المواصلات يهدف إلى:

- تسهيل عملية التنقل القوافل العسكرية، للتمكن من القضاء على بؤر التوتر للمقاومة الجزائرية.
- ربط المراكز الاستعمارية ببعضها البعض على مستوى محلي ودولي ومستعمراتها الإفريقية على مستوى قاري.
- خدمة التجارة الفرنسية والعمل على ازدهارها، وخاصة قطاع الخدمات وذلك من خلال استغلال الثروات الطبيعية الظاهرية والباطنية، فإقليم قورارة وتوات غني بالمعادن كالفحم الحجري حسب الدراسة التي قدمها "دافلامون"، وهضبة تادميت الغنية بمركبات الكبريت حسب ما ذهب إليه "رولان" بالإضافة إلى العديد من المعادن.

- الحد من تجارة القوافل الغربية والطرابلسية والمالية العابرة للصحراء الإفريقية المحملة بالسلع والمعادن الثمينة³

¹ Gouvernement General de l'Algérie: Les Territoires du Sud de l'Algérie Première Partie. Ce qu'ils sont - Pourquoi ils ont été créés, Imprimerie Algérienne, Alger 1929.P85

²-أحمد مريوش: التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري ورد فعل سكان الهقار، مجلة المصادر، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، عدد 11، 2005م، ص119.

³-أحميدة عميراي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص75.

يرجع التخطيط لإنجاز مشروع السكة الحديدية إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر وذلك ما قام به "كاباني" الذي اقترح سنة 1853م مد خط حديدي يربط الجزائر العاصمة ببوسعادة مروراً بورقلة وعين صالح حتى يصل إلى مدينة تمنراست، ويتفرع عن هذا الخط خطوط ثانوية تربط مدينة طرابلس وتمتد حتى مدينة تونس، إلا أن الظروف الدولية التي عرفت فرنسا حالت دون ذلك¹.

بعد ذلك برز المهندس "ادولف دوبونتيل" واهتم بدراسة مشاريع المواصلات في سنة 1858م² الذي كان متأثراً إلى حد كبير بمشاريع السكة الحديدية في الو.م.أ، وبمشاريع التوسع الإنجليزي في قارة إفريقيا، فرأى ضرورة ربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض بشبكة من الخطوط للسكك الحديدية.

توجه "دوبونتيل" إلى الجزائر وجمع كل المعلومات الهامة حول الصحراء والسودان ونشرها في كتابه سنة 1878م، لذلك اهتمت الحكومة الفرنسية بتنفيذ المشروع وأوفدت ثلاث بعثات علمية لدراسة المشروع وهي:

- البعثة الأولى: يترأسها "بويان" ومهمتها رسم هندسي للسكة من وهران حتى منطقة توات.
- البعثة الثانية: أشرف عليها "شوازي"، وكان من أعضائها المهندس "جورج رولان" الذي قام بدراسة جيولوجية لكل مناطق الصحراء، كما اقترحوا خط من الأغواط إلى المنيعه وتوات وخط من بسكرة إلى ورقلة إلى بلاد الطوارق.
- البعثة الثالثة: برئاسة الكولونيل "فلاترس" سنة 1879م، وهدفها ربط الجزائر بمنطقة النيجر عبر المسالك الصحراوية، والبحث عن السبل للتوسع في إفريقيا جنوب الجزائر³.

إلا أن هذه أغلبيتها باءت بالفشل، وهذا راجع لظروف كثيرة منها:

- التكلفة الباهظة لهذه المشاريع ودخول فرنسا في عجز مادي كبير وكذا المدة الطويلة التي يتم فيها إنجاز هذه المشاريع .
- التصدي الكبير لهذه المشاريع من طرف القبائل الصحراوية وسكان الطوارق الذين قاموا بقتل الكولونيل فلاترز .

¹-إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص102.

²-محيي بوعزيز: المرجع السابق، ص78.

³-أحمد مريوش: المرجع السابق، ص116.

- عدم الاستقرار السياسي التي واجهته فرنسا ومعارضة أغلبية البرلمان الفرنسي لهذه المشاريع ودخول في الحربين العالميتين.

- وعورة المناطق الصحراوية والتضاريس والبيئة القاسية التي تمتاز بها الصحراء.

لكن فرنسا قامت بتعبيد الطرق الرابطة بين الشمال والجنوب في مكان السكة الحديدية لتسهيل التنقل في ذلك.

2-2 مشروع البحر الداخلي الصحراوي:

لقد واجه الفرنسيون صعوبات كثيرة في غزو جنوب الصحراء بسبب صلابة مقاومة سكان المنطقة من جهة، ومن جهة أخرى قسوة الطبيعة حيث الحرارة والجفاف، فكان لابد على المستعمر الفرنسي في أن يجد حيلة لاحتلال الصحراء مهما كلف الثمن، فلجأ الفرنسيون إلى إنشاء بحر داخلي مقتبسين في ذلك نجاح "فيرديناند دوليس" في حفر قناة السويس، لعلها تحدث تغيرا في الظروف الطبيعية القاسية ويسهل عليها عملية التوسع في الصحراء الجزائرية. وقد تحمس ضباط أركان الحرب مثل "فانسوا رودير" لهذه الفكرة، ووطد صلاته بعدد من المغامرين من بينهم "دي ليسييس" وقاموا بتشكيل هيئة في فرنسا خاصة بذلك، وحددت منطقة أحواض الجريد التونسي كنواة لهذا البحر الداخلي¹.

وتقول بعض النظريات الجغرافية والجيولوجية بأن هذه الأحواض كانت تمثل في العصور القديمة بحرا داخليا واحدا يدعى "بحر أو بحيرة تريتون"، تحدث عنها الرحالة اليوناني "هيرودوت" وكان لها ثلاث منافذ إلى البحار المجاورة، واحد إلى البحر المتوسط شمالا عبر مجرى نهر الشلف، والثاني إلى المحيط الأطلسي غربا عبر ممر تازة والثالث إلى خليج قابس بشرق تونس عبر شط فجاج، ثم إن هذا البحر جفت بعض أجزائه، وبقي البعض على أشكال أحواض وشطوط داخلية أهمها مجموعة أحواض منخفض الجريد، ومجموعة منخفض ملغيغ ومجموعة أحواض الهضاب العليا².

ونواة هذا البحر الداخلي تتكون في البداية من أحواض شط الجريد وشط الفرسة وشط فجاج التي ستوصل بخليج قابس عبر شط فجاج الذي يمثل الدرع الشرقي لمنخفض الجريد الكبير، ولا يبعد عن الخليج إلا بحوالي

¹- يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص 81.

²- يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار ومن خلال ما كتبه، المرجع السابق، ص 72.

15 كلم وذلك بواسطة حفر قناة بحرية إليه. ثم بعد ذلك يوصل هذا البحر في المرحلة الثانية بأحواض منخفض ملغيع بوادي ريغ في الغرب ومنخفض حوض إيغرغر في الجنوب عبر واد سوف¹.

شرع "رودير" في وضع الدراسات حول هذا المشروع منذ عام 1873م، وخصصت الجمعية الوطنية الفرنسية في العام الموالي مبلغا ماليا لدراسة منطقة الشطوط دراسة علمية، حيث سافر "رودير" من قسنطينة إلى بسكرة ثم إلى أحواض ملغيع، ودرس تاريخها وجغرافيتها الطبيعية والفلكية ومناخها وتضاريسها ومستواها عن البحر، وكذلك إمكانياتها الاقتصادية ووضع عددا من الخرائط والأشكال والمقاييس². وفعل مثله "دولستير" مهندس المصلحة الطبوغرافية و"دوفيري" مندوب الجمعية الجغرافية لدى بعثة "رودير" الذي درس مستوى الشطوط عن البحر وهندستها الجغرافية، وعارض في ذلك المهندس "هوكتافس" المشروع خوفا من إغراق الصحراء بمياه المحيط الأطلسي عند انجاز هذا البحر الداخلي³.

وبالرغم من اكتشاف "رودير" أن شط الجريد يقع فوق مستوى سطح البحر على عكس أحواض ملغيع وشط الحصنة، إلا أنه لم يفقد الأمل في إنجاز هذا المشروع، واعتمد على النتائج الجيدة التي يحققها هذا البحر من مختلف النواحي والمجالات.

فمن الناحية العسكرية يسمح هذا المشروع بنقل القوات الفرنسية بسهولة إلى الجنوب الجزائري دون التعرض لهجمات المقاومة ودون خسائر في صفوفهم. ومن الناحية الاقتصادية يسمح هذا البحر برفع منسوب المياه الجوفية في الشمال وخلق مساحات واسعة خصبة للزراعة في الصحراء وخلق جو ملائم لهطول الأمطار وبالتالي تحويل الجو القاسي إلى جو ملائم للعيش في الصحراء.

لكن هذا المشروع لم يلقى استحسانا من البرلمان الفرنسي نظرا لتكاليفه الباهظة والتي يأخذ مدة زمنية طويلة ودخول فرنسا في صراعات سياسية أدت إلى تجميد المشروع لغاية 1886م حيث أعيد للنقاش حوله مرة أخرى وفتح دراسة للمشروع وفي شهر جوان من نفس السنة أعلنت الجمعية الوطنية الفرنسية التي تكفلت بالمشروع عن بدأ حملة جمع المال للقيام بهذا المشروع الذي قدر بـ 300 مليون فرنك، لكن هذا المبلغ عجزت فرنسا في جمعه وألغت المشروع⁴.

¹ - أمحمد عميراي: المرجع السابق، ص 88.

² - يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار ومن خلال ما كتبه، المرجع السابق، ص 83.

³ - المرجع نفسه: ص 89.

⁴ - المرجع نفسه: ص 95.

وبعد التطور العلمي وظهور الطيران والطائرات الحربية الذي أصبح بديلا وكان في السهولة بمكان في نقل الجنود الفرنسيين إلى جنوب الصحراء، ألغيت نهائيا فكرة مشروع البحر الداخلي.

3- المبشرون ودورهم التوسعي في الجنوب

ارتبطت العمليات التنصيرية ارتباطا وثيقا بالاحتلال الأوروبي، وكان عاملا مساعدا على التوسع في كثير من البلدان، وتعد حركة التنصير من أخطر الحركات التي واجهتها الأمة الإسلامية في تاريخها المعاصر وازداد خطرها عندما ارتبطت في القرن التاسع عشر بالنظم العسكرية الإستعمارية التي فرضت على كثير من البلدان الإسلامية.

لقد كان الإحتلال الفرنسي العسكري للبلاد يكتسح المدن الشمالية والقرى، في حين كان العمل التبشيري قائم على قدم وساق في مناطق الجنوب وعمق الصحراء، يمهّدون للإحتلال العسكري، متخذين في ذلك الطرق والوسائل منها الاستكشافية العلمية والتجارية الإقتصادية.

إن الحملة التي ظاهرها خدمة سكان الجنوب وفي باطنها حملة مسعورة لتنصير السكان وتقديم الصورة الحسنة للمستعمر الفرنسي، نذكر عدة حملات منها :

3-1 حملة الكاردينال لافيغيري¹ :

كشفت فرنسا من إرسال البعثات التبشيرية إلى الصحراء، حيث بدأ أولى الاتصالات بين فرنسا والتوارق وذلك من خلال البعثات التي كان ظاهرها خدمة المعرفة العلمية وباطنها التجسس على مقدرات المنطقة البشيرة منها والعسكرية².

لقد رغب لافيغيري بشدة في توسيع نشاطه التبشيري في الصحراء الجزائرية، بعد أن أثبت وجوده في الشمال من خلال القرى المسيحية في سهول الشلف وما جاورها، فكانت البداية بإرسال ثلاثة أخوات بيض إلى

¹ -الكردينال لافيغيري: ولد لافيغيري في مدينة بايون الفرنسية سنة 1825م، وتدرج في سلك التعليم الكنسي والارشاد الكاثوليكي إلى أن أصبح كاردينا، وكون سلسلة من المدارس تسمى "مدارس الشرق"، عمل أستاذا للتاريخ الديني بالكلية الدينية بباريس، وقد شارك في التوزيع المساعدات على النصارى أثناء أحداث سورية سنة 1860، كما عمل على توسيع النشاط الكاثوليكي في المشرق، حتى قيل أن الحكومة الفرنسية عجزت عن حده من نشاطه الديني هناك، وكون مع غيره سلسلة من المدارس تسمى مدارس الشرق، وظل على صلة بها حتى بعد أن أصبح أسقفا للجزائر، توفي سنة 1892م. ينظر:

Baunard Mgr :Le Cardinal Lavigerie, 2 Tomes ,Ch.Poussielgue ,Paris 1896 ,p,p50-61

² -الغالي الغربي: ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مجلة الرؤية، ع1، جانفي وفيفري، 1996م، ص110

الأغواط ولعدم تأقلمهن مع قسوة المناخ طلبن منه العودة، وأرسل بعد ذلك اثنان من القساوسة المسيحيين هما "روشي" و"أوليف" وحددت أهداف هذه المهمة في:

- ضمان الممارسة الدينية المسيحية لدى المستوطنين بالمنطقة.
- القيام بدوريات للإرشاد الديني في أواسط فيالق الجيش الفرنسي.
- التحضير لإنشاء مراكز تبشيرية في الواحات والصحراء الكبرى.

وفي سنة 1872م توجه الأسقف "شار موتان" من مدينة الأغواط بطلب من الكردينال لافيغري نحو واد ميزاب لأداء مهمته التبشيرية التي استغرقت شهرا كاملا دون خلالها ملاحظاته حول سكان المنطقة¹.

هذه الملاحظات رفعت بدورها إلى السلطات الفرنسية بسرية تامة لتكون على اطلاع عن كذب على مجريات الأحداث التي يصعب عليها ملاحظتها أثناء دخولها في منطقة واد ميزاب.

وفي 10 نوفمبر 1872م قدم إلى متليلي الأبوين "شارموتان وفالكون"، وقد تطوع لخدمتهم رجل من متليلي الشعانبة يدعى لروي، ويبدو أنه كان يتجسس عليهما لصالح أولاد سيد الشيخ؛ لأنهما ما إن وصلا إلى المنية حتى علم بهما سي لعلا، الذي أوفد ابن أخيه سي الدين فرحب بهما واستضافهما وأدخلهما على سي لعلا، أظهر الأبوان نفسيهما على أنهما جاء لتطبيب المرضى فقاما بخدمات علاجية للمرضى، وأخبرهما سي لعلا أن الذي رافقهما هو من رجاله وأنه سيرافقهما في جولاتهما في الصحراء؛ شريطة عدم إحضار الذهب والفضة معهما من تلك المناطق².

وفي 31 ديسمبر 1875م بعث لافيغري ثلاث مبشرين هم: "ألفرد بولي" و"فيليب ميموري" و"بيار بوشان"، وقد رافق هؤلاء الآباء خمسة من الطوارق كمرشدين، إضافة إلى المرافقين من متليلي وهم: محمد وقويدر بن سانية وأخوه عيسى، والحاج بوبكر الذي التحق بالموكب طالبا أن يكون طبائحا لهم³. وانطلقوا من متليلي الشعانبة نحو بلاد الطوارق من أجل الوصول إلى تمبكتو، وقد حذرهم زعيم الشعانبة من التوغل في الصحراء لما يعرفه ما تخفيه الصحراء من قطاع طرق، إلا أن الروح التنصيرية دفعتهم لنشر المسيحية مهما كانت الصعوبات،

¹-ميزيان السعيد: النشاط التنصيري للكردينال لافيغري في الجزائر، 1867-1892م، الجزائر، ط1، دت، ص338.

²-Vellard P: **Le Sahara Mission et Histoire**, Manus., CCDS - Ghardaïa, Cote: 0007000144,f72bis

³-Baunard Mgr :op.cit ,T1 ,p497.

لكن حدث ما كان يخشاه زعيم الشعانية، ففي الطريق توقف الموكب في ضاية بوفكرون ليتزودوا بالماء من آبار زيارة وأخذ قسط من الراحة، أثناء الراحة توجهس قويدر بن سانية الذي كان يتقن اللهجة الميزابية، والتي هي قريبة من اللهجة التارقية، حين تحسس من حديث التوارق مع بعضهم البعض على عزمهم بتنفيذ مخططهم وقتل الآباء، فأبلغ أصحابه بذلك فقام الحاج أبوبكر وترجى الآباء على العودة، لكن التوارق قاموا بتقديم أسلحتهم إلى الآباء لكي يطمئنوا، والتي أرجعها لهم في اليوم الموالي¹.

بعد تيقن رجال الشعانية من غدر التوارق اختفوا في إحدى الأمسيات، فرأى التوارق أن الفرصة سانحة فانقضوا على الآباء وأردوهم قتلى، وقاموا بأخذ متاعهم وهربوا إلى عين صالح ثم إلى جبال الهقار².

هذه الحادثة استنفرت الرأي العام في مدينة الجزائر وأعلنت حالة الطوارئ، وقامت السلطات الفرنسية بتحذير المبشرين من التوغل في الصحراء لوحدهم دون حماية.

وبذلك تراجع المد التبشيري في الصحراء وذلك خوفا من أن يلحقوا مصيرا مثل مصير من سبقوهم، حيث أصبح ذكر التوارق على نفوس الفرنسيين يثير الرعب والدعر فيهم.

ارتدت الحملة التبشيرية القهقري فأصبحت تزاوّل نشاطها تحت الحماية العسكرية الفرنسية وارتكز عملهم في الجنوب الصحراوي دون التوغل داخل الصحراء، حيث أسسوا مدرسة الطرز في مدينة غرداية التي يشرف عليها الآباء البيض ومدرسة النسيج التي تشرف عليها الأخوات البيض³.

فقد أنشأت الأخوات البيض في مدينة ورقلة مشاريع لجلب النساء والتغلغل داخلهن لجمع أكبر قدر من المعلومات التي هن مطالبات بتقديمها إلى السلطات الفرنسية، فأنشأن ورشات لنسيج الزراي وغزل الصوف والوبر ومساعدة النساء بالمال والتقرب إليهن ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، أما الآباء فعملوا على فتح ورشة لصناعة الإسمنت والخزف مستميلين بذلك الرجال وكسب ثقتهم.

¹-Vellard P: :op.cit ,f 104.

²-Vuillot Paul: **L'exploration du Sahara étude historique et géographique**, Augustin Challamel Editeur, Paris 1895,p142.

³Vellard P.: op.cit ,f 110

3-2 حملة الكردينال شارل دوفوكو:

قام الأب شارل دوفوكو برحلة إلى الصحراء تحت الوصاية والحماية الفرنسية بغرض الإستكشاف والبحث العلمي فكانت أول زيارة له منطقة الأغواط، ثم توجهوا نحو مدينة غرداية ووحدات ميزاب والمنيعات وتقرت، لم تكن رحلته بالأمر الهين فقد لاق صعوبات كثيرة لكي يتوغل داخل المجتمع الصحراوي، وذلك أن أبناء منطقة الشعانية عرفوا نوايا هذه الحملات وأطبقوا عليها الخناق، فأراد أن يبعد تفكيرهم فقام بنشر فكرة مشروع السكة الحديدية وزين لهم هذا المشروع وأنه يخدم المنطقة ويفكها عن العزلة وتنتعش فيها التجارة ويسهل التنقل من وإلى الشمال.

إلا أن مهمته كانت عكس ذلك إذ ارتكزت على أمرين أساسيين هما :

- العمل على نشر النفوذ الفرنسي في الهقار وعمق الصحراء
- إدماج السكان في الحضارة الفرنسية وتنصيرهم، ورأى أن الأمرين لابد أن يكونا متكاملين ولا يمكن فصل الواحد عن الآخر¹.

ومما يمكن قوله أن التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية لم يكن وليد الصدفة بل كان تخطيطا مبرجا محكما منذ زمن، حيث كانت للمبشرين فيه النصيب الأوفر وذلك بتقديم هؤلاء بتقارير ومذكرات عن الصحراء حاثين بذلك السلطات الفرنسية على إحتلال هذه الأراضي الغنية بالثروات الظاهرة والباطنة، فعقدت بذلك العزم على إحتلال الجنوب الصحراوي مهما كلف الأمر.

02: سياسة التوسع في المنطقة .

لكي تحتل أي منطقة لابد من إنتهاج سياسة تسهل عمل ذلك وتكون أقل الخسائر فيها فلا بد من معرفة العدو والتي تعتبر في الحرب الأساس لذلك، فقامت السلطات الفرنسية بالتعبئة الكاملة لذلك وارتكزت على أمرين هامين هما: التجارة والتي تعتبر عصب الحياة وإلتقاء الناس ومعرفة أعيان تلك المنطقة وإستمالتهم إليها ليسهل لها الدخول إليها.

¹- يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار ومن خلال ما كتبه، المرجع السابق، ص 95.

2-1: القوافل التجارية :

إن إهتمام السلطات الفرنسية للمنطقة دفعها إلى السماح لقافلتين تجاريتين فرنسيتين بالإنتلاق من بسكرة إلى جنوبها يوم 13 جويلية 1844م بعد إحتلال مدينة بسكرة في مارس 1844م، ومن أجل التعرف على أسواق المدن الداخلية، حيث إتجهت واحدة إلى تقرت والثانية إلى عين صالح وصولا إلى تمبكتو، هذا ما فتح الباب لقوافل أخرى لتنظم إليها نذكر منها قافلة التاجر "ديشفري" (Dechaverier) و"ماريوس غارسين" (M-Garcin) الذي زار بسكرة وتقرت سنة 1848م لأهداف تجارية، أين قامت فرنسا بإبرام عدة صفقات ومعاهدات تجارية مع تقرت ووادي ميزاب¹.

وتوجهت قافلة تجارية بقيادة "بركس" (Prax) المنطلقة من واد سوف إلى سوق تقرت، حاملة معها 85 بندقية تونسية ومأونة من الذخيرة، وقناطر من البارود وغيرها من البضائع، هذه القافلة كانت مخصصة للتجسس على المنطقة وأخذ أكبر قدر من المعلومات لتقدمها إلى السلطات الفرنسية². كما أن هذه القوافل التجارية كانت لها أهداف أخرى كلها تصب في خدمت المستعمر الفرنسي منها إنجاح مشروع مد السكة الحديدية بين أقاليم الشمال والجنوب الذي إقترحه "كاباني" سنة 1853م، ومشروع البحر الداخلي. وأنشأت فرنسا عدة وكالات ومراكز تجارية على غرار الإنجليز، وذلك من أجل التبادل التجاري وتعين قناصله من أجل الحصول على إتفاقيات مريحة مع زعماء وشيوخ القبائل³.

إبتداءً من ستينات القرن التاسع عشر حددت فرنسا كل من البيض (الابيض سيدي الشيخ) والأغواط وبسكرة كمراكز انطلاقا واستقبال للقوافل⁴، ومن أهم المراكز التجارية التي أحدثتها، مركز عين الصفراء الذي أنشأته فرنسا ولاق إقبالا كبيرا لأهميته التجارية⁵، مركزي بني ونيف وبشار حيث تقدمت التجارة هناك بفعل

¹-رضوان شافو: التوسع الفرنسي في الجزائر "منطقة وادي ريغ على خط الاجداد"، محاضرات وشهادات حية ألفت ضمن فعاليات المتحف الجهوي للمجاهد ببسكرة وملحقاته خلال 2011م، سلسلة كتب تصدر عن المتحف الجهوي للمجاهد العقيد محمد شعباني، بسكرة، ص53.

²-رضوان شافو: مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاحتلال الفرنسي 1852-1875م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، تحت إشراف د/أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، 2006-2007م، ص119.

³-محمد حوتية: توات والازواد خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي (دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية)، ج2، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر، 2007م، ص449.

⁴- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860م-1900م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2009م، ص72.

⁵-أحمد العامري: توات في مشروع التوسع الفرنسي في المغرب من حوالي 1850 إلى 1902 م (مساهمة في محاولة الكشف عن جذور المشروع وأبعاده وعلاقته بمشروع السوداني الغربي)، منشورات كليات الأدب والعلوم الإنسانية، فاس، ط1، 1988، ص217.

إيصال المنطقة بخط السكة الحديدية، ومن ثمة تحولت بشار إلى سوق هام يعج بالتجار والسلع من جميع الأنواع¹، كما أن إحتلال فرنسا لعين صالح جعلها تتحكم في هذا السوق لموقعه الإستراتيجي؛ لأنها تقع على مسافة متساوية بين الجزائر شمالا وتبكتو جنوبا وموغادور غربا وطرابلس شرقا وبالتالي فهي ملتقى الطرق الصحراوية التي تربط القارة ببلاد السودان فضلا على أنها مركز ممتاز لتمويل الطوارق².

كما قامت بإبرام إتفاقيات ومعاهدات وذلك لإحتكار التجارة والتحكم فيها، وتوسيع مناطق النفوذ لكي يتسنى لفرنسا تحقيق مطامعها في الصحراء، حيث قامت بعقد إتفاقيات مع بعض الجهات من بينها معاهدة الحماية مع بني ميزاب في 19 أفريل 1853م. تضمنت المعاهدة :

- إعتراف بني ميزاب بالسلطة الفرنسية وحققها في بسط حمايتها على الميزابيين.
- دفع ضريبة سنوية لفرنسا تنقسمها مدن ميزاب السبع، مقابل تعهد فرنسا بضمان حريتهم التجارية بين التل والصحراء والإبقاء على عاداتهم ومؤسساتهم القضائية التي تسمى دار العرش³.
- إذا التزم بني ميزاب بذلك سيصبحون بمثابة الموظفين لدى الإدارة الفرنسية، و ستمنح لهم الحماية في أي مكان سواء في رحلاتهم التجارية أو أثناء إقامتهم في المدن الشمالية، و تكون تجارتهم معفية من أي حقوق.
- لا تتدخل الإدارة الفرنسية بأي حال من الأحوال في الشؤون الداخلية لبني ميزاب و التي تحل داخل مدنها كما كانت في السابق⁴.
- حرص فرنسا على الإجراءات الخاصة بالهدوء، و حقوق مواطنيها و القبائل الخاضعة لها مع الالتزام أن كل المدن الميزابية تدفع المبلغ الذي كانت تدفعه كل سنة إلى البايلك.
- تجارة بني ميزاب مع المغرب و تونس تستمر لكن بشرط الالتزام بدفع الرسوم و الضرائب عند الحدود، مثل أي رسوم تفرض على السلع الأجنبية، و أن عدم الامتثال لهذا القرار يستوجب مصادرة القوافل التجارية.

¹ - المرجع نفسه: ص218.

² -إبراهيم مياي: التوسع الاستعماري، المرجع السابق، صص 110-111.

³ -أحمد ذكار: حاضرة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي من سنة 1591م إلى 1883م، رسالة لنيل شهادة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ جامعة العقيد أحمد دايا، أدرار، 2009-2010م، ص148.

⁴ Charles Amat : Le M'Zab Et Les M'mzabites, Op, Cit P 20

- يجب الالتزام بغلق مدن و أسواق بني ميزاب في وجه العرب أعداء فرنسا.¹

- تحدد الضريبة السنوية ب 45,000 فرنك، يضاف ما كان يدفع سابقا فيصبح المجموع الكلي 49,837 فرنك فرنسي.²

هكذا عن طريق هذه المعاهدة استطاعت فرنسا أن تضمن حياد بني ميزاب، و تغلق مدنها و أسواقهم في وجه المقاومة الشعبية في الجنوب، و هو أسلوب جديد يضمن الولاء و الخضوع بأقل التكاليف و الخسائر، إضافة إلى محاولة تشديد الحصار على القبائل الثائرة في الصحراء، رغم كل المحاولات التي قام بها الشريف محمد بن عبد الله من أجل ثني بني ميزاب عن التوقيع على معاهدة الحماية، بل أنه حاول و بكل الطرق منع وفد بني ميزاب من التنقل إلى العاصمة لكنه فشل في ذلك.³

2-2: استمالة أعيان المنطقة :

لقد سعت فرنسا إلى استمالة أعيان المنطقة من الصحراء لأجل التعرف على البنية الاجتماعية والدينية ومدى قابلية السكان للمقاومة ومن هم في صفهم ومن هم عدوهم، لذلك بعث الحاكم العام الجنرال "راندون"⁴(Randon) بالجزائر في سنة 1855م دعوة لأحد أعيان وهو الشيخ عثمان الذي كان له صلة بالعديد من قبائل الشعابنة والطوارق، ولم تكن الدعوة مباشرة بل توسط في ذلك قائد منطقة ورقلة سي حمزة الذي كانت له مكانة وصحبة للشيخ عثمان⁵، فقاما بالزيارة إلى الجزائر واستقبلهم الجنرال راندون وبعد تبادل الكلام وجهه لهم عدة توصيات تخدم فيها السياسة الاستعمارية لفرنسا.

السياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا للتوسع في الصحراء كانت تدخل ضمن مقولة "يجب معرفة الناس للسيطرة عليهم"، وتطبيق لسياسة فرق تسد عملت السلطات الفرنسية لزراعة الشقاق بين أعيان البلاد

¹ Coyne A : **Le Mzab**, Adolphe Jourdan librairie éditeur, Alger, 1879, Pp, 36, 37.

² Henri Garrot : **Histoire générale de L'Algérie**, Imprimerie p.crescenzo, Alger, 1910, P 892

³ Randon : **Mémoires Du Maréchal Randon**, 1er Tome, Typographie Lahure, Paris, 1875, P ,179

⁴-راندون جاك لويس: هو ضابط عسكري فرنسي ولد في 27 مارس 1795م بمدينة غرونوبل الفرنسية عين ملازم أول ثم قائد سرب 1830 مارشال فرنسا سنة 1856 ينتمي إلى عائلة بروتستانتية كان وزيرا للحرية حتى 1851 قائد عملية الغزو للجزائر مما جعل شهرته أكبر كحاكم عام للجزائر لا كوزير للحرية عاصر أحداثا كثيرة منها المقاومة في الجنوب الجزائري والتي قادها الناصر بن شجرة الشريف بوشوشة والشريف محمد بن عبد الله، مات بجونيف سنة 1871

⁵-أحمد مريوش: التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916، جامعة الجزائر، مجلة المصادر، العدد 11، ص115.

وسكانهم ومن لهم روح الوطنية وزرع الحق بينهم ليسهل السيطرة عليهم، وقامت بخلق الخلاف والتشجيع له، وإحياء العرقية والطائفية وهذا ما فعلته مع عائلة بوعكاز وابن قانة، إذ قاموا بتشجيع فرحات بن سعيد على التمرد والخروج على شيخ العرب ابن قانة، ووسعت الخلاف بين أمراء بن جلاب "سلاطين تقرت" من أجل الوصول إلى الحكم، كما حاولت استمالة الطريقة التجانية بتماسين لما لها من قوة وتأثير على مريديها وعلى سكان الجنوب الشرقي بالأخص¹.

خلاصة القول: هو أن المستعمر الفرنسي لا يألوا جهدا في استعمال في كل ما أوتي من قوة وحيل مأكرة للوصول إلى أهدافه المسطر لها وهو احتلال الصحراء الجزائرية دون خسائر وفي وقت قصيرة لكن حساباتها لم تكن موفقة إلى حد كبير، وذلك لبسالة أهل المنطقة ورفضهم المطلق للاستعمار الفرنسي والذي نتج عنه مقاومات شديدة ألحقت الضرر بالمستعمر الفرنسي وأبطأت في توسعه في الصحراء الجزائرية، والتي سنستعرضها في الفصول القادمة

¹ رضوان شافو: التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص50

الفصل الثالث:

مساهمة قبائل الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف

بوشوشة

01: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله. 1851-1871

02: مقاومة الشريف بوشوشة. 1869-1873

أدت سياسة فرنسا في احتلال الصحراء عامة والجنوب الشرقي خاصة إلى ظهور مقاومات شاركت فيها جل القبائل الصحراوية، ومن بين هذه القبائل قبائل الشعانبة التي سبق وتعرفنا على أصولها وأهم مميزات حياتها، إن مقاومة الشعانبة ورغم قلة الأسلحة وبساطتها مقابل ما تملكه فرنسا من قوة وعتاد إلا أنها استطاعت أن تزعزع استقرار فرنسا وتأخر استعمارها لمنطقة الجنوب إلى غاية 1882م، فلهذا تعتبر مقاومة الشعانبة من أطول الحروب التي خاضها الشعب الجزائري ضد الغزاة المعتدين، منذ أن خططت فرنسا لاحتلال الجنوب الجزائري سنة 1853م.

لقد تركزت معارك الشعانبة ضد فرنسا على جبهات عديدة، فمن الناحية الشرقية امتدت من ورقلة إلى المنيعة، أما من الناحية الغربية فتشمل المنطقة الشمالية للعرق الغربي، بالإضافة إلى الناحية الشمالية التي تضم ملحقة البيض، سنذكر في هذا الفصل أشهر المقاومات التي شارك فيها الشعانبة ضد المستعمر الفرنسي وهي مقاومتي الشريف بن عبد الله ومحمد بوشوشة.

01: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله

أولاً: أصل وحياة الشريف محمد بن عبد الله

ينتمي الشريف محمد بن عبد الله إلى أولاد سيدي أحمد بن يوسف اسمه حسب الوثائق الفرنسية بن أبي فارس، أتم تعليمه وحفظ القرآن الكريم في قبيلته قرب عين تموشنت ثم انتقل بعائلته إلى تلمسان حيث اشتغل معلماً للقرآن الكريم في زاوية أولاد سيدي يعقوب المنتمية إلى أولاد سيدي الشيخ¹، عينه الجنرال "بيجو" سنة 1842م خليفة على تلمسان لما تظاهر به من ولاءه للفرنسيين ومعارضته لمقاومة الأمير عبد القادر، ولكن تشكيك فرنسا في ولاءه لها وتعرضه لمضايقات تخصه وتخص الدين الإسلامي جعلته يتخذ موقفاً معادياً ضد الفرنسيين لمدة تقرب الثلاثين سنة بالجزائر.

ولم يكشف عن موقفه ضد فرنسا من البداية، إذ بقي يشارك معها في معارك ضد القوات المغربية أثناء مقاومة الأمير عبد القادر، وبعدما اكتشف أمره سنة 1844م طلب منه الفرنسيون بأن يذهب إلى الحج ليتخلصوا من مشاكله كما تذكر الرواية الفرنسية، وهكذا غادر تلمسان ليذهب إلى الحج² أين وجد عدد من الجزائريين المنفيين والمطرودين الهاربين من الضغط الفرنسي وكان من بينهم محمد بن علي السنوسي الذي طرد من الجزائر من طرف الاحتلال الفرنسي واشترك معه في تأسيس جمعية دينية هناك، حيث أُنشئت لأداء واجباتهم الدينية³، وتدارس مشاكل بلادهم وتنظيم المقاومة ضد المستعمر الفرنسي، ونظراً لتبعض الأحداث التي كانت تعيشها الجزائر عزموا على مقاومة الاحتلال الفرنسي هناك⁴.

وعزم محمد بن عبد الله على العودة إلى الجزائر بمباركة السنوسي مع الحكم العثماني الجديد لطرابلس أحمد عزت باشا لإعلان المقاومة ضد الفرنسيين أين وصل إلى طرابلس الغرب، ثم دخل الجزائر عن طريق غدامس،

¹ ويذكر مانجان في كتابه "تاريخ الأغواط" أن إبراهيم هذا كان مرابطاً بسيطاً في أولاد أحمد بن يوسف من عرش الغسول ويقطنون شمال تلمسان وأنه كان في سنة 1840م يعلم في زاوية سيدي يعقوب من أولاد سيدي الشيخ، ومنذ 1840م شعر بصمته الدينية تزداد انتشاراً فخرج على رأس قبائل الاطراوة والغسول وبني عامر لمحاربة الفرنسيين مع الآغا مولاي الشيخ علي، ولكن هذا الآغا خرج عن طاعة الأمير عبد القادر وتبعه إبراهيم الذي أصبح بعد ذلك يحارب باسم محمد بن عبد الله، وتسمى بهذا الاسم لإخفاء اسمه المعروف عند السلطات الفرنسية. ينظر: سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، 1830 - 1900م، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، بيروت لبنان، 1992م، ص355.

² - يحي بوعزيز: ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص151.

³ - يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، عالم المعرفة، ط2، الجزائر، 2004م، ص ص 103 - 104.

⁴ - المرجع نفسه: ص ص 104 - 105.

الفصل الثالث: مساهمة الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

حوالي سنة 1850م واستقر في ورقلة متخذاً اسماً جديداً له هو محمد بن عبد الله إخفاء لاسمه المعروف للسلطات الفرنسية¹، وبفضل نشاط محمد بن عبد الله ورسائل السنوسي الذي كان يتلقاها والمؤيدة له، استجاب الناس لمحمد بن عبد الله وتجنّدوا تحت لوائه².

ويقال عن مبايعته سلطاناً على ورقلة أن السيدة الزهرة التي كانت في يدها السلطنة على ورقلة مع عبد الله بن خالد، أمّا هي التي عرضت على الشريف محمد بن عبد الله السلطنة على ورقلة، فقبلها وسمى نفسه أو سمته هي بسلطان ورقلة وهي السلطنة التي كان أبو حفص عمر بن الحاج بايعة يطمح لها³.

ثانياً: تحالف الشعانية مع الشريف محمد بن عبد الله

تشير الكتابات الفرنسية إلى أن شعانية ورقلة كانوا من أوائل قبائل ورقلة الذين استجابوا أو بايعوا الشريف محمد بن عبد الله بعد إعلانه للجهاد⁴، وفي جويلية 1851م انضمت إليه قبائل الشعانية من متليلي في 12 سبتمبر 1851م وشعانية المواضي والمخادمة وبنو ثور وسعيد وابن ناصر بن شهر الذي بعث برسالة إلى الشريف بالحرش آخ أولاد نايل يؤكد فيها التحاقه بالشريف محمد بن عبد الله، حيث قال في مضمون الرسالة ما يلي: "محبنا و غاية ودنا السيد محمد الشريف... السيد محمد بن عبد الله قدم و ميعاد المخادمة و الشعانية معه... و لم تبق لنا طمعة في بلاد الفرنضيص... و أنت حسبنك منا و إلينا و حسبنك نحن لك و عليك، و أنت في موضعنا... الوصاية"⁵. ولم يكلف سي الشريف بالأحرش نفسه الرد على هذه الرسالة بل حولها بتاريخ 01 نوفمبر 1851 إلى قائد شعبة المدينة⁶.

وبهذا التحالف تشجع هذا الأخير و ازداد نفوذه و عزم فعلا على التحرك ضد الاستعمار و أعوانه، فزحف بتاريخ 11 ديسمبر 1851 على رأس جيش متكون من قبائل سعيد عتبة، و شعانية (بوروية) ورقلة وشعانية المواضي الذين قدموا من المنيعلة لتدعيم صفوفه، وكانت وجهة الشريف هذه المرة عقلة المقاديم، وهي منطقة تقع بين بريان والأغواط - حيث تقطن أغلبية قبيلة أولاد سعد بن سالم

¹ - إبراهيم مياي: الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 108.

² - يحي بوعزيز: ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 154.

³ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 6.

⁴ - المرجع نفسه: ص 358.

⁵ رسالة من ابن ناصر بن شهرة إلى سي الشريف بالأحرش آخ أولاد نايل بدون تاريخ و قد تكون كتبت في شهر أكتوبر 1851 و الدليل على ذلك أن سي الشريف بالأحرش حولها بتاريخ 01 نوفمبر 1851 إلى قائد شعبة المدينة، المصدر: H10 1 A.N.O.M ينظر الملحق رقم 09 ص 154

⁶ Mangin : Note Sur L'Histoire de Laghouat, Adolphe Jourdan, Libraire Editeur, Alger, 1895, P40.

الفصل الثالث: مساهمة الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

الذين سارعوا إلى حمل أسلحتهم ، كما استنفرت القوات الفرنسية و أعطيت الأوامر الشريف بالأحرش للتحرك نحو عقلة المقاديم، مدعوما ببعض من أولاد نايل بقوات قدرها 500 فارس ، و بني الأغواط بقيادة الشيخ علي ابن أحمد بن سالم بقوة قدرها 150 فارس، و جبل عمور بقوة قدرها 150 فارس تحت قيادة الدين هبن يحي¹.

لكن الشريف استطاع أن ينتصر عليهم و قتل منهم حوالي 386 رجل كما غنم منهم الكثير من البنادق بالإضافة 500 رأس من الإبل و 400 رأس من البقر و أكثر من 4000 رأس من الغنم² ، ففي رسالة وجهها الشريف محمد بن عبد الله إلى مدير غدامس الحاج موسى آغا يسرد فيها بعض تفاصيل هذه المعركة فيقول " من محمد بن عبد الله إلى الفاضل الورع الحليم البدر الكامل مدير غدامس سيدي الحاج موسى آغا...و أما أنا عبد الله حين قدمت إلى بلاد ورقلة وفتح الله علينا بها و صارت محمدية بعدما كانت في يد الرومي دمره الله و خليفة الرومي فيها...و صاروا عربان ورقلة و قصورها و قبائل الشعانية و قصور تقرت و عربانها و الأربع و الحرازية و الحجاج و كثيرا من عربان الظهرة و قصور بني ميزاب كلهم تحت طاعة الله و رسوله و طاعتنا ، و المجاهدين كل يوم في زيادة...و بعث لنا الرومي دمره الله في هذه الساعة ثلاث محل، محلة من بلاد العمور و محلة من بلاد الأغواط و محلة من جهة النوايل،والشعانية تلاقينا معهم و صرنا مثل الشامة البيضاء في ثور أسود فنصرنا الله نصرنا عزيزا ، و أعلننا على أعدائه و وقع القتال بيننا بالبارود و السيوف حتى كسرناهم كسرة عظيمة و قتلنا منهم نحو ثلاثة مائة و ستة و ثمانون رجلا و قلنا من الخيل كثير و البنادق بلا عدد و الخزنة و الإبل و الاخبية و الحمد لله على ذلك"³

¹ Lehuraux: **Les Auxiliaires De L'Armée (Goum Et Makhzens Algériens)** L'Armée D'Afrique N° 54, 6ème Année 1929, P 123.

²Charles Féraud : **Notes Historiques sur La Province de Constantine, Les Ben Djellab Sultans de Touggourt**, R.A N° 23, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1879, P 491

³الرسالة مؤرخة بتاريخ 6 جمادي الثانية 1268 الموافق لشهر مارس 1852 ينظر أحمد صدقي الدجاني: مرجع سابق ص 1، للإطلاع على هذه

الرسالة ينظر: Mangin : Op, Cit, P 112

الفصل الثالث: مساهمة الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

بعد ذلك أخذ الشريف محمد بن عبد الله يستعد لغزو مدينة بريان و كاتب بقية المدن الميزابية يطلب منهم الخضوع و تقديم فروض الولاء و الطاعة لسلطته، غير أنهم رفضوا ذلك بل إنهم أعلنوا استعدادهم لمحاربته و تحدوه قائلين له " إذا أردت القتال فاتجه للفرنسيين مباشرة أعداء البلاد." في هذه الأثناء انسحب سي الشريف بالأحرش نحو بني يزقن بغرداية الذين استقبلوه بحفاوة، و منحوه ما احتاجه لهذه المهمة، لكن وقع ما لم يكن في حسبانهم بحيث اتصل كل من " بوزيان " و " بجرة " قادة بني الأغواط بالشريف محمد بن عبد الله في متليلي الشعانية ووعده بانضمامهم إليه بتقديم 500 من المشاة لتدعيم صفوفه¹.

وبعدما اكتشف الشريف بالأحرش خيانة بني الأغواط طلب النجدة من القائد العام لمنطقة بوغار حيث جاء في رسالته : " إذا كنتم فرنسيين كما أعرف بعصبيتكم و شجاعتكم ...فلتأروا لهذه الخيانة". بادرت في الحال السلطات الاستعمارية بنجدته برسلة النقيب بيتي Petit القائد الأعلى لمنطقة بوسعادة متجها إلى واد جدي.²

من أجل ذلك سارعت السلطات الفرنسية في وضع استعدادات وحواجز تحمي بها حدودها من المناطق التالية بمساعدت القبائل الموالية لها.

كما قامت السلطات الفرنسية بإعدادات تنظيم جديد للجنوب تمثلت في تعيين الأغوات الذين يخدمون مصالحها، بحجة حماية مصالحها التجارية ومنع التمرد ضدها³.

وقام الشريف محمد بن عبد الله بهجمات ضد الفرنسيين وحلفائهم في الأغواط والحلفة وتقرت وواحة تماسين، ولقبه الشعانية بالشريف ولكنهم لم يشيروا إلى مكان تواجد تلك الخيام التي كانت منطلقا لمقاومة الشريف محمد بن عبد الله⁴، في حين رفض سكان ميزاب الانضمام إلى ثورة الشريف محمد بن عبد الله عام 1852م، وربما يعود هذا الرفض للعامل المذهبي أو الخوف من بطش الفرنسيين. وقد تمكن الشريف بن عبد الله من كسب قوة كبيرة إلى صفه وذلك باستعانتة لشعانية ورقلة الذين كانوا يمثلون إحدى أهم وأقوى المكونات القبلية لورقلة منذ القرن السابع عشر وذلك لبسط سلطته على ورقلة ومقاومة الاحتلال الفرنسي لتحرير بقية

¹Mangin : Op, Cit, P 41

² Barbier J : **Géographie Militante, Voyages Et Exploration, Le Rôle De La Femme Dans La Géographie, Les Voyageuses**, Bulletin De La Société De Géographie De L'est, Tome XVII, Nancy, 1895., P 357.

. 3المبشر : عدد 113 بتاريخ 15 افريل 1852

⁴-Bevia: **Notes pour servir a l'historique d'Ouargla** ،Revue Africain ،64 ،Ben Aknon (Alger) ، 1923 ، p395.

الفصل الثالث: مساهمة الشعابنة في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

المدن الجزائرية¹. كما لى شعابنة متليلي (البرازقة) نداء الشريف محمد بن عبد الله من أجل مقاومة الاحتلال الفرنسي². فقد جاء في مراسلاته أنه لقي التأييد من الشعابنة والأرباع وطرود وغيرهم³ والتي انضمت إليه في 12 سبتمبر 1852م⁴.

ويذكر تروملي في ذلك أيضا: "... أن هذا السلطان جاء من الشرق وأن أصحاب متليلي قد بعثوا له جوادا استسلاما له وهو الذي تولى سنة 1842 إلى 1848م وظيفة خليفة في تلمسان، وصار شهير تحت تسمية شريف ورقلة باعتبار الدور الذي لعبه في الصحراء من 1851 إلى 1855م، وكان رئيس الغزوات التي عجلت بظهورها في الصحراء القاسية"⁵، ويذكر أيضا "أن سلطان ورقلة وجد نفسه في زمن قصير على رأس قوات ضخمة نسييا وكان يزداد كل يوم بفرسان من بعض القبائل المجاورة وشعابنة متليلي الذين وضعوا تحت تصرفه مجموعة من مجنديهم، فقد قدموا لقضيته⁶ دعما محترما.

ثالثا: جهاد الشعابنة مع الشريف محمد بن عبد الله

تجلت مقاومة الشعابنة مع الشريف محمد بن عبد الله في البداية في مقاومة القبائل المتعاونة مع الاحتلال الفرنسي⁷.

ويذكر بأن ثورة شريف محمد بن عبد الله هي ثورة الشعابنة الأولى (1849/ 1854م)⁸ نظرا للمشاركة القوية والفعالة لقبائل الشعابنة الذين كانوا يشكلون أهم وأقوى فصيل في الجيش الذي قاوم القبائل المتعاونة مع الاحتلال الفرنسي في مناطق الجنوب الشرقي والتي كانت بدايتها تقترت ثم الأغواط. وبعدها انضمت إليه

¹- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص359.

²-M – Passager :o.p.cit , p511.

³- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص359.

⁴- يحي بوعزيز: ثورة الشريف محمد بن عبد الله 1846م - 1895م، الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي بالجنوب - الأغواط 23، 24، 25 ماي 1998م، جمعية أول نوفمبر 1954م لتخليد وحماية مآثر ثورة التحرير الوطني، ص129. ينظر الملحق رقم 10، ص 155.

⁵-س. تروملي: الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية، تر: محمد المعاري، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 64 - 66.

⁶ نفسه، ص ص 92 - 93.

⁷- يحي بوعزيز: ثورة الشريف محمد بن عبد الله، المقال السابق، ص130.

⁸- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص358.

الفصل الثالث: مساهمة الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

شعانية متليلي وكل قبائل ورقلة من شعانية، المخادمة، بني ثور، سعيد، عتبة، الأرباع وتماسين في 12 سبتمبر 1851م، وقد بلغ عددهم 100 فارس و300 مشاة، ليهاجموا أولاد مولات حلفاء فرنسا بالزيبان¹.

وبعد أن استولى على نقوسة ودخل تماسين² من دون حرب انضم إليه سلطان تقرت السابق بن جلاب الذي عزلته فرنسا وعوضته بابن عمه عبد القادر بن جلاب وكثر جيشه³؛ إذ بلغ 100 فارس و900 من المشاة والمكونين أغلبهم من الشعانية والمخادمة، ثم هاجم عبد الرحمان سلطان تقرت في أكتوبر 1851م، غير أن السلطان عبد الرحمان تصدى للشريف على رأس جيش تعدادده 600 فارس و150 من المشاة إذ خسر حوالي 30 قتيل و8 جرحى⁴.

ولكنه اضطر إلى مواجهته مرة أخرى، إذ تمكن من قتل 80 رجلا وغنم 25 حصانا للسلطان عبد الرحمان وإرغامه على الإعتصام في قصره⁵.

غادر محمد بن عبد الله تقرت واتجه إلى جبال العمور لجمع المزيد من الأنصار، وعند دخوله صادر أملاك عائلة شيخ نقوسة شمال ورقلة واعتقل الشيخ بوحفص وإخوانه وسجنهم بالرويسات قرب ورقلة⁶.

وفي أوائل ديسمبر 1851م خرج من ورقلة برفقة عدد من شعانية بوروبة، وشعانية المواضي وسعيد وعتبة الذين أتوا للانضمام إليه وساروا ضد أولاد ساعد بن سالم من أولاد نايل وتمكن من مباغته هذه القبيلة عند واد الأحمر، واتجه إلى بريان أين التقى ابن ناصر بن شهرة⁷ الذي قبل الانضمام إلى صفوفه⁸ وراسل منها المدن الميزابية وعرض عليهم الانضمام إليه إلا أنهم رفضوا عندها أدرك الشريف أن ساعة دخول الأغواط لم تكن وقرر أن يعسكر جنوب متليلي الشعانية صحبة عدد من الشعانية والمخادمة والأرباع الذين بلغ عددهم 2800 رجل⁹.

¹-J – Bevia: op.cit ، p395 .

²أنظر : الملحق رقم : 11-12 ، ص ص 156-158

³-سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص358.

⁴-J – Bevia: op.cit ، p396.

⁵-س . تروملي: المصدر السابق، ص ص 65 - 66.

⁶-محمد سلمان الطيب: موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، م2، ط1996، 2/م1417هـ، ج2، ص1012.

⁷ ابن ناصر بن شهرة: هو ابن ناصر بن شهرة بن فرحات، يعود أصله إلى قبيلة المعامرة المنحدرة من الأرباع، ولد سنة 1804م بقرية المخرق جنوب مدينة الأغواط، كان يشتهر بالشجاعة لأنه نشأ في وسط عائلي يتمتع بالبطولة والشجاعة والشهامة والفروسية، انتمى إلى الطريقة القادرية وارتبط، وهو ما جعله خصما وعدوا للطريقة التيجانية وأتباعها، ينظر: إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 136.

⁸-J – Bevia: op.cit ، p397 .

⁹-E – Mangin – Notes sur l’histoire De La Ghouat – In – R – A – V38 – 1894 – p278.

الفصل الثالث: مساهمة الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

وكان اختياره لمتليلي الشعانية كقاعدة للتخيم وإدارة العمليات بسبب اطمئنانه وثقته في الشعانية لأن شعانية متليلي كانوا قد ناصروه منذ شهر أوت 1851م، إضافة إلى أن متليلي الشعانية كانت آمنة وليس لفرنسا أي نفوذ بها، وليتحرك في كل الاتجاهات¹.

ولم يطل فيها المكوث وعاد إلى ورقلة وعين الشيخ الطيب بن بابية شقيق الشيخ بوحفص رئيسا على نقوسة عوضا عن أخيه الذي رفض الاعتراف به².

رابعا: أهم معارك الشعانية ضد الفرنسيين:

بعد أن أحقق محمد بن عبد الله في محاولته غزو منطقة الأغواط، وبعد أن استطاع جمع قوة كبيرة بلغت 2800 رجل³ من ضمنها شعانية متليلي توجه يوم 22 ماي 1852م إلى منطقة متليلي وخاض معركة ضارية ضد القوات الفرنسية انتهت بانتصار محمد بن عبد الله، وخسارة الطرفان العديد من القتلى والجرحى.

بالإضافة إلى خوض الشعانية معركة برفقة محمد بن عبد الله يوم 4 أكتوبر 1852 في منطقة واد مزي قرب الأغواط ضد الفرنسيين بقيادة الجنرال يوسف وذلك من أجل التعجيل باحتلال الأغواط ووقف زحف ثورة محمد بن عبد الله نحو الجنوب، والذي قتل له فيها 200 رجل وأخذ منه 200 جمل من أعوان السلطات الفرنسية و20 ألف رأس غنم⁴، وذلك بسبب النقص الكامل لوسائل الحصار، وعلى إثر هذا دخل محمد بن عبد الله الأغواط أين لقي ترحيب من السكان وتم تحرير الأغواط لفترة محدودة من سيطرة حلفاء الفرنسيين وهم أولاد أحمد بن سالم إذ تم طردهم لهذا زاد حماس السكان للدفاع عن الأغواط مع الشريف محمد بن عبد الله ضد الفرنسيين⁵.

¹- يحي بوعزيز: ثورة الشريف بن عبد الله، المقال السابق، ص132.

²- يحي بوعزيز: ثورات الجزائر، ص155.

³- المرجع نفسه : ص156.

⁴- إبراهيم مياشي: المرجع السابق، ص113 - 114.

⁵- س . تروملي: المصدر السابق، ص101.

1. معركة 2 ديسمبر 1852م في الأغواط:

وهي المعركة التي جندت لها فرنسا قوات كبيرة من الشمال من أجل الإنتقام من الشريف محمد بن عبد الله، استمرت 4 أيام¹، بعد أن أدركوا خطورة حركته، فقد قام الجنرال "راندون" "Randon" بتجنيد ثلاث فرق لمحاربتة من وهران ومعسكر والمدينة.

الأولى تركزت بالجلفة بقيادة الجنرال يوسف والثانية في البيض بقيادة الجنرال "بيليسيه" "Pelissier" والثالثة بقيادة الجنرال ماكماهون والتي كلفت بحماية منطقة بسكرة والواحات الشرقية وقسنطينة².

ثم ليتوجه بيليسيه بالقسم الأول الذي يتكون من الأركان الخاصة وطابور من الفرسان وفيلق من النخبة ومفرزة للانتقال إلى الأغواط يوم 2 ديسمبر، أما القسم الثاني من الجيش بوسكران لتتم المواجهة يوم 3 ديسمبر لاحتلال المواقع الإستراتيجية كالتلال المحاطة بالمدينة وروية مسجد الحاج عيسى، لكن المجاهدين تصدوا لها وحاولوا عرقلة هذه العملية³، إذ خسرت السلطات الفرنسية فيها الجنرال بوسكران وعددا من الضباط والعساكر، ونظرا لعدم تكافئ القوتين تمكنت فرنسا من احتلال الأغواط وتدميرها، قتلت حوالي 250 شهيدا جزائري⁴، دون أن تتمكن من القضاء على الشريف محمد بن عبد الله الذي فقد كل جنوده في هذه المعركة ما جعله يتراجع مع ابن ناصر بن شهرة، ويلجأ إلى قبيلة الشعانبة الموجودة في حاسي عين ناقة⁵. وهكذا كان احتلال الأغواط بالنسبة للفرنسيين يمثل نقطة ارتكاز إستراتيجية باعتبارها بوابة الصحراء كلها، حاولوا من خلالها استمالة سكان الصحراء وبناء على هذا قاموا باستمالة سي حمزة⁶.

كما أنه على إثر هذه المعركة رأى الوالي العام راندون بضرورة الإسراع بتوجيه حملة عسكرية للإنتقام من شعانبة متليلي المساندين لمحمد بن عبد الله، إذ أمر بتجهيز طابورين عسكريين الأول هو طابور معسكر المتكون

¹- سليمان بوغلاية: حصار 20 نوفمبر 1960م لقلعة المقاومة ومهد الثوار متليلي، د.ط، 2013م، ص 03.

²- يحي بوعزيز: ثورات الجزائر، ص 155.

³- إبراهيم مياشي: المرجع السابق، ص 118 - 120.

⁴- نفسه، ص 124

⁵-Alain Reney le Said Otba De N'giussa – Histoire et Etat Actuel De Leur Nimadisme – c'harmattan – Paris – 1983 – p64.

⁶- سي حمزة: هو حمزة بن سيدي بوبكر من قبيلة أولاد سيدي الشيخ، ولد في أواخر 1818م بقرية لبيض سيدي الشيخ، نشأ في زاوية أجداده وتعلم القرآن واللغة العربية، وتعلم ركوب الخيل وتدريب على حمل السلاح، عينته فرنسا كخليفة على مناطق واسعة من الصحراء امتدت من البيض إلى ورقلة، كان له دور في تراجع مقاومة الشريف محمد بن عبد الله وابن ناصر بن شهرة في الأغواط وورقلة ولكنه سرعان ما قتلته فرنسا لخلاف كان بينهما سببه إنتشار نفوذه لدى القبائل الصحراوية توفي سنة 1861م. ينظر: رضوان شافو: مقاومة منطقة تقرت، ص 78. سعد الله: الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 87.

أساسا من اللفييف الأجنبي وقناصة إفريقيا تحت قيادة الرائد نيكو Niqueux الذي انطلق من سعيدة، والثاني هو طابور تيارت المكون من الزوافة والصباحية والقومية¹. تحت قيادة الرائد دي بارايل Du Baril الذي انطلق من الأغواط كما أصدر بأن تكون أوامره بأن تكون القيادة العامة لهذين الطابورين للنقيب دوريو Durrieu القائد العسكري للأغواط². ولم يتوقف نشاط محمد بن عبد الله وأتباعه من الشعابنة وغيرهم عند هذا الحد، إذ أنهم في سبتمبر 1853م حاولوا غزو الأغواط مرة أخرى في يوم عيد الأضحى مع محمد بن عبد الله وابن ناصر بن شهرة وسي النعيمي، الذي كان غاضبا على أخيه سي حمزة لأنه أعلن ولائه لفرنسا فقد جعلته خليفة على البيض واتخذته وسيلة ضد محمد بن عبد الله وأتباعه، خاصة بعد أن انضم إليه سي النعيمي، فقد جندت له فرنسا قوات كبيرة وتمت معارك بينهم في بريزينة والرويسات، هزم فيها محمد بن عبد الله وأتباعه، كما جرح فيها ابن ناصر بن شهرة ثم لينسحبوا إلى نفطة التونسية والتي بقوا فيها شهورا³.

2. معركة المقارين (قرب تقرت) 28 نوفمبر 1854م:

وقعت هذه المعركة في 28 نوفمبر 1854م بالمقارين⁴ بالقرب من تقرت، بلغ فيها عدد جيش المجاهدين من الشعابنة وقبائل صحراوية أخرى 800 فارس و200 من الفنطازية بينما بلغ عدد القوات الفرنسية التي كانت مجهزة لها بـ 250 جندي نظامي و2400 من الاحتياطيين وقوات الصباحية بقيادة العربي المملوك المكونة من 150 فارس قادها كل من مارميه Marmier وديفو Desveaux وبان⁵ Bane.

انتهت المعركة بفرار الشريف محمد بن عبد الله وسلمان بن جلاب من تقرت اللذان كانت تريد القضاء عليهما في هذه المعركة وبسبب اتخاذ القوات الفرنسية خطة مضبوطة في الهجوم ضدهم، إذ دامت من الثامنة صباحا إلى الثانية زوالا، حيث تمكنت على إثرها من إطاحة 500 شهيد وحريح وغنم 1000 بندقية و100 سيف و5 رايات في حين قتل للفرنسيين 11 عسكريا و46 جريحا⁶. بالإضافة إلى أنها تمكنت من دخولها

¹- القومية: فرقة عسكرية في الجيش الفرنسي، تتكون من عناصر جزائرية في خدمة الإستعمار الفرنسي، تم تشكيلها لتبدوا كعناصر وطنية ترتدي لباس محلي وتملك مركوبها (المهاري) وسلاحها ولا تقيم في الثكنات. ينظر عبد المالك مرتاض، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص ص 91، 92.

²- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 87.

³- يحي بوعزيز: ثورات الجزائر، ص ص 156 - 157.

⁴- المقارين: مدينة تقع شمال تقرت وهي مقر دائرة تابعة لولاية ورقلة، تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 650 كلم.

⁵- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص ص 360 - 361.

⁶- رضوان شافو: الحملة العسكرية الفرنسية على منطقة وادي ريغ وردود الفعل الشعبية 1854-1875، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، العدد 14، مارس 2014، ص ص 108 - 109.

الفصل الثالث: مساهمة الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

تقرت يوم 05 ديسمبر 1854م وعينت عليها فرحات بن سعيد من عائلة بو عكار يلقب بعلي باي، وأثناء هذه الفترة التجأ محمد بن عبد الله إلى تونس ليداوي الجروح التي أصيب بها¹، ولكن هذا لم يقف عائقا له في عودته إلى المنطقة وقام بتحريض سكانها الذين لم يصلهم العدو الفرنسي وخاصة الشعانية والمخادمة وسعيد عتبة والأرباع.... إلخ وبواسطتهم ظل يكرر هجومه على القوات الفرنسية في الأغواط وتقرت إلى أن استقر في 1861م بورقلة نهائيا².

وبعد أن تركز محمد بن عبد الله في الرويسات علم سي علي باي³، أن الشعانية والمخادمة وبني ثور لا يمكنهم التخلي عن الشريف وتأكد من أن المعركة ستكون خاسرة فقد لمس علي باي نوعا من التخاذل لدى مشاة السوافة سواء كان خوفا أو خيانة، لهذا لم يستطع علي باي بذلك القضاء على محمد بن عبد الله المتحصن جيدا وهو ما جعله يعود إلى تقرت⁴.

وكذلك سنة 1865م هاجمت مجموعة من الشباب قافلتين عسكريتين كانتا عابرتين للمنطقة بين غرداية ومتليلي، توجه العقيد دو سونيس "Do Sonis" بفرقة إلى متليلي يوم 04 جانفي 1866م لمعاينة متليلي فقاموا بهجوم مباغت على السكان وخربوا ممتلكاتهم⁵، إذ واجه الشعانية هذا الهجوم بكل ما أوتوا من قوة، لكن القوات الفرنسية أجهزت على المدينة وأتت على الأخضر واليابس، والتي أسفر عنها استشهاد العديد من الشعانية البواسل، ومما يشهد على هذه الواقعة قبورهم الموجودة في مقبرة بمدخل مدينة متليلي (مقبرة سيدي ثامر)، غير أن الشعانية لم يزد هم هذا إلا تمسكا بالجهاد والكفاح ضد الفرنسيين مع الشريف محمد بن عبد الله⁶.

ونذكر من ثورات الشعانية المتفرقة مايلي:

¹ - أنظر : الملحق رقم 13، ص 159.

² -أحميدة عمراوي: السياسة الفرنسية، المرجع السابق، ص 46.

³ -علي باي: هو علي باي بن فرحات بن سعيد من عائلة بوعكار الداودية، عينه الفرنسيون على تقرت خلفا لسلطة بني جلاب بعد سقوط إمارتهم، وقد ادعى هذا القائد أنه من نسل بني جلاب، ولعله أراد بذلك أن يجعل لنفسه هبة لدى سكان تقرت، فاعتماده على هذا النسب يجعل له قيمة كبيرة في مدينة كان الحكم فيها مقتصر على بني جلاب منذ سنوات طويلة. ينظر: رضوان شافو: مقاومة منطقة تقرت، المرجع السابق، ص 89.

⁴ -J – Bevia, op. cit, P401.

⁵ -حسن هجي: مقاومة الشعانية في تاريخ الوحدة الوطنية الجزائرية، جريدة الجمهورية الأسبوعية، العدد 190، من 02 إلى 08 ديسمبر 1992م.

⁶ -Charles feraud – Notes Historiques sur la province de Constantine – revue Africain – N31 – 1986 – p30

1) مقاومة 1863م بقيادة بطل الشعانبة المدعو سليمان بن حمزة، الذي خاض معركة ضد النقيب بيران "burin" في جانفي 1863م¹.

2) كذلك معركة متليلي بين الشعانبة وقوات الاحتلال الفرنسي بمتليلي بتاريخ 26 مارس 1863م.

3) جرت معركة بين قوات الاحتلال الفرنسي تحت قيادة العقيد بوبريتز "Beau brette"، والشعانبة تحت قيادة سليمان بن حمزة، وذلك بتاريخ 8 أفريل 1863م، انتهت باستشهاد قائد الشعانبة سليمان بن حمزة، بعد أن لقن الاستعمار الفرنسي دروسا في الحروب وخلفه أخوه محمد بن حمزة الذي تزعم كل الثورات بالجنوب لشبكة متليلي بعد أخيه الشهيد².

4) معركة متليلي 1866م: جرت هذه المعركة بتاريخ 04 جانفي 1866م، وكان جيش المقاومة تحت قيادة السي لعلا، أما الجيش الفرنسي فكان تحت قيادة العقيد أرماندو وبعد هذه المعركة انسحب السي لعلا وقواته إلى مدينة المنيع³.

أما سنة 1869م، فتعتبر منعطا كبيرا في تاريخ ثورات الشعانبة ضد الوجود الاستعماري بالمنطقة، حيث دخلت القوات في اشتباكات متعددة أهمها معركة 1869م في عين مداح، وكانت تحت قيادة السي العلا وقدور بن حمزة في مواجهة الرائد دي سونيس "De sonis"، الذي كان على رأس قوة كبيرة ولكنه مني بهزيمة أكبر.

ومن خلال هذه المعارك المتفرقة الأخيرة، نجد انعدام الكتابات حولها، ولا نجد تفاصيل عنها، بل مجرد إشارات إليها، وإن دلت عن شيء فإنها تدل على أن الشعانبة قاوموا الاحتلال الفرنسي وكانوا سباقين لذلك سواء بأنفسهم داخل منطقتهم أو بانضمامهم لمقاومات شعبية كبيرة شملت منطقة الجنوب⁴.

سادسا: تراجع مقاومة الشعانبة مع الشريف محمد بن عبد الله:

أخضعت بعض من الشعانبة لسلطة سي حمزة من أولاد سيدي الشيخ الذي عينته فرنسا خليفة على البيض مقابل إخضاع القبائل الثائرة، نظرا لما قام به في إقناع قبيلة الشعانبة بالعدول عن إتباع محمد بن عبد الله، والتي كانت تراها القوات الفرنسية عائقا أمامها⁵، والدور الذي لعبه علي باي قائد واد ريغ الذي استولى

¹- سليمان بوغلاية: حصار 20 نوفمبر 1960م، المرجع السابق، ص25

²- حسن هجي، مقاومة الشعانبة في تاريخ الوحدة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص02.

³- المرجع نفسه، ص 10.

⁴- أنظر: الملحق رقم 14، ص 160.

⁵- س. تروملي: المصدر السابق، ص136.

الفصل الثالث: مساهمة الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

على ورقلة بداية من شهر أكتوبر 1861م¹، إذ أصبح الشعانية، المخادمة، وبني ثور يخضعون لسلطته وعلى إثر هذا تقدمت القوات الفرنسية إلى ورقلة انطلاقاً من تقرت في 13 أكتوبر 1862م².

وهكذا بدأت حركته تضعف بتخلي أغلب القبائل الصحراوية عنه بما فيها قبائل الشعانية ومع ظهور ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864م³ وانضمام قبائل الشعانية لها، أصيبت فرنسا بخيبة أمل، ظننا منها بعد نفي محمد بن عبد الله أنها قضت على المقاومة كلياً في الجنوب والممتدة من البيض إلى الجنوب الشرقي.

بالإضافة إلى أنه تم تجهيز بقوة كبرى من طرف الباشاغا سي بوبكر بن سي حمزة وورثه على الحكم وأخذ يطارد محمد بن عبد الله ويتبعه حتى حاصره في قصر الحيران في أواخر عام 1861م، وقدمه للفرنسيين الذين نفوه إلى فرنسا وفرضوا عليه إقامة جبرية في سجن عسكري بساحة دوبيريغون "Deperrigon" التي كان لها دور كبير في هذه الثورة وبالأخص شعانية متليلي⁴.

فقد شرع سي العلا في التحضير للمقاومة التي دخلها في جانفي 1864م رفقة ابن ناصر بن شهرة.

وذلك على رأس جيش مكون من شعانية متليلي وشعانية ورقلة (بوروبة) والمخادمة⁵، ولما عاد محمد بن عبد الله من السجن انضم إلى سي الأعلى وسي الزبير وسي محمد، وهم الذين حملوا لواء الثورة بعد مقتل الباشاغا سليمان بن حمزة حيث بقي فترة معهم يخوض المعارك، ولما اختلف معهم انسحب إلى تونس لعدة سنوات أخرى، ولما اندلعت ثورة المقراني والحداد والصبايحية بالحدود عام 1871م⁶، عاد مرة أخرى إلى الجزائر ليخوض معارك إلى جانب رفاقه القدماء من الشعانية والمخادمة وسعيد عتبة وغيرهم، واتصل ابن ناصر بن شهرة في تقرت وبوشوشة في ورقلة صلته بأولاد خليفة الثائرين ومحي الدين ابن الأمير عبد القادر، وفي 10 ديسمبر قام بمهاجمة واحة ليانة بالزاب الشرقي، وبعد فشل كل من المقرانيين في الشمال والصبايحية والكلوتي بمنطقة الحدود، ومحي الدين بن الأمير عبد القادر في نفس المنطقة ما جعل محمد بن عبد الله يقرر إيقاف الحركة

¹-Alain Roney: op.cit p65.

²-محي بوعزيز: ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص158.

³-سليمان بوغلاية: الشعانية ومساهماتهم في المقاومة، المرجع السابق، ص06.

⁴- المرجع نفسه: ص07.

⁵-إبراهيم مياشي: المرجع السابق، ص223.

⁶دحدي سعود: ثورة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية، مجلة الباحث، جامعة الوادي، الجزائر، ع 1 2011، ص 111

الفصل الثالث: مساهمة الشعانبة في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

ولهذا غادر معسكره يوم 12 أكتوبر 1871م، واتجه إلى واد بودخان ثم إلى منطقة الكاف التونسية بعد أن قل أتباعه وضعف¹.

مما سبق نخلص إلى أن مقاومة الشريف محمد بن عبد الله وبالرغم من أنها خرجت من أحضان القبائل العربية وخاصة قبائل الشعانبة إلا أنها باءت بالفشل، والسبب الوحيد هو حب السلطة وذكاء المستعمر في زرع الفتنة بين صفوف المقاومة، هذا ما أدى إلى الهزيمة التي لحقت بالمقاومة ولكن بقي المجتمع الشعانبي يرفع التحدي ويواصل في رد المستعمر الفرنسي وذلك بالتحاقه بأي ثورة يسمع بها وذلك ما نلاحظه في التحاقه بمقاومة الشرف بوشوشة التي سنعرض تفاصيلها لاحقا .

02: مقاومة الشريف بوشوشة

أولاً: الشريف بوشوشة نشأته وبداية حركته:

هو محمد بن تومي بن إبراهيم الملقب ببوشوشة² بمعنى الفارس، ولد حوالي سنة 1827م³ بقرية الغيشة بجبال عمور، مارس الرعي منذ صغره ومنها اكتسب الشجاعة والفروسية، وتعلم ما تيسر من القرآن الكريم، وفي كبره عمل خوجة قديم بمكتب العرب بأفلو، وعندما كان يتنقل ليجمع الأموال والمؤن والأسلحة الضرورية لمقاومة المستعمر⁴، اتهمته فرنسا بسرقة الإبل وأدخل سجن بوخنيفيس سنة 1862م⁵ وبعد سنة تقريبا فرّ من السجن⁶ متجها نحو فقيق ثم إلى توات وأخذ يجمع الأنصار والأحلاف، ثم ليظهر ضمن جماعة المدافنة⁷، حسب ما تذكر

¹- يحي بوعزيز: ثورة الشريف محمد، المرجع السابق، ص ص - 135 - 137.

²نظر : الملحق رقم 15، ص161

³أنظر : الملحق رقم 16، ص164

⁴- وثيقة صادرة من المنظمة الولائية للمجاهدين بغرداية، الشريف بوشوشة، ص 01.

⁵أنظر : الملحق رقم 17، ص165

⁶-Père vellard – le Sahara histoire et mission – le finds de la bibliothèque contre de documentation – saharienne – sans éditions – sans Dat – N 009700144 – sur le bemirpage s’est ecrit des deys – je ve sais si tu connais ce texte du vellard mort en 1906 tu ne diras ce fue tu en puses Meri – p63.

⁷-المدافنة نسبة إلى إسم رجل من الطوارق، ترجع هذه التسمية إلى معطالله بوظفر أحد شعانبة ورقلة الذي كان في ضيافة الشعانبة المواضي قدم له زعيمهم أبو بكر بن عبد الله الحاكم في مجاعة 1867م عنزة مشوية، ولكن بدون سمن ولا ملح فقال له بوظفر مازحاً: "إنكم تعتدون على من يفعل معكم الخير ترقون العدو والصديق أنتم مثل الطوارق مدافنات" الصعاليك وهكذا بقيت هذه التسمية تطلق على الجماعة التي تقوم بالسطو والقتل عملاً لها في الصحراء والتي تكونت في عام 1868م. ينظر:

الفصل الثالث: مساهمة الشعانبة في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

الكتابات الفرنسية¹ والتي تأسست في إقليم تيديكلت عام 1869م، فقد كانوا معظمهم من الشعانبة النافرين الذين تعودوا على اختراق الصحراء من وادي درعا غربا إلى نفزاوة شرقا ومن أدرار جنوبا إلى جبال غور شمالا لمهاجمة الفرنسيين وعلى بعض القبائل الموالية للاستعمار الفرنسي².

وفي شهر أبريل 1870م وصل بوشوشة إلى المنيع³، برفقة مجموعة من الشعانبة الذين التقى بهم في الطريق ووصل إلى جنوب حاسي القارة⁴، حيث أسر القائد جعفر بن معمر بلماضي، وأخذ خادمه المخلص، وفي ماي 1870م استقبلته مدينة متليلي واتخذها معسكرا له ومنطلقا لحملاته حيث هاجم الأرباع وطالب الميزابيين بالخضوع له وإمداده بالأموال والأسلحة، فرفضوا فانتقم منهم بتخريب متاجرهم بورقلة التي دخلها في 05 مارس 1871م وعين بن شهرة آغا عليها⁵.

على الرغم من مقولة بوشوشة الذي كان يقول: "لا أريد جبلا من الذهب، مقابل إبادة مسلم"⁶. غير أنه كان يرى في بني ميزاب خارجين عن الإسلام، ولا يحملون منه إلا اسمه لذلك حين عسكر بمتليلي في 28 أوت 1871م، قام بتقسيم جيشه على ثلاث فرق، وأعاد الإغارة على بعض المدن الميزابية التي رفضت طاعته⁷.

ويعود الخلاف بين بوشوشة والميزابيين إلى اختلاف منطق كلا الفئتين فالمنطق الميزابي يرى أنه من أراد الحرب يجب عليه التوجه مباشرة إلى فرنسا، بينما كان منطق الثوار الآخرين هو وجوب تماسك الجبهة الداخلية وتكثيف التعاون في التموين المالي والعسكري والمعنوي، وقد كان هذا الإنقسام من أسباب فشل كل الثورات في الصحراء الجزائرية⁸.

¹ - أنظر : الملحق رقم 18، ص 169.

² - إبراهيم مياشي: المرجع السابق، ص 203.

³ - Yves Regnier : O.P.Cit , p133.

⁴ أنظر: الملحق رقم 19 ، ص 170

⁵ - Ibid, p64.

⁶ - Ibid , p64.

⁷ - يوسف بن بكير الحاج: تاريخ بني ميزاب، دراسة إجتماعية واقتصادية وسياسية، الطبعة العربية، نجح طالب أحمد، غرداية، 1992، ص 103.

⁸ - محمد بن معمر: الشريف بوشوشة زعيم ثورة 1871م في صحراء الجزائر الشرقية، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، 01، 1423هـ / 2002م، ص 106.

ثانيًا: مراحل مقاومة الشعانية مع الشريف بوشوشة:

1- مرحلة إعداد بوشوشة للمقاومة:

مرت حركة بوشوشة الثورية بمراحل أولها مرحلة الإعداد والتحضير للمقاومة وكانت بدايتها بتمركز بوشوشة في عين صالح سنة 1869م، واتخاذها مقرا لبدء حركته، نظرا لبعدها عن عيون القوات الفرنسية وعدم خضوع أهلها لهم، إذ يمكنه التحرك والتحضر دون أي تخوف من الفرنسيين ومن معهم والذين سيطروا على المناطق الصحراوية الواقعة شمال عين صالح كالأغواط وورقلة وتقرت.

كما أنه أعلن نفسه شريفا فيها، وذلك لأن عنصر الشرف يمثل المرتكز الذي يعتمد عليه قائد المقاومة في حمل راية الجهاد ضد العدو وكسب الأنصار باعتبار أن الشرفاء هم منقذي ومحققو آمال الناس في التخلص من الاضطهاد وتحرير الدين من الكفار، هكذا اقتضت طبيعة المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي خلال القرن 19م، وفي ظل هذا تحالفت معه سنة 1869م شعانية المواضي وشعانية بوروبة، وشعانية البرازقة، وهكذا بدأت حركته تمتد وتنتشر¹.

حيث اتصل بشوار أولاد سيدي الشيخ الذين تقربوا منه وحاولوا² منحه قيادة نصف جنودهم ولكنه رفض كون أولاد سيدي الشيخ كانوا سببا في سجنه، ثم رحل إلى طرابلس الغرب سنة 1864م³ لأسباب غير معروفة قد تكون للبحث عن المال والسلاح أو تلقي تعليمات من الزاوية السنوسية⁴ على اعتبار أنه من أحد أتباعها، وخلال هذه الرحلة زار نفطة ثم عاد إلى الجزائر فزار العديد من المناطق مثل: واد ريغ وورقلة⁵، وحمل معه رسائل إلى بعض الشخصيات من المخادمة وبني ثور والشعانية⁶، الذين كانت لهم روابط مع الزاوية السنوسية والقادرية منذ ثورة محمد بن عبد الله ومنهم لحضر المخدمي، ولبزا أحمد والشائب من الشعانية والمصطفى من بني ثور، والخازن من عجاجة، كما أقام علاقات طيبة مع الزاوية الرحمانية في عين البيضاء وعجاجة ثم انتقل إلى الأغواط ومنها إلى توات، وحيثما حل استقبل بحفاوة وامتن علاقته بالزوايا والطرق الصوفية، وخلال تواجده بعين صالح أين

¹-Yves Regnier : O.P.Cit , p134

²-سليمان حكوم :تاريخ ما أهمله التاريخ، قرص مضغوط حول تاريخ ورقلة، ص745.

³-Simon ,h : " comment Bouchouche raconta un jour sen histoire ",Bulletin de liaison Saharienne ,janvier 1955,N :19,p21.

⁴سليمان حكوم :المرجع السابق، ص746

⁵-Simon ,h , : O.P.Cit , p21.

⁶-Leuis Rinn :Histoire de Linsurrection de 1871en Algérie, Alger ,1891 ,pp79-80 .

الفصل الثالث: مساهمة الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

كان يحضر نفسه للذهاب إلى غدامس، اتصلت به مجموعة من الثوار وهم معطا الله بن بوظفر وبوخشابة وهم من شعانية ورقلة يصفهم لوشاتوليبي "المداقنات" ويرى أنهم قطاع طرق كانوا يقومون بعمليات الغزو والنهب، ولكن الدارس للمكون الاجتماعي لهذه الجماعة يرى أنها تضم العديد من الأبطال الذين عنهم الجود والكرم والشجاعة مثل: أولاد باحمو من عين صالح أو أولاد لشهب من المنيعة وهذه الجماعة بدأت تشن حرب استفزاز على فرنسا وعملائها إذ لم تكن تغزوا إلا العروش والقبائل التي ثبت تورطها مع فرنسا، وحسب بوشوشة فإنه كان يرفض المشاركة في هذه العمليات ويطالب بأن يركز على العدو مباشرة، وكانت المجموعة تمنحه نصيبا من غنائمها¹ ثم طلبت منه قيادتها فوافق مع اشتراط أن تكون العملية ضد فرنسا²، ولعل هذا النصيب زيادة على ما كان يصله من مؤن وذخائر من مختلف القبائل والعروش كان النواة المادية الأولى لإعلان مقاومته ومن عين صالح أعلن نفسه زعيما للمقاومة فبايعه شعانية المواضي، ثم شعانية ورقلة سنة 1870م وبذلك انتقل إلى المرحلة الحاسمة من المقاومة.

2- مرحلة الجهاد (المقاومة) 1870م - 1872م:

مع بداية شهر سبتمبر 1869 بدأ بوشوشة عند وصوله إلى عين صالح في جمع الأنصار و إعداد العدة بجمع السلاح³، حيث اجتمعت إليه عدة قبائل و شخصيات بارزة في الصحراء أهمها قبائل شعانية المواضي، شعانية ورقلة، أولاد سعيد، أولاد فرج، الدوي، أولاد بلقاسم و بدأ عمله أولا ضد عملاء الاستعمار.

بدأ بمهاجمة القبائل المتعاونة مع فرنسا، حيث انتقل على رأس قوة مشكلة من 251 من توارق الهقار و 120 من الشعانية الثائرين وذلك بدخوله المنيعة وجعلها تحت لوائه في أبريل 1870م حيث ألقى القبض على القائد جعفر⁴ الخاضع لسلطة الفرنسيين وسجنه⁵، وما يؤكد هذا أنه جاء جواب مؤرخ في 04 فيفري 1871م من القبطان دوران حاكم بيرو عرب بالأغواط إلى عدون بن با سعيد من بني ميزاب يخبره فيه بأن أهل العطف

¹-رضوان شافو: مقاومة منطقة تقرت، المرجع السابق، ص 91.

²- أنظر: الملحق رقم 20، ص 172.

³ Mario Vivarez : **Au Sujet Du Touat**, Librairie Michel Ruff, Alger, 1896, P 24.

⁴جعفر : كان قد عين منذ شهرين تقريرا شيخا على المنيعة و قد استلم من الحاكم العسكري لبسكرة الختم و البرنوس

ينظر Simon H : Comment Bou Choucha Raconta Un Jour Son Histoire A.N.O.M, 2H84, P 9:

⁵-محمد بن معمر: الشريف بوشوشة زعيم ثورة 1871م في صحراء الجزائر الشرقية، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، العدد 01، 1423هـ / 2002م، ص 106.

الفصل الثالث: مساهمة الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

بعثوا رسالة إلى الكولونيل أحبروه بأن جعفر الماضوي جاء من المنيعه فارا¹، وفي 5 ماي 1870م دخل متليلي واتخذها معسكرا له، وبعد أسبوع وقعت أول مواجهة رفقة الشعانية ضد أعوان الفرنسيين قائد الأربع الأخضر بن محمد في 12 ماي 1870م قرب منطقة سبب².

بعدها أنتقل بوشوشة شمالا ناحية بريان حيث خاض معركة سبب ضد الأربع الذين كان يقودهم لخضر بن محمد بتاريخ 12 ماي 1872 هذا الأخير الذي تحرك بأمر من الحاكم العسكري للأغواط، و انتهت هذه المعركة بانتصار بوشوشة الذي لاحق الأربع حتى متليلي، لكنه فضل الانسحاب إلى عين صالح بعد أن خسر 3 رجال فقط³.

وخلال بداية ثورة بوشوشة طرأت بعض الظروف والتغيرات ساعدت بوشوشة وكانت فرصة له في مواصلة كسب الأنصار وتحريضهم على الجهاد وإعلانه للمقاومة مرة أخرى، حيث قضى في عين صالح مدة عشرة شهور يجمع الأنصار ويواصل تحريض الشعانية على الإحتلال الفرنسي دون أي عمل عسكري يذكر من ماي 1870م ، و في نهاية شهر فيفري 1871 وصلت رسالة من ابن ناصر بن شهرة و شيخ شعانية ورقلة إلى الشعانية المتواجدين رفقة بوشوشة بعين صالح يطلب منهم القدوم نحوه كما يطلب إحضار بوشوشة معهم⁴. وكانت التحضيرات إلى غاية مارس 1871م مؤمن بهذه الظروف الداخلية والخارجية التي كان يراقبها بوشوشة عن كثب وهو في عين صالح⁵ وهي :

- الحرب الألمانية الفرنسية في جويلية 1870م وتفكيك الجيوش الفرنسية ووقوع نابليون الثالث في الأسر.
- الانقلاب الذي قام به الفرنسيون ضد النظام الإمبراطوري وإعلانهم عن قيام الجمهورية الثالثة في 04 جويلية 1870م ووقوع فرنسا في فوضى وتنافس بين المدنيين والعسكريين حول الحكم، فهذه الأحداث وآثارها ساعدت بطريقة غير مباشرة في ارتفاع معنويات الثائرين خاصة بعد صدور قرار يقضي بتجنيس يهود الجزائر بصفة جماعية في 24 أكتوبر 1870م.

¹ - إبراهيم ابن أيوب: قضية قانون الأهالي، مطبعة Rorgis، د.ط، سكيكدة، الجزائر، 1903م، ص31.

² - يحي بوعزيز: أضواء على حركة الشريف بوشوشة، مجلة أول نوفمبر، مطبعة هومة، العدد 161، الجزائر، 1999، ص58.

³ Le Chatelier : Op, Cit, P 47.

⁴ Sujet Des Relations Des Mouadhi avec les Insoumis, N° 955, A.N.O.M, 2H84

ينظر الملحق رقم 21 ص. 173

⁵ - محمد بن معمر: المرجع السابق، ص109.

الفصل الثالث: مساهمة الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

- توجيه محي الدين ابن الأمير عبد القادر رسائل عديدة إلى رؤساء وأعيان الصحراء يحثهم على الجهاد وكان ممن راسلهم الشريف بوشوشة بعد وصوله رفقة ابن ناصر بن شهرة إلى نفطة بتونس في نوفمبر 1870م¹.
- إنتفاضة الحنانشة بقيادة الكبلوتي بسوق أهراس في يناير مع أولاد عبدون في الشمال القسنطيني في فبراير، ثم النمامشة وأولاد عبيد، بالإضافة إلى بوارد ثورة المقراني والحداد 1871م وكذلك النزاع العائلي الذي كان على أشده حول السلطة والنفوذ بين أسرتي بوعكاز وبن قانة الذي انحصر في نزاع سياسي بين المقاومة وممثليها من جهة وبين الإحتلال وأنصاره من جهة أخرى².
- وهكذا غادر بوشوشة عين صالح وبصورة مفاجئة ليصل إلى نقوسة في 05 مارس 1871م مع أتباعه من الشعانية وغيرهم نادى قائلاً لهم: "إذا كان تحركنا نحو ورقلة من أجل النهب و السلب فأنا لست منكم و لا أريد أن أكون معكم، و إذا كان ذلك من أجل استرجاع ورقلة فسأقبل أن أكون على رأسكم شريطة أن تتعهدوا لي بتحقيق النصر أو الاستشهاد تحت أسوار المدينة"³.

كانت هذه الكلمات قد وقعت على نفوس أنصاره موقع الاعتزاز و الفخر فعاهدوه على ذلك و فعلاً تحرك الشريف بوشوشة على رأس ثمانين مهري في شهر مارس من سنة 1871م نحو ورقلة التي دخلها بدون مقاومة نظراً لوجود عدد من المؤيدين له بها وبعد أن سيطر على ورقلة التابعين وحصل اتفاق بين الزعماء التابعين لصف بن قانة الحاقدين على عائلة بوعكاز يعرضون عليه المساعدة للقضاء على نفوذ عدوهم علي باي⁴.

فاتخذها قاعدته العسكرية و منطلق عملياته و قد قدم له المخادمة و الشعانية فروض الولاء و بالتالي أصبح بوشوشة يسيطر على مساحة واسعة من الصحراء، لذلك وجه أنظاره إلى الشمال و بالضبط نحو تقرت، و في طريقه انتقم من أنصار علي باي بعدما أغار هذا الأخير على المخادمة في منطقة البخات، كما هزمه مرة أخرى في الطيبات القبلية حيث نجح بأعجوبة، بعد ذلك عرّج بوشوشة على قمار بوادي سوف خلال شهر ماي⁵ 1871 حيث انظم له بعض سكانها لكن رفضه أنصار الزاوية التجانية، مما اضطره للهجوم على المدينة بتاريخ 8 ماي 1871 و قد سيطر عليها بمساعدة أنصار بن قانة رفقه بوشمال بن قوبي شيخ النزلة و أنصار الزاوية

¹-رضوان شافو: مقاومة منظمة تقرت، المرجع السابق، ص ص 90 - 91.

²-محمد بن معمر: المرجع السابق، ص 110.

³ Cte de Margon : Op, Cit, P 21.

⁴-محمد بن معمر: المرجع السابق، ص 110.

⁵Louis Rinn : Op, Cit, P 486

الفصل الثالث: مساهمة الشعابنة في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

الرحمانية¹، بعد هذا الانتصار توافد على الشريف بوشوشة الكثير من رجال سوف الذين قدموا له الولاء، و مكث بعضا من الوقت في مويته القايد².

وقبل وصول بوشوشة إلى تقرت حصل إتفاق بين أهالي تقرت والشعابنة لمساعدة بوشوشة في الهجوم على القوات الفرنسية وعلى أن يتم تقسيم المشاركين إلى فوجين:

- الفوج الأول يلتحق بالشعابنة في سطح العسكر³ للقضاء على عساكر الفرنسيين.
- أما الفوج الثاني يبقى بوسط البلاد ويقوم بإفراغ مخازن الثكنة العسكرية من الأسلحة.

ولما كان علي باي يعسكر بجيشه بمنطقة عين الناقة إنتهز بوشوشة الفرصة ودخل تقرت في 13 ماي بقوة قدرت بـ 900 مقاتل⁴. واستقبل فيها بحفاوة وبقي فيها إلى 21 ماي ثم عين بوشمال بن قبي آغا عليها وبعد شهرين استطاع بوشوشة أن يأخذ من القوات الفرنسية وأتباعها قاعدتين أساسيتين⁵ هما ورقلة وتقرت مستغلا التناحر العائلي بين بن قانة وبوعكاز وأراد بوشوشة بعدما تحقق له الإنتصار العسكري أن يكسب تأييد الزاوية التجانية لذلك اتجه إلى تماسين مقر الزاوية ولكن الشيخ سي محمد العيد رفض استقباله لأنه كان يرى أن دخول الفرنسيين إلى الجزائر هو بمشيئة الله ونتيجة لهذا غادر بوشوشة متوجها إلى بلدة عمر ومنها إلى عين صالح قاعدته الإستراتيجية لجمع الأنصار وإعداد الخطط⁶.

أما علي باي فلما علم بما حدث في تقرت اتجه إلى الزيان للاحتجاج لدى الحاكم الفرنسي ضد عائلة بن قانة التي اتهمها بالتواطؤ مع الثوار إلا أن الحاكم الفرنسي انقلب عليه واتهمه بالإهمال والتقصير وتوعده بالمحاكمة⁷، لذا توجه إلى تقرت وحاصرها في 8 جويلية من أجل استرجاعها ولكنه فشل ليعود بوشوشة وأتباعه رفقة ابن ناصر بن شهرة في 10 جويلية 1871م. ووقعت معركة بينهم انتهت بهزيمة الباي وانسحابه إلى بسكرة في 13 جويلية، وبعد ذلك أخذ بوشوشة يحضر رفقة ابن ناصر بن شهرة والشريف محمد بن عبد الله وأتباعه

¹ Henri Garrot : Op, Cit, P 981.

² Alfred Du Cheyron: Op, Cit, P 172.

³ سطح العسكر: نسبة إلى المكان الذي حدثت فيه المواجهة بين بوشوشة والفرنسيين ويوجد في منطقة تقرت. محمد بن معمر: المرجع السابق، ص110.

⁴ -رضوان شافو: الحملة العسكرية، المرجع السابق، ص110.

⁵ -الملحق رقم 22، ص 175.

⁶ -محمد بن معمر: المرجع السابق، ص111.

⁷ -بجي بوعزيز: ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص210.

الفصل الثالث: مساهمة الشعابنة في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

الشعابنة أولا لمهاجمة أولاد زكري مساعددي علي باي على محاصرة تقرت¹. فقد جاء في هذا الصدد جواب من القبطان دوران المؤرخ يوم 18 جويلية 1871م إلى عدون بن با سعيد يقول له نخبك سرا مني إليك فإنني سمعت ببعض رجال من شعابنة متليلي قدموا إلى بوشوشة يحاربون معه وإذا قدرت ابعث لي خبرهم الصحيح².

حيث غادر ابن ناصر بن شهرة على رأس جيش من الشعابنة ولما وصلوا قرب وادي زربة هاجموا أولاد الساسي من عشائر أولاد زكري وأخذوا منهم قطعانهم ولكن سرعان ما تمكن أولاد الساسي في 19 أوت من إستعادة مواشيهم حيث هاجموا الشعابنة بين الحجيرة ونقوسة وسلبوا منهم مواشيهم وهو ما جعل بوشوشة يأتي ويستأنف المعركة التي انتهت بسقوط قتلى وجرحى بين الطرفين وفقد بوشوشة الكثير من أنصاره،

وعلى إثر هذا غادر بوشوشة ورقلة³، واتجه إلى النوميترات التي وصلها في 28 أوت 1871م، برفقة 600 مقاتل من المخادمة والشعابنة بوروبة وغيرهم من قبائل الصحراء ثم حضر إليه سي الزويبر مع مجموعة من الشعابنة المواضي برفقة قائد شعابنة البرازقة أحمد بن أحمد المشهور لدى كل سكان الصحراء⁴.

وقد حاولت فرنسا فيما سبق استمالة سي الزويبر إليها وما يؤكد هذا هو ما جاء في جواب من علي بن أحمد باشا آغا الأغواط مؤرخ في 22 جوان 1871م إلى عدون بن با سعيد يقول له أتني رسالة من عند الجنرال الحاكم الكبير بالجزائر تكلفنا بمكاتبة سي الزويبر بن بوبكر ليدخل في طاعة الحكومة الفرنسية مقابل إعطائه جميع أملاكه في بريزينة وورقلة ويوليه كذلك بابليك ورقلة وفعله ما تطلبه⁵ غير أن سي الزويبر رفض هذا العرض وأعلن دعمه لبوشوشة، كما أنه كان رد فعله عكس ما تتوقعه فرنسا حيث زوج سي الزويبر ابنة عمه فاطمة بنت جلول لبوشوشة في 01 سبتمبر 1871م وتم العرس في متليلي وكافئ بوشوشة صهره سي الزويبر بتعيينه آغا على ورقلة⁶ مكان ابن شهرة، وفي 04 سبتمبر 1871م حيم في بني يزقن وطالب الميزابين بالخضوع له ولكنهم رفضوا هذا الطلب وأعلنوا مقاومته⁷.

وغادر بوشوشة إلى ورقلة التي وجد بها ابن ناصر بن شهرة والشريف محمد بن عبد الله وأولاد بن خليفة في استقباله ليهنئه على الانتصارات التي حققها وليجتمعوا على مقاومة الاحتلال الفرنسي ولكن هذا التحالف جاء

¹- يحي بوعزيز: أضواء على حركة بوشوشة، المرجع السابق، ص 59.

²- إبراهيم بن أيوب: المرجع السابق، ص 30.

³- لويس رين: تاريخ إنتفاضة 1871م في الجزائر، تر: مسعود حاج مسعود، دار الرائد، الجزائر، 2013م، ص 905 - 906.

⁴- لويس رين: المصدر السابق، ص 912.

⁵- إبراهيم بن أيوب: المصدر السابق، ص 32.

⁶- أنظر: الملحق رقم 23، ص 176.

⁷- إبراهيم بن أيوب: المصدر السابق، ص 32.

الفصل الثالث: مساهمة الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

متأخرا لأن الاحتلال الفرنسي كان قد استعاد قوته بعد حربه مع ألمانيا ولأن أعوانه في الجزائر كانوا يستمرون في مساعدته وبناء على هذا قام القائد بولخراس بن قانة، والسعيد عتبة بمهاجمته بوشوشة يوم 07 نوفمبر في كوييف جلبة بين العالية والقرارة بواد غير¹، بعد أن حاول بوشوشة إقناع قادة آل سعيد عتبة بالانضمام إليه، ويذكر رين في ذلك أنه: "التف معظم رجال القبيلة حول القايد بعاج بن قدور، وصرحوا للمبعوثين أنهم يرفضون الإمتثال لأمر بوشوشة وأنهم سيحاربونه". وفي ظل هذا وقعت معركة من الثامنة صباحا إلى الثالثة والنصف مساء أدت إلى إصابة بوشوشة بجروح وخسارة 50 رجلا من بينهم الشايب بن بوروبة قايد الشعانية أولاد إسماعيل، و عبد الحاكم قائد المخادمة، و رجل واحد من المقرانيين، و أحد مشايخ أولاد سيدي الشيخ، بينما خسرت سعيد عتبة حوالي 35 رجلا و الكثير من الجرحى، أما آل المقراني فكانوا بعيدا عن المعركة بعدما خصص لهم الشريف بوشوشة حماية خاصة بهم²، وأشخاص من قبائل أخرى³.

3- مرحلة التراجع: (1872م - 1874م)

وبعد تلك المعركة التي خاضها غادر بوشوشة إلى حاسي القطار لمعالجة جروحه ثم توجه إلى حاسي بوروبة بورقلة واستقر بها إلى أن شفي من جروحه، وفي 17 ديسمبر 1871م عاد إلى نشاطه وألف جيشه إلى خمس فرق من قواته بحاسي بوروبة (فرقة بقيادته هو وصهره سي الزبير فرقة الشعانية، وفرقة المخادمة، فرقة ابن ناصر بن شهرة، فرقة المقرانيين الفارين من الشمال)⁴.

وعندما علم بزحف الجنرال دولاكروا "Delacroix" نحو تقرت التي احتلتها في 27 ديسمبر 1871م تراجع وتوجه بجيشه إلى جنوب حاسي قدور لتجنب الإصطدام مع القوات الفرنسية التي كانت تلاحقه حيث كلف دولاكروا الرائد روز "Ros" نظرا لخبرته في الصحراء، بإعادة إحتلال ورقلة التي حاصرها في 02 جانفي 1872م، وما إن وصل الجنرال دولاكروا إلى ورقلة حتى قرر في 05 جانفي 1872م تقصي أخبار الثوار في أقصى الجنوب مستغلا خبرة الرائد روز في الصحراء إذ جنده بحوالي 443 خيال من القومية لتنتقل في 07 جانفي من الرويسات⁵. وفي 09 جانفي إلتقى الطرفين وعلى وقع معركة استولى الفرنسيون على إثرها معظم زمالة

¹- محمد بن معمر: المرجع السابق، ص114.

²Cte De Margon : Op, Cit, P 65.

³-لويس رين: المصدر السابق، ص 928 - 930.

⁴- محي بوعزيز: ثورات الجزائر، ص224.

⁵-لويس رين: المصدر السابق، ص 934 - 936.

الفصل الثالث: مساهمة الشعابنة في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

بوشوشة¹ من أغنام، جمال، خيام وحبوب.... إلخ، ثم قتل 05 وأسر 02 من المقرانيين، و بتاريخ 11 نوفمبر أغارت سرية من القناصة و سرية مشاة على أولاد عامر و انتزعت منهم أكثر من 5000 رأس من المواشي، و طيلة شهر نوفمبر و حتى بداية شهر ديسمبر ظلت القوات الفرنسية تنتقل من مكان لآخر من الحصنة إلى الزيان و في كل مرة تنتقم بطريقتها ضد السكان و القبائل².

دخلت القوات الفرنسية مدينة بسكرة من جديد بتاريخ 8 ديسمبر 1871، حيث قام الجنرال دو لاكروا بعزل قائد خنقة سيدي ناجي المدعو سي محمد بن ناصر بعد أن حجرت مراسلاته مع الشريف بوشوشة³، ثم مدينة تقرت بتاريخ 16 ديسمبر دون مقاومة تذكر، و استعدت من هناك لاستعادة مدينة ورقلة قاعدة الشريف بوشوشة، أوكلت المهمة للرائد روز بحكم تجربته السابقة في الصحراء و الذي جهز قوة عسكرية بتاريخ 17 ديسمبر 1871 تتكون من 164 فارس، عدد من القومية، 112 من أولاد زكري، 45 من سعيد عتبة⁴. وصلت هذه القوة إلى واحة نقوسة بتاريخ 1 جانفي 1872 و حاصرتها و منعت خروج أو دخول أي شخص لها و في اليوم الثاني 2 جانفي دخل الرائد روز ورقلة بمساعدة بني واقين، و أبرق للجنرال دو لاكروا بأن العلم الفرنسي قد رفرف من جديد فوق قصبة ورقلة، كما ألقى القبض على ممثلي الشريف بوشوشة⁵.

ونتيجة لذلك افترق شمل الثوار وبوشوشة إذ اتجه هو إلى الجنوب الغربي نحو قوردعيش يوم 10 جانفي⁶. أما الشعابنة فقد غادروا واتجهوا إلى عين الطيبة⁷. في الجنوب فلم يسبق مع بوشوشة إلا شخص واحد منهم هو الشيخ بيساتي حسب ما يذكر رين⁸. فقد غادر صهره سي الزبير إلى عين صالح، أما ناصر بن شهرة فاتجه مع المقرانيين إلى عين الطيبة جنوبا ومنها إلى الحدود التونسية⁹.

¹ أنظر : الملحق رقم 24، ص 177

² Louis Rinn : Op, Cit, p 629.

³ Le Radical : **Un Echec Du Souf**, N° 423, 4ème Année, 4 Avril 1874.

ينظر: الملحق رقم 25، ص 179

⁴ J-J-E. Roy : **Histoire De L'Algérie Depuis Les Temps Les Plus Anciens Jusqu'à Nos Jours**, 4ème é, Alfred Mame Et Fils, Tours, 1880, P 340.

⁵ Louis Rinn : Op, Cit, p 631.

⁶ -محمد بن معمر، المصدر السابق، ص 114.

⁷ -عين الطيبة: هي بحيرة صغيرة من المياه العذبة يبلغ قطرها 400 متر وعمقها 06 أمتار ينتجع فيها جميع الشعابنة حيث كانت عاصمتهم. ينظر: لويس رين: ص 940.

⁸ -لويس رين: المصدر السابق، ص ص 942 - 950.

⁹ -يحي بوعزيز: ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 225.

الفصل الثالث: مساهمة الشعابنة في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

كما تعرض بوشوشة لمحاولة اغتيال في 11 جانفي 1872م من طرف مولاي العربي احد أشرف ورقلة، أدت إلى إصابته حيث أسعف من طرف أحد الشعابنة مع الشيخ البيساتي واتجه إلى عين صالح وبالرغم من تراجع بوشوشة لم يمنع من قيام بعض الاشتباكات مع الثوار ضد الفرنسيين فعلى اثر تتبع كل من الرائد "غوم" والرائد "روز" لأولاد مقران وبوشوشة، هاجم الشعابنة "روز" على وقع إغارته على جماعهم وأغنامهم عند وصوله إلى عين طيبة أدت إلى إصابة اثنين من الشعابنة، حيث قال في ذلك رين: "تمت الإغارة على الجمال الضالة، مما تسبب في ابتهاج القومية، وحثهم على مواصلة السير، ثم سمع دوي الطلقات النارية وعلى الفور تمت نجدة الرائدتين الذين كانوا يخوضون مع المشاة الشعابنة مستعملين في ذلك جيش قناصة إفريقية، لهذا اضطر الشعابنة إلى التراجع عن الاشتباك¹."

كما قام بوشوشة في أواخر شهر جويلية 1873م ببعض الاشتباكات برفقة 70 مقاتل من الشعابنة والطوارق ضد القوات الفرنسية².

وعند توجهه إلى ورقلة تعرض له السعيد بن إدريس أخ محمد بن الحاج إدريس آغا ورقلة في حاسي عين الناقة، وأجلى عنه معظم زمالته وزوجته فاطمة التي طلبت منه أن يعيدها إلى أهلها أولاد سيدي الشيخ، وعلى إثر ذلك إتجه بوشوشة إلى جنوب شرق عين صالح³ واستقر هناك مدة من الزمن في هضبة مويدير دقانت، ولم يكتفي ابن إدريس بذلك فقط، حيث كلفه الجنرال ليبير (Lieber) الذي كان يعسكر في مطامط شرق الهاجرة بوادي ريغ بملاحقته على رأس عدد من القوات المسلحة، تمت محاصرته أين كان يعسكر في واد عقارية، وعلى اثر معركة بينهم تم أسره بيد البعج قدور⁴، في 04 مارس 1874م⁵، فاقطع هو وغيره من المعتقلين إلى ورقلة عاصمته الأولى لعرضه على المجلس الحربي باعتبار أن ورقلة أصبحت تابعة لمقاطعة الجزائر العسكرية، ومن هناك وجه إلى قسنطينة وذلك أن المعارك والأحداث التي خاضها تمت في جنوب عمالة قسنطينة في معظمها .

ويذكر بار فلارد (Père Vellard) أن بوشوشة حكم عليه بالإعدام⁶

¹-لويس رين: المصدر السابق، ص970.

²-نفسه، ص978.

³الملحق رقم 26، ص180

⁴-Le CHateleier :Les Madagnats ,pp47-48

⁵-P-F-M ,passager ,op.cit,p511

⁶الملحق رقم 27-28، ص ص 182-183

بالرصاص في 29 جوان 1875م بمخيم الزيتون بالقرب من قسنطينة¹.

ثالثا: أهم المعارك التي قادها بوشوشة مع الشعابنة:

1- معركة سبب 12 ماي 1870:

جرت بين بوشوشة إثر تمركزه في متليلي الشعابنة والجيش الفرنسي بقيادة ديسونيس (De Sonis) بتاريخ 12 ماي 1870م بمنطقة سبب بمتليلي الشعابنة .

2- معركة عين طيبة جانفي 1872:

اتجه الرائد روز بتاريخ 16 جانفي 1872 نحو عين طيبة جنوب ورقلة من أجل ملاحقة الثوار، و وصلها بتاريخ 17 جانفي فلم يعثر سوى على الشعابنة الذين انفصلوا عن بقية الثوار و هناك جرت المعركة حيث أبلى الشعابنة البلاء الحسن و لكن بسبب قلة الذخيرة الحربية قاوم الشعابنة بالسلاح الأبيض و انهزموا بعدما فقدوا ال كثير من القتلى و الجرحى و استولى الفرنسيون على 132 جملا و 822 رأس من الأغنام².

أما آل المقراني و الذي كان ابن ناصر بن شهرة يقودهم فقد اتجهوا شمالا، و قد حاول كل من الرائد روز Commandant Rose والعقيد قوم Colonel Gaume ملاحقتهم و لكن دون جدوى، و قد انفصل عنهم بومزراق و خادمه المسعود في اتجاه آخر، بحثا عن الماء و قد تاهوا في الصحراء لمدة عشرة أيام عانوا خلالها الجوع و العطش فكانوا يقتاتون من النباتات الصحراوية و ماتت خيولهم من العطش، و قد عثرت عليهما دورية فرنسية قرب واحة الرويسات بتاريخ 20 جانفي 1872 فأسعفا و اقتيدا إلى مقر الجنرال دو لأكروا الذي أمر بوضعهما رهن الاعتقال ريثما يتم عرضهما على القضاء³.

3- الاحتلال الفرنسي للقلعة (المنيعة) جانفي 1873:

هكذا كان الوضع في الصحراء ينذر بالخطر حسب التقارير الفرنسية، فالكثير من القبائل في حالة تمرد خاصة شعابنة ورقلة و متليلي و القليعة، و أصبحت الطرق التجارية غير آمنة مما أدى إلى توقف الرحلات التجارية و هو ما أضر بالمصالح الفرنسية التي كان هدفها الأساس من السيطرة على الصحراء هو ضمان تدفق السلع و

¹-Père Vellard :Le Sahara Historique Et Mission, Le Fonds De LA Bibliothèque Sentre De Documentation Saharienne ,sans Editions ,sans date ,(Noo97oo144)sur le premier Page S est écrit (Des Deys ...)p58

² Louis Rinn : Op, Cit, p 641.

³ Baude de Mauriceley : **Grace Pour Mokrani**, Le Figaro, 39é Année, 3é Série, N° 204,23 Juillet 1893, P 4.

الفصل الثالث: مساهمة الشعانية في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

البضائع الصحراوية نحو الشمال¹ ، لذلك عازمت السلطات الفرنسية على ضرورة إرسال قوات لاحتلال القليعة، و التي ستسمح بالتوسع أكثر في الصحراء و القضاء على القواعد الخلفية للمقاومة². لذلك تشكلت قوة مؤلفة من 722 جندي فرنسي يقودهم الجنرال دي قاليغي le général de Gallifet انتقلت في بداية سنة 1873 نحو الجنوب في محاولة لإفთاك القليعة من أيدي الشعانية، و قد حاولت القوة الفرنسية هذه المرة أن تحتل المنطقة دون إراقة قطرة دم واحدة، و من أجل ذلك أرسل الجنرال قاليغي إنذار لسكان المنطقة يعرض فيه منحهم الأمان مقابل دفع ضريبة الحرب، و قد استغل فرصة عدم وجود الشريف بوشوشة و أنصاره و دخل مدينة القليعة بتاريخ 24 فيفري 1873 دون اطلاق النار. و بالسيطرة على القليعة فقد الشريف بوشوشة و أنصاره قاعدة مهمة في الصحراء و اعتبرت ضربة موجعة تلقاها الشريف بوشوشة عجلت بنهايته، و أصبح طريق السودان مفتوح في وجه القوات الاستعمارية³ 4- وقعت معركة بين الجيش الفرنسي والشعانية في حاسي البركاوي بواد تغير حيث اتجهت القوات الفرنسية نحو الثوار الشعانية، وهاجمت خيامهم في حاسي بن مخلوفة في وادي لفحل⁴ تنكيلا بهم لما قاموا بمساندتهم لثورة بوشوشة، فاضطروا إلى القيام بهدنة مع المحتل الفرنسي، ورغم إلقاء القبض على شريف بوشوشة إلى أن الشعانية بقوا في هدنة حتى سنة 1881م، تاريخ إندلاع ثورة بوعمامة لينخرطوا فيها والتي تعتبر من أطول المقاومات التي واجهت الاستعمار الفرنسي ودامت أكثر من ربع قرن.

وخلاصة القول أنه رغم ما قام به شريف بوشوشة إلى جانب الشعانية وقبائل أخرى من جهاد في سبيل الله والوطن إلا أننا نجد بعض الكتابات الفرنسية التي كتبت عن ثورة بوشوشة تقدم تشويها له وللمقاومة أخذت طابعا يدل على مدى رغبة بوشوشة في التخلص من الاستعمار الذي أخذ يهاجم بأبناء الوطن مقابل إعطائهم مناصب تليق بهم ويستغل النزاعات العائلية على المناصب فلهذا هي تذكر ما تراه مناسبا لها، وكمثال على ذلك نجد لويس رين نائب رئيس الجمعية التاريخية ولوشاتولييه يصفونه بأنه مجرد صعلوك متمرد على سلطتها وسارق وقاطع طريق، محرض لأهل الصحراء ضدها وأن عمله هذا مجرد انتقام ممن سجنوه، وأن نواة حركته هي مجموعة لصوص حسب رأيهم.

¹ Henri Wolff, et A Blachère : **Sahara et Soudan : les régiments de dromadaires**, Challamel Ainé, Editeur, Paris, 1884, P 4.

² Henri Wolff, et A Blachère : Op, Cit, P 4 .

³ Le Nouveau Progrès De L'Algérie : **Le Capitaine Ben-Driss**, Première Année, N° 15, 6 Septembre 1890,

⁴ E.Mangin :Notes sur l'histoire de Laghouat/In/RA.V39,1895,p137

الفصل الثالث: مساهمة الشعانبة في مقاومتي شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة

وعليه نقول أنه كان للشعانبة دور كبير في مقاومة الاحتلال الفرنسي في جنوب الشرقي الجزائري، حيث ساهموا في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله والتي سميت بثورة الشعانبة الأولى بانضمامهم إلى هذا الأخير في مقاومته ضد القبائل الخاضعة لفرنسا، ومن بين القبائل التي برزت أكثر في هذه المقاومة شعانبة برورية والبرازقة .

كما كانت لهم أيضا مساهمة في ثورة شريف بوشوشة المسماة بثورة الشعانبة الثانية لبروز شعانبة المواضي في بداية المقاومة بالإضافة إلى شعانبة البرازقة، وظهرت مساندتهم ومساهماتهم في دعم واحتضان المجاهدين في مدنهم.

الفصل الرابع:

دور قبائل الشعانية في ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864-1880م)

01: أولاد سيدي الشيخ.

02: أسباب مقاومة أولاد سيدي الشيخ وتحضير الشعانية لها.

03: مساهمة أبناء الشعانية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ.

إن تعيين السلطات الفرنسية الاستعمارية لبوبكر بن سي حمزة مكان أبيه سي حمزة الذي كان مواليا للسلطات الفرنسية، و قلدته منصب باشاغا لتحط من قيمته بعد ما كان أبوه يلقب بخليفة الصحراء، ولكنه بقي مواليا ومخلصا لفرنسا، ومن أهم إنجازاته هو المساعدة في القضاء على ثورة محمد بن شريف بن عبد الله، وبعد وفاته والتي كانت غامضة استلم أخوه سي سليمان بن حمزة منصب الباشاغا .

إن الوفاة الغامضة للبوبكر جعلت من أخيه سي سليمان يتوخ الحذر ويتوجس خيفة من فرنسا؛ لأنه كان يشك بأن للسلطات الفرنسية ضلع في مقتله، ومن جهة أخرى أحست فرنسا بأن الولاء الذي كانت تنظره من سليمان بن حمزة يشوبه نوع من الخروج عليها وعدم إطاعة أوامرها واشتدت رائحة التمرد، فأصبحت تضيق على سليمان بن حمزة وعمه سي لعلا وتقلص من صلاحيتهما، مما أدى إلى التمرد عليها وإعلان الثورة.

فما هي أسباب ثورة أولاد سيدي الشيخ؟ وما هو دور شعانة متليلي في ذلك؟.

01: أولاد سيدي الشيخ

أولاً: أصل أولاد سيد الشيخ

تنحدر عائلة أولاد سيد الشيخ في نسبها إلى الخليفة الأول في الإسلام أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ويدعى أصلاً عبد الله بن عثمان بن عامرة بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب¹.

شهد سيدنا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أكثر الغزوات مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان ينفق ماله وقوته في معاضدته حتى انتقل - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى فتولى الخلافة من بعده وجمع العرب على الإسلام وما مات حتى فتح ممالك كسرى وقيصر وهزمت جيوشه الفرس والروم².

خلف سيدنا أبو بكر الصديق بعده ذرية صالحة وهاجر آل أبو بكر الصديق من شبه الجزيرة العربية نحو الغرب فمروا بالسودان ومصر وأسسوا فيها الزاوية البوكرية التابعة لطريقة الشاذلية ومؤسسها الصوفي الصالح أبو الحسن الشاذلي³، ثم غادروا مصر ليكتثوا في تونس ثم ما لبثوا أن غادروا نحو المغرب الأوسط⁴، وكان ذلك حوالي القرن الرابع عشر ميلادي تحت زعامة سيدي معمر بن سليمان أبو العالية⁵، واستقروا في غرب الجزائر وبالتحديد في منطقة اربوات شمالي الأبيض سيد الشيخ حالياً.

ونظراً لما تتمتع به عائلة سيدي معمر أبو العالية من الإحترام والتقدير والسلطة المعنوية الكبيرة التفت حولها القبائل العربية والبربرية، التي كانت تتبع مذهب الخوارج منذ عهد الرستميين، وقد تخلوا عنه ليتبعوا المذهب المالكي السني بإقتناع من سيدي معمر أبو العالية، الذي كان يمارس مهنة التعليم وكان يدعو للمذهب السني⁶، خلف سيدي معمر أبو العالية بعض الوجوه المشهورة والرجال الأتقياء الذين برزوا في الجنوب الغربي على الصعيد الديني والتاريخي، كان من أبرزهم عبد القادر بن محمد والملقب بسيدي الشيخ، واسمه الحقيقي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماعة بن أبي ليلى بن أبي يحيى بن عيسى بن معمر بن سليمان بن سعد بن عقيل بن حرمة الله

¹-خليفة بن عمار: السيرة البوكرية، تر: محمد قدوسي، ج1، مكتبة جودي مسعود، وهران، 2002م، ص4.

²-مجموعة من المؤلفين: أولاد سيد الشيخ ومقاومتهم لاحتلال، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، البيض، 1996م، ص6.

³-الصالح إبي الحسن الشاذلي: ولد سنة 593هـ/ 1196-1197م بغمارة وهناك من ينسب ولادته إلى شاذلة بتونس .

⁴-مجموعة من المؤلفين: المرجع السابق، ص6.

⁵-سيدي معمر ابو العالية: من مواليد 1330م في مدينة تونس، أحد أصول أبي بكر الصديق، ويدعى معمر بن سليمان بن سعيد بن عقيل... الخ، وقال بعضهم أن أبا العالية دليل على أن سيفه كان لا يعلى عليه، توفي سنة 1420م وقبته في بلدة اربوات البيض. ينظر: محمد بلمعمر: البوكريون الصديقون والبوشيوخون والسماحيون جذور واغصان، مطابع الرباط، 2012م، ص16.

⁶-مجموعة من المؤلفين: المرجع السابق، ص 07.

بن عسكر بن زيد بن أحمد بن عيسى بن الشادي بن محمد بن عيسى بن زيدان بن زيد بن طفيل بن المضي بن أزرار بن زغوان بن صفوان بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق¹.

ولد سنة 1533م، أمه تسمى شفييرة بنت سيدي علي بن سعيد، أحد الأولياء الصالحين، نشأ في نواحي اربوات البيض، ورحل إلى فقيق وهو صبي لطلب العلم، فتلمذ على يد العالم الجليل سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي²، ويقول في ذلك عنه في سلوة الأحزان:

فصل وشيخه محمد الإبر	لعبد الرحمان ينمي في الأثر
من السهول ألف الإقامة	كساه مولاه حلى الاستقامة
أخذ عنه فقهه والمسلكا	فصار للعلم يجيد السبكا ³

عرف بالتواضع والسخاء والتعب، كما نذر نفسه لطلب العلم والجهاد في سبيل الله، فظهر بسالة عظيمة أثناء المعارك التي خاضها مع العثمانيين ضد الإسبان المستعمرين لوهرا، وقد أصيب أثناء إحدى المعارك كانت سبب وفاته بعد رجوعه إلى مسقط رأسه سنة 1616م عن عمر ناهز 83 سنة⁴.

أنجب سيدي الشيخ ثمانية عشر ولدا وعدة بنات، مات منهم سبعة قبل أن يخلفوا وهم: محمد بن الشيخ وابن عيسى والتاج ومصطفى ومحمد عبد الله وعبد الرحمان والحسن والحسين وبو حاسن وعبد الحاكم وزروقي والحاج الشيخ وبولنوار والحاج الدين وإبراهيم والمداني والحاج أحمد وأخيرا سيدي الحاج بوخفص⁵، الذي عينه والده في حياته كقائد للعائلة والزاوية والوارث للسلطات الدينية والسياسية، وذلك لما رأى فيه من طاعة وورع وتدين ورجاحة عقل، وعن وفاة سيدي الحاج وبوخفص سنة 1660م ترك وصية لأخيه سيد الحاج عبد الحاكم ليخلفه على رأس الزاوية، وهذا بعد أن ترك ورائه السلالة التي تولد عنها زعماء الثورة ضد الاحتلال الفرنسي وهي سيد الحاج الدين، سيدي بن الدين، سيدي العربي، سي بوبكر، سي النعيمي وسي بوبكر الصغير، الذي خلف سيدي حمزة خليفة أولاد سيدي الشيخ، وقد أنجب سبعة أولاد كان لهم دور كبير في تاريخ الجزائر وهم: سي بوبكر، وسي سليمان، وسي محمد، وسي أحمد، وسي قدور، وسي الدين وسي بوخفص⁶.

¹- خليفة بن عمارة: سيدي الشيخ شخصية خارقة للعادة، تر: بوداود عمير، مكتبة جودي سعيد، الجزائر، 2011، ص16.

³- مجموعة من المؤلفين: المرجع السابق، ص10.

⁴- عبد الله طواهرية: سلوة الأحزان في مناقب سيدي الشيخ، الجزائر، 1999، ص43.

⁵- مجموعة من المؤلفين: المرجع السابق، ص10.

¹- حمزة بو بكر: سيدي الشيخ صوفي جزائري، تر: محمد حسين ال سيد الشيخ، بدون طبعة، بدون تاريخ، ص210.

²- حمزة بوبكر: المرجع نفسه، ص197.

كما يرى بعض المؤرخين أن أفراد قبيلة أولاد سيدي الشيخ لم تنتقل كلها بعد هجرتهم من تونس إلى الجنوب الوهراني، وإنما غادر قسم منهم إلى غرناطة بالأندلس، واتجه قسم آخر إلى منطقة فقيق بالمغرب الأقصى، ومنهم من انتقل إلى منطقة جرجرة وتنس، أما القسم الآخر هاجروا إلى منطقة الجنوب الوهراني خلال القرن الخامس عشر، وسكنوا واحة تانكرت¹ التي اتخذها جدهم الأول عبد القادر بن محمد بن سيدي الشيخ² مستقرا له، حيث ارتبط اسمه باسمها وأصبحت تسمى بالأبيض سيدي الشيخ.

ترأس ابنه الأكبر الحاج بوحفص فرع أولاد سيدي الشيخ الشراقة نسبة إلى الناحية الشرقية من مدينة الأبيض سيدي الشيخ، وترأس ابنه الثالث فرع أولاد سيدي الشيخ الغرابة الذين اتخذوا من غرب المدينة مكانا لمساكنهم، لكن هناك من الباحثين من يرجع هذا التقسيم الذين عرفته قبيلة أولاد سيدي الشيخ بعد وصولها إلى الجزائر إلى معاهدة 1850م بين فرنسا والمغرب لتحديد الحدود، والتي بموجبها تم الاتفاق على أن يبقى فرع أولاد سيدي الشيخ الذين كانوا منتشرين في منطقة النفوذ الفرنسي تابعين لفرنسا المحتلة للجزائر وسموا بفرع الشراقة، بينما الفرع الذي كان يعيش ويتوسع بالغرب من فقيق ضمن مجال النفوذ المغربي سمو بفرع الغرابة، وقد ساعدت ظروف الصحراء القاسية أفراد هذه القبيلة بالتكيف معها وبالتمتع بمقدرة فائقة بإتقان الفروسية والتعود على فنون القتال إلى أن أصبح لديهم نفوذ سياسي واسع في عديد من مناطق الصحراء، بالإضافة إلى نفوذهم الديني وهذا عند كل القبائل³.

وقد أدرك الفرنسيون منذ بداية اهتمامهم بالتوسع في الصحراء، السمعة الطيبة والتأثير الروحي لأولاد سيدي الشيخ على قبائل وأعراب الصحراء، وذلك بفضل الزوايا التي شيدها وتأثيرهم الروحي من خلال خطبة أو نداء بسيط أن يوحدوا كلمة القبائل واستنفارها، ولذلك سعت فرنسا للتقرب منهم وتوطيد علاقتهم بأحد زعماء قبيلتهم، وهو حمزة بن بوبكر الذي قدم خدمات كبيرة للفرنسيين وساعدهم في تحقيق تقدمهم وتوسعهم في

¹- أوكريت (بلاد الخنافس): تتكون من أربعة عشر قصرا معظمها على الضفة اليسرى لواد مكيدن وناحية خصبة بزراعة ونخيلها ومن أهم مراكزها: زاوية سيدي أعمر، ويتردد على أسواق الناحية قبائل الأغواط وأولاد سيدي الشيخ، والموضوع في طريق القوافل القادمة من ميزاب وميتليي الشعانة والقاصدة السودان. ينظر: بلحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981، ص71.

²- بوعزيز يحي: ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص168.

³- محمد أعفيف: توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، مطبعة أبا رراق للطباعة والنشر، الرباط- المملكة المغربية، ط1، 2014م، ص283.

الصحراء¹، مما أثار حفيظة قبيلة الشعانة وقاموا بالتمرد ضد حمزة بن بوبكر الذي قام بثورة ضد الشريف بن عبد الله الذي سميت ثورته بثورة الشعانة.

ولمعرفة ما مدى التأثير الروحي لأولاد سيدي الشيخ في القبائل المجاورة وضم الصفوف إليها والذي جعل من المستعمر الفرنسي يتوجس منها خيف، كان لزاما علينا أن نتعرف على الطريقة التي كان ينتهجها أولاد سيدي الشيخ في ذلك .

ثانيا : الطريقة الشيخية :

تعتبر الطريقة الشيخية من أحدث الطرق الصوفية التي وجدت في الشمال الإفريقي ووسط إفريقيا وهي فرع من فروع الطريقة الشاذلية²، نشأت مع مؤسسها عبد القادر بن محمد المدعو سيد الشيخ والذي أخذها عن شيخه محمد بن عبد الرحمان السهلي تلميذ أحمد بن يوسف لملياني الراشدي، هذا وقد تزامنت مع مطلع القرن 16م، حيث كانت الجزائر تحت الحكم العثماني وازدهرت الطريقة الشيخية في هذا العهد بسبب ما كان يكره حكامه للطرق الصوفية عموما³، وتتلخص أصول الطريقة الشيخية في خمس نقاط أساسية وهي: الزهد والخلوة والابتعاد عن العالم الديني والذكر والدعاء بالرحمة والمغفرة، لذلك كان الشيخ يحتلي في خلواته التي بلغت 10 خلوات في أماكن معزولة عن العالم المليء بالأوهام والتناقضات وبعدم الانسجام والعدمية⁴.

وقد عرفت مدينة متليلي الشعانة امتداد للحركة الصوفية في النواحي الروحية حيث سيطرت الطريقتان القادرية والشيخية على المالكية فقط، وفي رحاب تلك الطريقتان نشأ تراث علمي وأدبي متمثل في تمجيد شيوخها، والتغني بخصالهم ومآثر الصالحين، وكانت الزيارات الروحية باستمرار لزوايا القادرية بورقلة والشيخية بالبيض، وكانت تقوم يوم الجمعة بثلاثة حلقات للذكر: حلقة للطريقة القادرية وأخرى للشيخية حلقة ثالثة لتلاوة سورة الكهف.

¹ - أنظر : الملحق رقم 29، ص 184.

² - الطريقة الشاذلية: نسبة الى مؤسسها أبو الحسن الشاذلي، الذي ولد سنة 593 / 1197م بشادلا بتونس، والتي تفرعت منها خمسة عشر طريقة منها: الوفاية والعروسية والجازولية والقادرية... والأصول التي تقوم عليها هي: تقوى الله وأتباع السنة والإعراض عن الخلق والرضا بما أعطاه الله والرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء. ينظر: عبد القادر خليفي: **الطريقة الشيخية**، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2006، ص 13.

³ - عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص 14.

⁴ - نفسه، ص ص 14-15.

وقد نشأت الطريقة الشيخية في متليلي على يد السيد: صديقي الشيخ بالبشير وذلك سنة 1883م¹. أما لويس رين: فقد عدد الإخوان بين العاصمة وغرداية بحوالي 3 مقدم إخوان².

أما طواهرية فقال: تم إدخال الشيخية مقاطعة غرداية سنة 1892م يحتسب 500 من الخدم في غرداية 100 في القليعة (المنبعة) أغلبهم من الشعانة ثم تولى الشيخية صديقي محمد بن الشيخ بالبشير إلى غاية 1925م، وبعده ابنه السهلي إلى غاية 1937م، وقد استمرت الزاوية في عملها المناوئ للوجود الفرنسي وكان للسيد بن عبد الله بن قدور جهود كبيرة في التعامل والحفاظ على الهوية الإسلامية لدى المنطقة وقد استمر الاتجاه المحافظ رافضا التعامل مع الاستعمار.

وفي سنة 1958م قام سيد الحاج احمد بن بوحفص تأسيس زاويته الشيخية في متليلي الشعانة جانب أنسابه عائلة صديقي.

ولقد جاء تعريفها في موقع الطريقة: زاوية متليلي الشعانة مؤسسها سيدي الحاج أحمد بالهضبة المطللة زاوية متليلي شعبة سيدي الشيخ، وله قبة تزار هناك ونجله سيدي عبد القادر وبها مدرسة قرآنية³.

فشرع سيد الحاج أحمد في غرس النخيل وحفر البئر لسقيها وسقي الطلبة والمريدين المقيمين فيها وقد جعل لهم معلما يعلمهم القرآن صباحا ويلقي الدروس وتقرأ المتون في المساء، وكان الشيخ سيد الحاج أحمد كثير العبادة والتدريس، أوقعت دروسه أثر في نفوس الحاضرين له إلى درجة البكاء وتدريسه جعله لا يميل للتأليف ماعدا بعض قصائد الشعر الملحون وكناش كتب كتبها فيه منظومة عن التوحيد.

³-عاشور سرقمة: الطريقة الشيخية بمنطقة متليلي الشعانة، واقعها وأهم أعلامها، محاضرة في الملتقى الوطني حول القيم الروحية والرؤية الوطنية في الطريقة الشيخية، تنظيم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الأبيض سيد الشيخ، البيض-الجزائر، 26-27 سبتمبر 2011، ص7.

²-Louis Rinn: Marabouts et Khouans, p 368

³ www.Chikhiyya.com / يوم: 2018.02.17 الساعة 10:50

وللطريقة الشيخية هياكل ومصادر تموين هي كالتالي :

- من مرافق الزاوية الشيخية قبة سيدي الشيخ التي دفن فيها صديقي محمد وصديقي السهلي أخ أحمد بن محمد الذي أعاد بنائها كما قيل .

-قبة سيد الحاج أحمد بن بوحفص: دفن هذا الأخير، وهي في غاية الروعة من الهندسة والجمال القبة كما دفن الإمام الشريف بكار رحمه الله، وكان يتردد على المقدم آل سيد الشيخ عبد القادر كما صرح كل ثلاث سنوات عقب صلاة الجمعة يطلب منهم أن يضع له زريبة قرب القبة.

تحتوي الزاوية على حنفيات للماء بالقرب من قبة سيدي الشيخ، يذهب لها الناس لأخذ الماء منها، ويوجد بها مسجد الحاج أحمد بن بوحفص المقابل للزاوية والذي انتهت الأشغال به وتم تدشينه وتوجد به مرافق يستقبل فيها الضيوف ومنازل يقدم لها الزائرين وعابري السبيل، حيث تتم استضافتهم وإطعامهم.

ولها ثلاث مدارس لتحفيظ القرآن، يشرف عليها معلمان، وهناك معلمة خاصة بتعليم النساء القرآن والسيره النبوية، ولقد كانت المدرسة القرآنية تعلم داخليا ويقمن نساء الزاوية بإعداد الطعام¹.

أما عن مصادر التموين الخاصة بالزاوية: فهي تتمثل في مساهمة شيوخ القبائل والعروش المجاورة وأتباعها في مختلف المناطق، بالإضافة إلى تبرعات المحسنين والمريدين لصالح الزاوية، بالإضافة إلى اللمة: وهي ما يجمعه شيخ الطريقة من المتبرعين لتغطية مصاريف إحياء ذكرى وفاة الحاج أحمد بن بوحفص في فصل الخريف، منتصف شهر نوفمبر من كل عام، بحيث يحصل على مبلغ معتبر.

كما تقدم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف إعانة رمزية تقدم كل ثلاثة إلى أربع سنوات، وتصرف هذه المداخل في كل أوجه الإحسان والخير في سبيل الله .

¹عاشور سرقمة: المرجع السابق ، ص9.

ثالثا: دور الزاوية الشيخية وعلاقة الشعانة بها.

1- دور الزاوية الشيخية :

لقد عمل سيد الحاج أحمد بن بوحفص على تدريس القرآن وتقديم دروس في الوعظ والسيره وكان ينبذ العنف ويصلح بين المتخاصمين في القبائل، كان شديد المحبة لوطنه، إذ كانت زاويته ملجأ للشوار والمجاهدين منذ تأسيسها بالصحراء، وكان مربيا للأيتام حتى يزوجهم، كما تعمل المدارس القرآنية بها صباحا ومساء، فتستقطب في فصل الشتاء حوالي 60 طالب، أما في فصل الصيف فيتجاوز عددهم 200 طالب.

ويتلى في الزاوية الورد الشيخي من فصل الشتاء إلى الربيع، فالورد العام الذي يلقي عامة الورد الخاص الذي يأخذ من المقدم وحزب الفلاح ومتن الحضرة بعد الفجر والمغرب، كم تدرس النساء من قبل إحدى السيدات صباحا ومساء .

وتقدم الزاوية حاليا عدة نشاطات منها تقديم المساعدات للمحتاجين وكفالة اليتامى والمعوزين وعابري السبيل من إيواء وأكل وشرب ، وفتح قسم لمحو الأمية للنساء وآخر لتعليم القرآن¹ . كما تحيي الزاوية الشيخية بمتللي الشعانة الأعياد الدينية مثل الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف وتقوم بمبادرة ختان الأطفال .

تحتفل الزاوية سنويا بذكرى وفاة سيد الحاج أحمد بن بوحفص، المصادف تنظيمها منتصف شهر نوفمبر في فصل الخريف، تتوج خلال هذا الاحتفال الذي يعرف محليا بمعروف سي الحاج ما بين 30 إلى 35 شابا في عرس جماعي، وتتكفل بإطعام ما يقارب 1200 شخص، ويقام في هذا الإحتفال عروض للفروسية والمهري مع طلاقات البارود لإحياء التراث الشعبي.

كما تلتقي النساء في فناء الزاوية يقمن بالحضرة في مدح الرسول -صلى الله عليه السلام- وشيخ الطريقة تتخللها زغاريدهن.

يعد هذا المعروف للم الشمل ومركز للتعارف، فيقصد الزاوية محبي ومريدي الطريقة من مختلف النواحي من مدينة متللي الشعانة وضواحيها، ومن المنبعة وورقلة والبيض وبريزينة التي يقدم منها أعداد كثيرة بالإضافة من خارج الوطن، وهنا يتمثل لنا دورها في التكافل الاجتماعي.

¹ المرجع نفسه، ص 11.

وبهذا يتضح لنا أن للزاوية الشيخية عدة أدوار علاوة على الدور الثوري هناك دور إصلاحي ودور ديني ودور اجتماعي .

2-علاقة الشعانية بالزاوية الشيخية :

لقد كان الشعانية من أتباع الطريقة الشيخية، كما كانوا يجوبون بلاد أولاد سيد الشيخ للتسوق.¹ ولما دخل الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر، كان في الجنوب الجزائري هناك تقارب بين شريف ورقلة وقائد فرع الشراقة لأولاد سيد الشيخ في منتصف القرن التاسع عشر للميلاد، لكن السلطات الفرنسية استمالت الثاني في صفها وأغرته بمنصب الخليفة وهو سي حمزة بوبكر، فانقلب تحت اسمها على شريف ورقلة لمحاربتة، فأعد الجيش ووصل إلى بريزينة يوم 5 نوفمبر، وفي يوم 9 من نفس الشهر توجه إلى متليلي، فمن مخيمه في أم الدالي كتب إلى قبيلة الشعانية ليعلمهم بوصولهم ويطلب منهم الاستسلام لفرنسا، ثم التقى بهم على نصف مشية بين قوفافة وعرقوب السبع، فمنحوا لسي حمزة بوبكر حصان القادة²، ولما اجتمع العقيد الفرنسي بالشعانية نادى فيهم قائلاً: يا شعانية بن رزقة ويا سكان متليلي لقد اقترفتُم ذنبا بإيوائكم لمحمد بن عبد الله فأجابوا قائلين: لقد صدقت ولكن في المستقبل إذا تقدم الواحد إلى الواحة سنطرده بالبارود والرصاص.

إن خضوع الشعانية لقرار حمزة حتى ولو كان مخطئ يفسره ذلك الارتباط الروحي والديني الذي كان بين الشعانية وأولاد سيد الشيخ، يعود هذا الارتباط إلى عهد سيد الحاج بحوص الذي عاش بين الشعانية ردحا من الزمن فكانوا يقومون بالزيارة ويقدمون الهدايا.³ كما أن الاستقرار والتجاور بين القبيلتين أولاد سيد الشيخ في الغرب تواب وتديكلت وجنوب بريزينة أين يتواجد الشعانية، كذلك جعلهما يعتنقان الطريقة الشيخية ويتشاركان في مختلف الأمور، ولما انتفض أولاد سيد الشيخ عام 1864 كانت مدينة متليلي معقل للثوار، إذ خيم سي الأعلى في شمال منطقة النومرات لحشد الثوار، كما طلب من آغوية ورقلة أن تكون في مقدمة الثوار، فانظم إليه أزيد من ألف مقاتل في نهاية شهر فيفري، من ضمنهم أولاد زياد، طرافي، مخادمة، بني إبراهيم، شعانية متليلي، وفي سنة 1881م وبانطلاق ثورة الشيخ بوعمامة التي حظيت بدعم الشعانية وكانت فرقة الفرسان للشعانية الذين كانوا تحت قيادة مولاي إبراهيم قدور بن عمار تجمع الاشتراكات والإعانات وإرسالها إلى أولاد سيد الشيخ دعما

¹-دوماس: المصدر السابق، ص 410.

²-تروملي: المصدر السابق، ص 420.

³-نفسه، ص 425 .

للجهاد والمقاومة، ولما استقر الشيخ بوعمامة في عرق مقيمين عام 1895م كانت شعانة الشرق تزوره باستمرار، لذا يتضح من خلال ما سبق أن الشعانة مرتبطة بأولاد سيد الشيخ، خاصة وأن للشعانة سلوك سياسي صارم لا يعترفون بسلطة أحد، بينما يطيعون رؤسائهم الدينيين أولاد سيد الشيخ وبأنهم شعب متعطش للاستقلال، أما عن موقف الشعانة من زاوية الحاج أحمد بن بوحفص فقد أجابني شيخ الزاوية بأن الزاوية فيها الشعانة وبالخصوص أولئك الكبار الذين لا يزالون يحفظون سيرة أجدادهم، وأن الذين يسهرون على خدمتها أكثر هم فرع أولاد حنيش.

إن زاوية سيد الحاج أحمد بن بوحفص في مدينة متليلي لها دور كبير في المجتمع المتليلي يتمثل في البعد الديني والروحي والاجتماعي، يظهر من خلال تماسكهم وطاعتهم للمشيخة الزاوية واحترامهم لإمامها وتنفيذ أوامره، وهذا مانراه من خلال الجهاد معهم ضد المستعمر الفرنسي .

02: أسباب مقاومة أولاد سيدي الشيخ وتحضير الشعانة لها

أولا :أوضاع قبيلة أولاد سيدي الشيخ قبل انطلاق الثورة:

بعد انتهاء من توقيع معاهدة لالة مغنية¹ التي بموجبها انقسمت القبيلة إلى فرعين، وجد الفرنسيين أنفسهم في حاجة للتقرب من فرع الشراقة واستمالتهم إلى صفهم، خوفا من التمرد عليهم وانضمامهم إلى جانب الأمير عبد القادر، الذي كان في حاجة ماسة إلى من يقف إلى جانبه بعد أن تقطعت به السبل واغلقت أمامه أبواب المغرب الأقصى، وقد اتحدت رغبت الفرنسيين سنة 1850م مع رغبة حمزة بن بوبكر زعيم فرع الشراقة، الذي استطاع إقناع رؤساء قبائل الصحراء بفكرة انضمامهم للفرنسيين، وبالرغم من نجاحه في إقناع القبائل في مسعاه إلا أنه بقي مترددا وغير مقتنع كل الاقتناع في وضع يده في يد الفرنسيين، ولكي يدفعه الفرنسيون لوضع حد لهذا التردد ونظرا لمعرفتهم للمكانة والسمعة الروحية الواسعة التي كان يتمتع بها الرجل، والتي تمتد بين التل إلى قبائل الطوارق في الصحراء الشرقية وأنهم لا يمكنهم التفريط به، سعوا إلى إقناع أخوه سي النعيمي بفكرة الخضوع لهم

¹- معاهدة لالة مغنية وقعت بين فرنسا والمغرب في 18 مارس 1845م، والتي كان الهدف منها اظهار حسن نوايا فرنسا اتجاه المغرب وأنها جاءت لتبحث عن استمرار علاقة الهدوء والاستقرار بين الطرفين، كانت لها أبعاد استراتيجية بالنسبة للطلب الفرنسي، سعى هذا الأخير من خلالها لإنيجاد ثغرة للتدخل في شؤون قبيلة أولاد سيدي الشيخ، بل قاموا من خلالها إلى تقسيم وحدة القبيلة إلى قسمين بين الجزائر والمغرب. ينظر: محمد أعفيف: توات

مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، المرجع السابق، ص282

وأسبغوا عليه بعض الامتيازات ،وبهذا الإجراء دفعوا بسي حمزة للإسراع إلى رئيس المكتب العربي لإعلان خضوعه لهم¹.

وأصبحت العلاقة بين أولاد سيد الشيخ بالبيض وفرنسا مبنية على التبرص والتوجس حتى بعد تعيين حمزة ولد بوبكر خليفة على الصحراء، والذي قدم خدمات جليلة لمصلحة فرنسا²، إذ عمل على متابعة الشريف محمد بن عبد الله ومحاربه³ واحتل متليلي لمصلحة الفرنسيين وكذا المنيعه عام 1851م، ولكن فرنسا سرعان ما استغفرت أولاد سيد الشيخ بعد وفاة سي حمزة، إذ نكلت بأتباعهم في متليلي والمنيعه لمشاركتهم الفعالة في ثورة الشريف بن عبد الله، ومما زاد الأمر سوء محاولتها المتكررة لتقليل نفوذ الطريقة والأسرة.

بعد وفاة سي حمزة عينت فرنسا ابنه أبا بكر باشا آغا، والذي أكمل دور أبيه في محاربة واعتقال الشريف بن عبد الله، إلا أن منصب باشا آغا اعتبر تقليلا بمنصب أولاد سيد الشيخ من قبل السلطات الفرنسية، وقد تفتن زعماء هذه العائلة إلى هدف فرنسا ونيتهم الحقيقية المتمثلة في إقصاء العائلات ذات النفوذ والتخلص منها، مستعملين عدة أساليب، خاصة التي طبقوها مع عائلة أولاد سيد الشيخ عندما حاولوا الخط من قيمتهم السياسية عن طريق إلغاء منصب الخليفة وتعويضه بلقب أقل منه وهو الباشاغا، والتعمد في إقصاء الزعماء⁴ وعدم استشارتهم في أمور داخلية تخص منطقة نفوذهم، إضافة إلى التعسف الغريب والمعاملة السيئة لضباط المكاتب العربية⁵.

إذ بعد هذه السياسة الإقصائية التي تبنتها فرنسا ضدهم، أعلنوا العصيان والثورة بقيادة سليمان بن حمزة⁶، الذي عينته السلطات الفرنسية، إلا أنه قام بإعلان الثورة ضد فرنسا انتقاما لأبيه وأخيه وبالتأثير من عمه سي الاعلى بن أبي بكر، وهذا الرجل الذي كان له دور كبير في التخطيط للثورة والرفض للمسار الخياني لأخيه وابن

¹-Trumlet. C :Les Français dan le Désert, gamier frères libraires ,éditions ,p78

²- أنظر : الملحق رقم 30، ص 185.

³- أنظر : الملحق رقم 32، ص 187.

⁴-Au gustin Bernard et la croisc :historique de la penetration Saharienne giralt imprumieur photogaveur alger 1900 p230.

²-derrecagaisc le generale de division comt de martim prey, librairie chapelate rene, paris, 1913, p382 .

³-سليمان بن حمزة بن بوبكر: هو الابن الثاني لحمزة، ولد في حدود 1848، خلف أخوه المتوفي سنة 1862 وعمره لا يتجاوز 20 سنة، استمرت سلطته حتى 1864م أين أعلن العصيان والانفصال عن فرنسا. ينظر: فاطمة حباش: سي الاعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ 1820-1896، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2004-2005، ص ص 32، 49.

أخيه، وقد كان سي الاعلى بن بوبكر¹ يشرف على تنظيم قبائل الصحراء كل من الشعانية والمخادمة وضمهم للثورة وتدريبهم على العمل المسلح²، فوحدا قوتهم وبادرا بعمليات عسكرية منذ 1864م وعلى فترات متواترة، ساهم بها في مد وتوسيع نطاق الثورة جغرافيا شمالا وجنوبا³ وبدايتها مع حملة طاقين التي تجهز فيها سي الاعلى على رأس قوة قدرت بـ 1500 مقاتل من شعانية متليلي والمنيعة.

في أوت 1864م والتي انتهت بإعلان كل من قبائل المنطقة الولاء والخضوع السلمي بدأ بالأربعاء ثم سكان العمور وبوغار⁴ وخضوعهم يفسر ولاءهم الديني لأولاد سيد الشيخ، وأولاد سيد الشيخ من خلال سي الاعلى قد حاول تنسيق جهوده وتحقيق أهدافه ضد فرنسا مع عناصر ليست من العائلة ليؤكد بذلك أن ثورتهم لم تكن لأجل أغراض وأهداف خاصة ارتبطت فقط بالمحافظة على امتيازات العائلة في الأرض، أو المحافظة على ألقابها الدنيوية وحقوقها في الزيارات، وإنما مبدأهم مرتبط بفكرة الدفاع عن الوطن، ومنطلق ضرورة حماية الدين والوطن من عدو أجنبي عاث فسادا بالهوية الدينية للمجتمع، فالقناعة المطلقة بنبل هدف ثورة أولاد سيد الشيخ دفعه إلى تناسي الأحقاد والانضمام إلى الثورة والمشاركة فيها من إخراج العدو نهائيا بكل شجاعة وإخلاص وهذا باعتراف من زعماء الثورة⁵، مما سمح ببقاء الحس الثوري قائما في الصحراء رغم توالي فشل الثورات. وبدأ سي الحاج الدين بالتوجه في صحراء الساوره عبر واد زرقون وتاجرونة وللماية⁶.

وأصبح تحالف أولاد سيد الشيخ مع العديد من قبائل الشعانية والمخادمة والناصر بن شهرة يشكلون قوة هائلة في المنطقة، دفع بالسلطات الاستعمارية إلى حجز كل من قوافل ميزاب التجارية وقطع اتصالاتهم بها، مما أوقعهم في ضيق مادي وتسبب في المجاعة⁷.

¹- سي الاعلى بن بوبكر الصغير: ولد في حدود 1820 م من أم تنتمي لقبيلة المخادمة، عين اغا على اغوية ورقلة عوضا لأخيه الزبير بعد إصابته بمرض عضال سنة 1862م، واستمر في المنصب حتى 1864م لينضم بعدها إلى ابن أخيه سليمان وينسق العمل الثوري ضد السلطة الاستعمارية، توفي سنة 1896م. ينظر: فاطمة حباش: المكاتب العربية ودورها في المد الإستعماري بالغرب الجزائري 1844م-1870 - تيارت جيرفيل- البيض نموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013م-2014م ص 163.

²- فاطمة حباش: سي الاعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيد الشيخ، المرجع السابق، ص 41.

³- المرجع نفسه: ص 51

⁴- المرجع نفسه: ص 53.

⁵- أبو قاسم سعد الله: تاريخ الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 193 .

⁶- يحيى بوعزيز: ثورات الجزائر المرجع السابق، ص 213 .

⁷- عبد الرحمن الجيلي: تاريخ الجزائر العام، ج 4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 322 .

وقامت السلطات الفرنسية بحملة تأديبية بقيادة الجنرال فرجول¹ على سي الاعلى وأتباعه من الشعانة في حفرة الشاوة يوم 31/01/1865م، ودارت بين الطرفين مواجهة قوية انتهت بمقتل العديد من أتباع أولاد سيد الشيخ حوالي سبعة قتلى والعديد من الجرحى².

وأُجبر على الانسحاب مع أتباعه متوعدين بالانتقام، والذي نُفذ فعليا ضد القوات الاستعمارية التي عمدوا على ملاحقته بقوة تقدر بـ 600 جندي مشاة و 80 فارس، ليتواجه معها في معركة قرب حاسي بوروبة³.

ثانيا: أسباب ثورة أولاد سيد الشيخ.

قبل الدخول في أسباب التي جعلت أولاد سيد الشيخ يقومون بالثورة كان لابد من ذكر منابع الروح الجهادية عند أولاد سيد الشيخ والتي تمثلت في:

1. الآية الكريمة 111 من سورة التوبة [إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ ۖ يَفْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۖ فَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]⁴.

2. الخليفة أبو بكر الصديق، الذي بذل النفس والنفس من أجل الإسلام ومحاربة أهل الردة، ويقول في ذلك "والله لو منعوني عقال بغير كانوا يعطونه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتم عليه حتى يؤدونه."⁵ وهو الجد الأكبر لسيد الشيخ عبد القادر بن محمد، الذي حارب الإسبان ومات متأثرا بجراحه⁵.

3. استخدام فرع الشراقة في مساعدة الفرنسيين وتمكينهم من التوسع في الصحراء، وهذه الخدمات التي خدمها حمزة بن بوبكر أضرت بمصالح المجال الجغرافي للعديد من قبائل الصحراء، حيث أصبحت تحركاتهم وأنشطتهم وأسرارهم تحت أنظار الفرنسيين، كما أنها أضرت بسمعة قبيلة أولاد سيدي الشيخ وشوّهت مكانتهم بين أعراب وقبائل الصحراء الذين كانوا يُنزلون القبيلة منزلة الأشراف وإذا بها أصبحت بتصرفات البعض من أفرادها تخدم المسيحيين ومخططاتهم.

¹ - ولد فرجول في 17 / 09 / 1821، درس بالمدرسة العسكرية سان سير وتخرج منها سنة 1841م، ترقى في مهامه العسكرية حتى أصبح جنرالا سنة 1847م. ينظر :

Faucom Narcisse; *Le Livre Dor de L'Algérie 1830 1839*, T1 Paris 1889 P 255 .

² Charles fereaud ; *Notes Pour servir a l'histoire d'Ouargla*, RAN :64 /1923 P 407 .

³ Charles fereaud : op_cit , p 417 .

⁴ - القرآن الكريم: سورة التوبة، الآية: 111.

⁵ - مقابلة مع السيد المجاهد بوغوفالة العيد يوم 15 جانفي 2016 على الساعة العاشرة في منزله .

4. سوء سياسة المكاتب العربية اتجاه السكان بعد استدعاء ضباطها القدماء ذو الخبرة والمقدرة على معاملة الأهالي إلى درجة أن اتصفت سياستهم بالعنف والشراسة، وحقيقة هؤلاء الضباط اتجاه الأهالي الجزائريين لم تكن تراعي عواطفهم وشعورهم إلا في حدود مصالح فرنسا ومصالحهم، و في ظل التغيير الذي طال هذه المكاتب باستبدال ضباطها الذين احتاجهم الجيش الفرنسي في حروبه الخارجية بضباط آخرين لا يملكون الكفاءة والخبرة.¹

5. إرهاب السلطات الفرنسية للسكان بالضرائب فوق طاقتهم دون النظر إلى أحوالهم المادية الصعبة والهدف منها هو إفقار السكان وتخطيطهم ماديا حتى لا يثوروا ضدها، ولكن ردة فعل الجزائريين كانت دائما هي العكس.

6. مصادرة السلطات الفرنسية للأموال العقارية للسكان عموما وأولاد سيد الشيخ خصوصا كلما سمحت لها الفرصة، وهذا ما زاد بؤسهم وشقائهم، وما يلفت النظر إن هذه العملية كانت تطبيق لصالح المعمرين.²

7. قيام السلطات الفرنسية بتجاهل شخصية سي سليمان عندما أقدمت على تعيين عدد من القادة الجزائريين في منطقة حكمه دون استشارته.³

8. حملات التشهير والتحقيق ضد الجزائريين التي مارستها السلطات الفرنسية عن طريق الصحافة والمعمرين و أجهزة الإدارة.⁴

10. إهانة مركز العائلة والإنقاص من قيمتهم والعمل على تحطيم نفوذهم السياسي والإداري، فبعد أن كان سي حمزة يتولى منصب الخليفة، انزلوا ابنه سي بوبكر ومن بعده سي سليمان إلى منصب الباشا وهو أقل درجة من الخليفة لينزع منها بالتدرج، وعينوا قادة جدد لهم علاقة مباشرة مع ضباط المكاتب العربية بالبيض.⁵

11. المشاجرة التي وقعت بين الصفيين الشرقي والغربي عام 1863م، التي جرت في مدينة القارة بمنطقة وادي مزاب، يقول شارل فيرو "أنها كانت السبب في ثورة سي سليمان بن حمزة وأسرته، حيث تمكن إبراهيم بن بوهون قائد الصف الغربي من شراء تأييد الباشاغا سليمان ورئيس شعانبة ومخادمة ورقلة، فشن هجوما على العدو ونال

¹ إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، 1837-1934، دار هومة الجزائر - 2005، ص 220

² -بجي بوعزيز: ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 176.

³ -إبراهيم مياسي: التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 219.

⁴ -بجي بوعزيز: ثورات الجزائر، المرجع السابق ص 141

⁵ -المرجع نفسه : ص 219.

منهم، فطلبت السلطات الفرنسية من سي سليمان أن يوقفهم لكنه تماطل وبعدها أخذ يحضر للثورة، كما وجه نداء لعائلته وأكد لهم بأن الفرنسيين الذين قتلوا أباه وأخوه لا يترددون في قتله هو كذلك¹.

لم تكن الأسباب التي ذكرناها عاملا مباشرا لقيام ثورة أولاد سيد الشيخ، وإنما هيأت الطريق وحفزت القبائل نفسيا لتحمل أعباء الكفاح المسلح وتحمل نتائجه التي تجرعتها، فأما السبب الحقيقي والمباشر والذي أفاض كأس، هو ذلك الحادث الذي حصل يوم 29 جانفي 1864م حيث اجتمع سي الفضيل كاتب سي سليمان بن حمزة، وعدد من أفراد عائلته أولاد سيد الشيخ في ساحة البيض* وأخذوا يلعبون لعبة "الهف"***، وخلال اللعب تدخل أحد الصباحية*** وحرك بيدق بطريقة غير صحيحة، مما أدى إلى حصول مشاجرة بينه وبين سي الفضيل، فاعتادوه إلى مقر المكتب العربي وعوقب هناك، وعندما علم سي سليمان بالحادثة أسرع للمكتب وأطلق سراحه فاعتبر هذا الحادث إهانة له ولعائلته، ومن هنا أخذ يستعد لإشعال نار الثورة ضد الاحتلال الفرنسي وقرر الجهاد من أجل طرده من أرض أجداده².

وبتاريخ 17 فيفري 1864 انتقل سي سليمان بن حمزة إلى الجنوب عبر وادي زرقون و بالضبط إلى نوميرات شمال متليلي رفقة إخوته و عمه سي الزبير و عدد كبير من أولاد سيدي الشيخ، و قد جعل نوميرات منطقة التقاء لكل الثوار فالتحق به الشعانية و المخادمة الذين يقودهم عمه سي الأعلى، و هناك شكل مجلسا حربيا و كلف كاتبه سي الفضيل بتحرير عدة رسائل لكل القبائل و العروش و الإخوان يشرح لهم فيها الأسباب التي دعت للثورة و على إثر ذلك توافدت إليه القبائل و الكثير من الشخصيات التي كان من بينها ابن ناصر بن شهرة على رأس جماعة من الأرباع و جلول بن حمزة الذي وصل من القليعة(المنيعه) رفقة عدد معتبر من الخنافس إضافة إلى التوارق، و حتى سيدي الشيخ بن الطيب الزعيم السابق لفرع أولاد سيدي الشيخ الغراية أعلن دعمه للثورة و أرسل وفدا من المغرب لسي سليمان³.

¹ - يحي بوعزيز: ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 172.

*البيض أو البيوض هي تسمية قديمة تعود أصولها إلى ما قبل الاحتلال، يقال انها كانت تكتسيها طينة بيضاء استعملت لغسل الصوف والبرنوس. انظر: مديرية المجاهدين، ص 11.

**الهف: هي لعبة مشهورة ومنتشرة بكثرة بالجنوب تشبه لعبة الشطرنج. ينظر: ابراهيم مياشي: الاحتلال الفرنسي، ص 212 .

***الصباحية: كلمة تركية الأصل، وتعني الجنود والفرسان. ينظر: أبو قاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1860/ 1900)، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2000، ص 614.

²البشير بلاخ: تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ج 1، ص 277..

³ Trumelet : Note Pour servir...Op, Cit, P 185

و كان من أهم ما جاء في نص إعلان الجهاد : " الحمد لله ذي الاسم الأعظم و الصلاة و السلام على نبي الهدى من عبد ربه سليمان بن الشهيد حمزة بن أبي بكر رحمهما الله ، إلى كل من مقدم الطريقة الرشيدة و شيوخ القبائل، و كبار العمائر، السلام عليكم و رحمة الله و بركاته أما بعد : " هذا مني إليكم باتفاقه جماعتنا بشرى بإعلان الجهاد في سبيل الله على سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم ضد ال كفار الفاسقين الفرنسيين لعنهم الله، الذين صالوا علينا و تعدوا و طغوا و شرعوا في إهانة ديننا الحنيف، لا أراد الله بعدما فسقوا في أرضنا و أحلوا ما حرم الله فيها نحن نرفع راية المحمدية و بشرنا كل مسلم بالجهاد راجين من المولى سبحانه و تعالى أن ينصرنا على الكفار المخزيين و راجيين منكم و من ناسكم جميعاً أن أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو ال ه و عدوكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم " و ما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم و انتم لا تظلمون "فإياكم و إياكم و كونوا من القوم الذين وعدهم الله " ألا خوف عليهم و لا هم يحزنون " و لن يخلف الله وعده.

الجهاد، ثم الجهاد و بيوم المصانع و ميدانه و الجمع اللازم قبله يخبركم تفصيلاً حامل البلاغ هذا و ليبلغ من لا يبلغه من بلغه و السلام "بتاريخ 22 شعبان 1280¹.

¹ Si Hamza Boubakeur **Origines de la guerre du Sud-Oranais Contre la France, 1864-1900, Selon la version arabe, Revue d'Histoire Maghrébine, n° 6, Tunis 1976, P 138.**

ثالثا: تحضيرات أبناء الشعانية للمقاومة.

ارتبط الشعانية مع بعضهم ارتباطا وثيقا وقويا جدًا، هذا الارتباط الروحي الديني كانوا يلتقونه منذ القدم في زاوية سيد الشيخ وسيد الحاج بوحفص وذلك بحضور الحلق الدينية التوعوية في رص الصف والجهاد في سبيل الله، وبتقديم الهدايا والتبرعات لأصحاب الزاوية الذين كانوا قدوتهم في ذلك.

تميز الشعانية بتأسيس زوايا في كل المناطق على غرار زاوية سيد الشيخ التي كان لها دور هام في الاتحاد وتوفير الأمن والمأوى والمأكل والمشرب لكل من يقصدها¹، ومركزا لانطلاق مقاومتهم ضد المستعمر الفرنسي، حيث جمع لها الشعانية التبرعات من المنيع وورقلة وزلفانة ومثيلي وسبب وحاسي الحجر، وكانت هذه التبرعات لتحضير الجهاد الذي نادوا له في كل تجمعاتهم، فجمعوا الخيل والتمور والذخيرة، ولم يقتصر جمع التبرعات على الشعانية لوحدهم بل ساهم فيها بني ثور والمخادمة بعدما زالت الخلافات بينهم، وتوحدوا على هدف واحد وهو مقاومة الاحتلال الفرنسي².

وهذا ما سنستعرضه في مساهمتهم الكبيرة في مقاومة أولاد سيدي الشيخ للمستعمر الفرنسي.

03: مساهمة أبناء الشعانية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ

أولا: مقاومة أولاد سيدي الشيخ ودور الشعانية فيها

كما أشرت سابقا كان لزاوية أولاد سيد الشيخ دور كبير في تبني المقاومة ضد المستعمر الفرنسي، وعينت محمد بن عبد الله لتولي المقاومة في الصحراء، ودخلت تحت لوائه العديد من القبائل الصحراوية خاصة الشعانية³.

اندلعت هذه المقاومة سنة 1864م، بتأديب القبائل المعارضة للثورة في المنطقة، خاصة في وادي نسا، مما جعل الحاكم العسكري للأغواط سوزوني Suzzuni يرسل الضابط لوتولي Letellier رئيس المكتب العربي إلى هناك من أجل مواجهة هذه المشاكل و ترحيل القبائل الموالية للسلطة الفرنسية حتى لا تتأثر بتلك الحوادث، فقد كان الباشاغا سي سليمان الذي قاد الثورة يمثل بالنسبة لسكان الصحراء الجنسية الوطنية و الدينية الجزائرية⁴.

¹Charles AMAT :o.p.cit ,p73.

²-IBID p 38.

³-Charles AMAT : O.p.cit P 73.

⁴ Trumelet : Note Pour servir...Op, Cit, P 183

و رغم بداية الثورة في أواخر شهر فيفري 1853 خلال شهر رمضان، إلا أن سي سليمان يبدو ما زال متردداً أو بالأحرى غير مقتنع بالعمل العسكري و ذلك نظرا لاتصاله عن طريق رسالة بعث بها إلى الحاكم العام الفرنسي بالجزائر يذكره فيها بأعمال والده سي حمزة و أخيه أبوبكر و أنهما قدما خدمات كبيرة للسلطات الفرنسية و ظلّا أوفياء لها حتى وفاتهما، و أنه بدوره خدم السلطة الفرنسية و نفذ أوامرها، لكنه استنكر في هذه الرسالة التصرفات السيئة للمكاتب العربية، و أنه يرفض العمل معها و تنفيذ أوامر السلطة الفرنسية حتى يقع تغيير في سياستها و في ضباطها¹ و من أبرز ما جاء في هذه الرسالة: " كنا نعتقد أننا كلفنا بحماية العرب حتى لا يخافوا و لا يهربوا و هي نفس مهمة المكاتب العربية، حسب التعليمات التي أعطيت لنا...إننا لم نغادر هذه المكاتب العربية و لم نتوقف عن أداء واجبنا نحوها إلا عندما تخلت هي عن واجبها...إنني أعلمكم بأي مستقر بين إخواني و أصدقائي من جماهير السكان و لن أصافح مع أحد من رجال السلطة إلا عندما اتصل بما يثبت احترامكم لنا، و قد أعلمناكم بما في قلوبنا فقررنا ما ترون"².

إن هذه الرسالة اعتبرت السلطات الفرنسية ذرا للرماد في الأعين و كسبا للمزيد من الوقت من أجل التحضير الجيد للثورة و الدليل على ذلك تقول المصادر الفرنسية كيف لرجل يستعد للحرب و جمع الرجال و السلاح و استعداد فعلا للانتقال نحو الشمال أن يطلب في هذه الرسالة حل المشكل بشكل ودي إن صح التعبير، لذلك لم يتلقى سي سليمان أي رد على رسالته هذه³.

إن هذه الرسالة و إن صحت فهي تثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن سي الأعلى فعلا هو من دفع ابن أخيه لإعلان الثورة مستغلا عدة ظروف خارجية و داخلية للتمرد⁴ ، و أن سي الأعلى الذي عين سابقا أغا على ورقلة كان قد اتصل بالشريف محمد بن عبد الله و ابن ناصر بن شهرة و عمل الجميع لمقاومة الزحف الاستعماري و كان لابد من زيادة الدعم المادي و البشري، خاصة إذا توفر هذا الدعم في قبيلة كبيرة مثل قبيل أولاد سيدي الشيخ بنفوذها الديني بشكل خاص على الكثير من القبائل وخاصة قبيلة الشعانبة .

¹ . يحيى بوعزيز : ثورات الجزائر، المرجع السابق ص 145

² يحيى بوعزيز : نفسه ص 145

³ Trumelet : Les français, Op, Cit, P 11.

⁴ يحيى بوعزيز : ثورات الجزائر، المرجع السابق ص 147

حيث اختيرت متليلي الشعانية لتكون منطلقا لها، ونخيم للمقاومين والثوار، فقد خيم سي الاعلى يومي 17-18 فيفري 1864م شمال متليلي بمنطقة (النومرات) وشرع في جمع المقاتلين والمجاهدين والمؤيدين لأولاد سيد الشيخ¹، حتى بلغوا نهاية فيفري 1864م أزيد من ألف مقاتل²، والتحق بهم سي سليمان بن حمزة يوم 28 فيفري مع أبناء عمومته زعيم الصف الغربي الشيخ بن الطيب للتحضير واستعداد للثورة³.

تم تعيين حمزة ولد أبو بكر كخليفة على الصحراء، بدءا من البيض بحوض الساوره إلى ورقلة في الواحات الشرقية، والذي قدم خدمات جليلة للفرنسيين إذ عمل على متابعة الشريف محمد بن عبد الله ومحاربه، وسهل انضواء مدينة متليلي الشعانية تحت لواء النفوذ الفرنسي في 20 جانفي 1854م، وكذلك المنيعه 1861م⁴، وبعد وفاة سي حمزة توترت العلاقة بين أولاد سيد الشيخ والفرنسيين، وأصبح التوجس والترصص هو الغالب على العلاقة بينهم حتى بعد تعيين سي حمزة ولد أبو بكر خليفة على الصحراء، ولكن فرنسا سرعان ما استغرت أولاد سيد الشيخ بسبب تنكيل هذه الأخيرة بأتباعهم بمتليلي الشعانية والمنيعه، وذلك لمشاركتهم الفعالة في ثورة الشريف بن عبد الله وزاد الأمر سوءا لمحاولتها المتكررة لتقليل نفوذ الطريقة والأسرة، خاصة بعد الوفاة المفاجئة لحمزة ولد أبو بكر في 15 أوت 1871م⁵ زعيم أولاد سيد الشيخ الشراقة، الذي قدم خدماته الجليلة لفرنسا لما كان خليفة لها على الصحراء، إذ حارب الشريف بن عبد الله واحتل مدينة متليلي الشعانية لصالح الفرنسيين، وبعد وفاته عينت فرنسا أبا بكر أغا كخليفة لوالده ليتم دوره في القضاء على ثورة الشريف وأتباعه⁶ إلا أن المنية وافته قبل أن يكمل غايته ليعتلي أخوه سي سليمان مقامه، وبدلا من أن يكون حليفا لفرنسا تحول إلى عدوها اللدود انتقاما لأبيه وأخيه، وقد ساندته عمه سي الاعلى بن أبي بكر هذا الرجل الذي كان له دور الأول في التحريض والتخطيط للثورة والرفض للمسار الخياني والمتخاذل لأخيه وابن أخيه، واتخذ سي سليمان من مدينة متليلي الشعانية مركزه ومعسكره في 28 فيفري 1864م، وساندته شعانية متليلي وشعانية المنيعه، وبلغ عددهم ألف من المهاري⁷، وفي

¹ - أنظر : الملحق رقم 31، ص 186.

² -C.Trumlet : Histoire De L'insurrection Dans Le sud De La prvince DALger En 1864 ,Adolphe Jour Dan Imprimeur Libraire , Alger ,1879 ,p5 .

³ -Ibid ,p 06.

⁴ -Augustin Bernard et La Croisc :Historique De La Pénétration Saharienne, giralt Tmprimeur phogreveur ,Alger ,1900,p230 .

⁵ -يحي بوعزيز: ثورات الجزائر، المرجع السابق، ج 1، ص 169.

⁶ -نفسه، ص 170.

⁷ -Père Vellard :OP.cit ,P 58.

يوم 8 أبريل 1864م توجهوا نحو مخيم الجيش الفرنسي بهضبة عوينة أبو بكر شرق البيض والحقوا بها خسائر فادحة¹.

وقد جرت أحداث معركة عوينة بوبكر بعد أن تمكن سي الاعلى من إقناع ابن أخيه سي سليمان بن حمزة بدفعه للثورة ضد المحتل الفرنسي، حيث كلف سي الفضيل كاتبه بالتعبئة الجماعية وإبلاغ كل العروش والقبائل، خاصة الشعانبة الذين كان لهم الدور الكبير في هذه المعركة ومساعدتهم ماديا ومعنويا لأولاد سيد الشيخ.

ولم يمض شهر فيفري 1864م حتى تمت الاستعدادات واشتعلت نيران الثورة في 8 أبريل 1864م في أول معركة كانت في منطقة عوينة بوبكر شرق البيض²، حيث خرج سي سليمان بقواته من الشعانبة والمهاري وأتباعه من القبائل الأخرى بقوات بلغت 3500 محارب لمتابعة حاكم تيارت بوبريط³ الذي وصل إلى جهة ستين وتمركز في منطقة عوينة بوبكر محاصرة سي سليمان، غير أن هذا الأخير سبقه إلى ذلك وباغته بقواته والتحمت القوتان في معركة ضارية هاجمت فيها قوات سي سليمان وأتباعه خيمة العقيد بوبريط وقتله سي سليمان⁴، أما هذا الأخير فقد قتل من طرف حارس العقيد في نفس الوقت الذي قتل فيه العقيد بوبريط، وفي ذلك كتب اللواء جونشي عن معركة عوينة بوبكر معتمدا في تحريرها على تقرير مفصل حرره طبيب بيطري نجح بأعجوبة من الهلاك يقول فيه: بالنسبة لي لم تتوفر لدي معلومات غزيرة عن الهجوم المفاجئ الذي قاده سي سليمان ضد قواتنا، لقد باغتتنا العرب صبيحة 8 أبريل إلى درجة أننا لم نفهم شي مما حدث.

لم نكن أبدا نتوقع هذا الهجوم القوي ولا هذه المجزرة العنيفة، لقد أحدث الهجوم فوضى عارمة في المخيم الفرنسي ولم نتمكن من الدفاع عن أنفسنا، بل رمينا بعنف في جدول الماء وأطلقت علينا النيران من كل الجهات، إنه هجوم عنيف وقوي لا يختلف عن العاصفة الهوجاء التي تخطف كل شي في طريقها، وفي خضم هذه الفوضى لم أشاهد سوى النقيب ازنارد وهو يركض نحو فرسه عاريا الرأس مضطربا، أما العقيد بوبريط والضباط الآخرون لم

¹-C,Trumelet : OP.Cit ,P15.

⁴-أحمد بن يحيى: الطريقة الشيخية وعلاقتها بالمشاركة السياسية، وهران، 2013، ص 39.

³-العقيد بوبريط: الكسندر من مواليد 1821 بمدينة صالان بفرنسا، انتقل إلى الجزائر سنة 1839 وانخرط في الجيش الفرنسي ثم ترقى في الرتب العسكرية حتى بلغ رتبة عقيد وحاكم تيارت، وقتل من طرف سي سليمان بن حمزة سنة 1864. ينظر: محمود الواعي: ثورة أولاد سيد الشيخ والقبائل المؤيدة لها، مجلة الجيش، العدد 403، مديرية الاتصال والإعلام والتوجيه، الجزائر 1997، ص 07.

²-مالك بوحفص: ثورة أولاد سيد الشيخ 1864، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص 53.

أمكن من مشاهدتهم بسبب بسيط هو أن الشخص يعجز عن الرؤية كل شي في خضم مثل هذه الفوضى، وعلى كل حال فإن لم يكونوا قد قتلوا فإنهم يبقون عاجزين عن الفرار، لقد هلكوا جميعاً¹.

وكذلك معركة عين لقطا : في يوم 26 افريل 1864 خاض الثوار بقيادة سي الأعلى، ابن ناصر بن شهرة، شعانة ورقلة، المخادمة، و بني ثور معركة عين لقطا قرب خنق عزيز شمال شرق البيض ضد قوات الجنرال Martineau Le général و التي خسر فيها هذا الأخير 72 قتيل و 31 جريح²، تلتها معارك أخرى يوم 21 افريل و يوم 01 ماي³.

و في ظل هذه الانتصارات الساحقة سارعت السلطات الفرنسية إلى اتخاذ العديد من الإجراءات الإستعجالية لعل أهمها الدفع بقوات إضافية لحصار الثورة و منعها من الانتشار، لذا جندت خيرة ضباطها من أمثال الجنرال يوسف Général Yusuf الذي توجه ناحية جبال عمور من أجل ملاحقة سي الأعلى و أنصاره، فانتقل عبر قصور عين ماضي و تاجرونة و بريزينة و الأبيض سيدي الشيخ حيث نهب القبائل الموالية للثوار و أرغمهم على دفع الضرائب الباهظة، كما انتقل الجنرال ديليني Général Deligny من البيض إلى الأبيض سيدي الشيخ، حيث هاجم قصر الربوات و أخضع سكانه بالقوة بعد أن غادرهم زعيم الثورة سي محمد الذي اتجه إلى الجنوب، بينما كلفا الجنرال روز Général Rose⁴ و الجنرال لاباسي Général⁵ Lappasset بملاحقة سي الأزرق بلحاج في فليطة بجبال الونشريس و الذي كانت تربطه علاقات

¹ - نفسه: ص ص 50-51.

² Bissuel : **Histoire De Biskra**, 2ème Partie Du 1 Aout 1856 Au 31 Décembre 1879.

A.N.O.M, 10H43,, P 61

³ Paul Gaffarel : **L'Algérie: Histoire, conquête et colonisation**, Libraire De Firmin-Didot et Cie, Paris, 1883, P 258

⁴ الجنرال روز : **Rose Étienne-Hugues** ولد في طولون في 12 سبتمبر 1812 ، تخرج من الكلية الحربية بسان سير ، انتقل للعمل في الجزائر نقيب سنة 1840 ، قائد كتبية في 1849 ، ثم، عقيد سنة 185 ، شارك في الكثير من الحملات الفرنسية خاصة ضد القبائل ال كبرى سنة 1837 أصبح الجنرال ، ودعي إلى قيادة لواء المشاة من الحرس الإمبراطوري ، و لكنه عاد مؤقتا إلى الجزائر لقيادة عمود في بعثة 0753 ضد فليطة، تم ترقية إلى لواء في مارس 0758 ، تم تقاعد في 23 ماي 1872 ينظر : **Narcisse Faucon Livre D'Or De L'Algérie**, Tome Ier Biographier, Paris, 1889, P 533.

⁵ الجنرال لاباسي : **Lapasset Ferdinand-Auguste** ولد في سان مارتن دي ري بتاريخ 29 جويلية 1817 ، تخرج برتبة ملازم من الكلية الحربية بسان سير سنة 1837 ، نقيب سنة 1845 ، لمع نجمه في ال كثير من التقارير العسكرية نظير ما قدمه من جهود في توطين الاستعمار الفرنسي في الجزائر، تقلد ال كثير من الوظائف، و نال ال كثير من الأوسمة ، و ترقى في الرتب العسكرية غادر الجزائر بعد 25 سنة من العمل سنة 1865 و واصل عمله في فرنسا حتى تاريخ وفاته سنة 1875، ينظر : **Narcisse Faucon : Op, Cit, P 365.**

مع ثورة أولاد سيدي الشيخ¹.

ولقد لعبت الشعانية المهاريس دور كبير في الانتصار الذي حازه أولاد سيدي الشيخ في هذه المعارك مما أرجع للقبائل الأخرى الثقة والأمل في الحرية وشجعهم على مواصلة الجهاد ضد العدو². ولهذا عاقبت فرنسا سكان متليلي الشعانية، إذ كان لهم نصيب كبير من الأعمال الوحشية، إذ ظلت المركز الأخير الذي تحصن به سي الاعلا وسي قدور بن حمزة، الذين توالى عليهم عروض الصلح والأمان، إلا أن هذه المفاوضات التي كانت تجري بين الطرفين، كانت منطقة متليلي مسرحا لها وذلك بسبب تواجد أعداد من زعماء أولاد سيد الشيخ بها، بالإضافة إلى العلاقة المتينة التي كانت تربطهم بشعانية متليلي.

استخلص من ذلك مراسلة رئيس المكتب العربي بالأغواط النقيب دوران إلى عدون بن باسعيد المؤرخة بتاريخ 29 جوان 1872م، التي جاء فيها بأن سي الاعلا قد طلب الأمان من الحاكم العام للجزائر بواسطة ابن سي النعيمي وقائد متليلي الشعانية سليمان بن مسعود³، وكذلك مراسلة قايد متليلي الشعانية سليمان بن مسعود والقائد علي بن حروز المؤرخة بتاريخ 3 سبتمبر 1877م إلى حاكم الأغواط بخصوص طلبه بفتح المفاوضات مع أولاد سيد الشيخ بمتليلي الشعانية لأجل استسلامهم، حيث ذكرا بأنهما اتصلا بأولاد سيد الشيخ منهم الزبير بن بوبكر والمعراج بن النعيمي وهم على استعداد أن يقدموا إلى متليلي الشعانية بشرط ضمان أنفسهم وممتلكاتهم⁴.

لكن هذه المفاوضات التي كانت تجري بين الأطراف أمثال سي الزبير لم يكن الهدف منها الاستسلام، بل كانت الغاية منها إعادة الاتصال بالشعانية، إلا أن الإدارة الفرنسية تفتنت لذلك وأرسلت برقية مستعجلة للجنرال دولفيردو قائد عمالة المدية فقد أمر بمنع سي الزبير من الإقامة بمتليلي الشعانية وذهب بعدها إلى تميمون وبقي هناك إلى أن توفي بسبب الحمى يوم 25 نوفمبر 1878م⁵.

¹Archilles Fillas, *l'insurrection des oulad sidi cheikh en 1864 (recit militaire)*, Alger, 1889, Pp24, 25.

²حمزة بوبكر: *سيدي الشيخ الصوفي الجزائري*، تر: محمد حسين آل سيدي الشيخ، دون ط، دون ت، ص114.

³-Blidi Brahim Ben Youb: *De l'Indigénat son application aux Mozabites*, Imprimerie Administrative et Commerciale Moderne, Philippeville 1903.p114

⁴-قايد القياد سليمان بن مسعود والقائد علي بن حروز: مراسلة إلى حاكم الأغواط، متليلي 28 شعبان 1294 هـ / 6 سبتمبر 1877م.

⁵-Le General De Loverdo: *Dépêche Télégraphique*, N 316, Médéa: 08/09/1877, A. O,f1

إن خضوع أولاد سيد الشيخ الشارقة سنة 1883م، جعل الفرنسيين يستغلون ذلك لبسط سيطرتهم على بقية المناطق الجنوبية، وكان آخر المستسلمين هو سي قدور بن حمزة الذي التقى بالجنرال توماسين في بريزينة شهر أفريل 1884م، وانتهت بعقد اتفاق في مدينة بريزينة الذي وقعه سي الدين بن حمزة في 20 ماي 1883م¹.

وبالرغم لما حدث لزعماء أولاد سيد الشيخ إلا أن منطقة متليلي الشعانة وسكانها ضلوا متمسكين وأوفياء لزعماء الثورة خلال كل مراحلها، وأول المؤازرين للثورة بعد إعلانها رغم الحملات الانتقامية التي جهزها ضباط الحملات الفرنسية ضد منطقة متليلي الشعانة، خاصة حملة دوسونيس 1866م التي تكبدوا خلالها خسائر مادية وبشرية انتقاما لمشاركتهم ومساندتهم لأولاد سيد الشيخ إلا إن ذلك لم يكن عائقا أمامهم وأخذوا مشعل الثورة والجهاد في ثورة الشيخ بوعمامة.

فما هي وقائع حملة دو سونيس على شعانة متليلي وماهي نتائجها؟.

¹-E-Mangin :Notes Sur L Histoire de la ghouat/In/R.A ,V38,1894,p115.

ثانيا: رد فعل الاستعمار على الشعانية ونتائجها.

1- حملة دو سونيس على شعانية متليلي :

1-1: التعريف بالقائد دو سونيس:

ولد لويس قاستون دو سونيس يوم 1825/08/25، في مدينة لا بوانت أبتيير من إقليم جوادلوب الفرنسية بالحيط الأطلسي¹. أكمل تعليمه في الأكاديمية العسكرية وتخرج برتبة ملازم، حيث كان متميزا من بين رفقاته وميوله الديني المتطرف وتقديسه لتعاليم الكنيسة².
والتحق بالحفل الماسوني في عام 1847م فأصبح أكثر تعصبا للكاتوليكية، فأصبح ولاؤه كله للكنيسة، وفي سنة 1849م تزوج دو سونيس من الآنسة جيني أنطوانيت، والتي أنجبت له اثنا عشر طفلا³. وتمت ترقيته إلى رتبة نقيب سنة 1854م، وفي 1857م شارك في حملات عسكرية في الجزائر وبالضبط في بلاد القبائل، حيث تم إخضاع هذه المنطقة فأقام هناك قداسا للشكر، وفي عام 1860م عين قائدا أعلى في منطقة التنس بالشلف، وفي عام 1866م قاد معركة ضد متمردي الشعانية في متليلي وحقق فيه انتصار كبيرا، كما شارك سنة 1869م في معركة عين ماضي بالأغواط حيث عين فيها برتبة مقدم⁴. ثم عاد إلى فرنسا أثناء الحرب البروسية في سنة 1870م، لكنه وبعد انتهاء الحرب طلب اعفاءه من الخدمة العسكرية بدعوة إصابة تعرض لها أثناء الحرب، ووافته المنية في يوم 15 أوت 1887م⁵.

1-2: حملة دو سونيس على متليلي الشعانية:

كما ذكرنا سابقا من أن متليلي الشعانية كانت معقلا للثوار وسندا وظهيرا لأولاد سيدي الشيخ، مما جعل المستعمر الفرنسي يستشيط غضبا وحنقا على سكان متليلي ويركز حملته عليها ليضعف المقاومة ويقضي عليها، فقام العقيد دو سونيس الذي تأثر بموت القائد بوبريط الذي كان صديقه المقرب، الذي وجده مقتولا إثر الهجوم الذي شنه الثوار في 08 أفريل 1864م، وقد أكلت الذئاب جثته، فما كان من العقيد دو سونيس أن قام بمهاجمة متليلي، وذلك بقيام بخطة تكتيكية خدع فيها ثوار الشعانية⁶، وأوهم الثوار بأنه متوجه إلى الأغواط نحو

¹-Charles d'Hallencourt: La Croix et l'épée Vie illustrée du général de Sonis, C. Paillart Imprimeur- Editeur, Abbeville 1893, p10.

²- Ibid, p26.

³-Albert Bessiéres: Sonis 1825-1887, Beauchesne Editeur, Paris 1946, p 35

⁴-Ibid, pp116-113

⁵-Charles d'Hallencourt: Op.cit, p81.

⁶-Charles Hallencourt :Ibid,p82

جبال العمور، ولكن سرعان ما غير وجهته نحو متليلي. كانت الحملة المشكلة من الكتيبة الثانية عشر من المقاتلين المشاة، وقطعتين من المدفعية، بما في ذلك الطواقم الطبية والمؤونة¹.

وفي نفس الوقت بلغت أنباء للعقيد أرندو القائد العسكري لدائرة باتنة عندما كان بالحجيرة أن شعانية متليلي يجهزون الثورة من جديد؛ الذين بدورهم قاموا بمصادرة قافلتين تجاريتين كانتا آتيتين من بسكرة².

وفي 4 جانفي 1866م جاءت إخبارية تفيد بأن جيش دو سونيس متجه نفس الوجهة، فقام بتحريك قوم سعيد عتبة أصحاب القافلة المنهوبة المتكونة من 600 فارس والتي خرجت من ورقلة وانضمت إلى دوس سونيس عند وصوله إلى متليلي الشعانية، وقفل هو راجعا إلى ورقلة³.

لقد كان سي لعلا ومن معه من قادة الثوار متمركزين متوجسين من تحركات المستعمر الفرنسي إلا أن حملة دو سونيس كانت خاطفة ومباغتة، حيث اختارت تخوم العرق الغربي الطريق السهل متجنباً بذلك التضاريس الوعرة لبلاد الشبكة، مختار لوائي مصك للدخول إلى متليلي من الجهة السفلية من منطقة سبب، وذلك بالقيام بحركة دورانية مباغتة⁴.

التقى الجيشان دو سونيس وسعيد عتبة بالقرب من متليلي في يوم 9 جانفي 1866م، حيث قام دو سونيس بإرسال فرقة استطلاعية بقيادة النقيب لورو، حيث عرض لورو على ثوار الشعانية الأمان مقابل الاستسلام، لكن الرد كان بالبنادق وصيحات الله أكبر، فما كان من النقيب لورو أن تقهقر إلى الوراء مخلفين أزيد من 12 قتيلا وجرحا⁵.

قام لورو بالاستنجاد من العقيد دو سونيس، وذلك بإرسال أحد الجنود لإطلاعه بمجريات المعركة وما لاقوه من الثوار من بسالة في القتال وبأس شديد، لكن العقيد دو سونيس آثر الانتظار مختبئاً في الجهة السفلية من متليلي في مكان يسمى سبب، ووضع كمين للثوار عند مرورهم من طريق سبب⁶، وكان توقع العقيد في محله فلم يمر وقت طويل حتى حاول الثوار دخول منطقة سبب فوقعت هناك الواقعة والتحم الجيشان، لكن الثوار تفاجئوا بعدد القوات الكبيرة فقاموا بالانسحاب ودخلوا إلى متليلي⁷.

¹-Mgr Baunard: Op.cit, p207

²-Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p419.

³-Ch. Feraud: Les Ben- Djellab Sultans de Tougourt, In, R.A, V31, 1887, p 26./ Gouvernement General de l'Algérie: Op.cit, p420.

⁴- Albert Bessières: Sonis 1825-1887, Beauchesne Editeur, Paris 1946, p 116.

⁵-Ibid,p117

⁶-Mgr Baunard: Op.cit p209

⁷-Ibid ,p211

قامت قوات العقيد دو سونيس بمطاردة الثوار إلى أن أُلجئوهم إلى وادي متليلي، فتقاتل الفريقان قتال عنيف، مما أعاق الجيش الفرنسي من دخول إلى متليلي. وأعطى العقيد دو سونيس أوامره للجنود بالترجل من على خيولهم لتسهيل عملية التحرك داخل قصر متليلي، نظرا لصعوبة المسالك ووعورتها، وقام باستعمال المدفعية لذلك مما أدى بالثوار إلى الانسحاب واللجوء إلى أعالي هضبة القصر، وتكبد بذلك الثوار خسائر كبيرة إلا أنهم لم يستسلموا للعدو¹.

بعد سيطرت القوات الفرنسية لقصر متليلي، قام العقيد دو سونيس بتدنيس المسجد العتيق حيث دخله وجنوده وحيولهم يرفسون المسجد بأقدامهم باستعلاء وتجر، ثم أمر بجمع الأهالي ليخطب فيهم خطبة المنتصر، فتوعد لكل من يحمي الثوار الفارين أو التستر عليهم بالعقوبة القاسية، وضرب عليهم إتاوات قدرت بألفي فرنك فرنسي، مما أشاط غضب السكان ولكن لا حول لهم ولا قوة². ثم أخرج بعدها مرسوما يقضي بتنحي القيادات الثلاثة لعروش متليلي الشعانبة واستبدالهم بآخرين وهم: القايد أحمد بن أحمد الشلقي فرع أولاد علوش، حيث حل محله محمد الرسيوي، وفرع أولاد عبد القادر الذي كان يترأسهم محمد بن محمد حل محله محمد بن فرج الله، وعرش القصر وهو المهم نظرا لمكانته نصب في معمر بن يعيش قايدا له³.

وقد مكث الجيش الفرنسي في متليلي حوالي تسعة أيام من دخولهم إلى قصر متليلي، حيث أباح العقيد دو سونيس لجنوده المدينة فعاثوا فيها فسادا كبيرا، قتلا وتخريبا ونهباً للأموال، وتذكر بعض الكتابات الفرنسية هذه الأعمال الوحشية التي تعرض لها المجتمع المتليلي، فقد أقدم الجنود بحملة تفتيشية في مساكن ودور متليلي ونهبوا منها الكثير من الأموال والمتاع والحيوانات، منها 340 جملا وأزيد من 200 جحش، و1300 شاة، بالإضافة إلى ما يعادل 60 ألف فرنك فرنسي⁴.

وعبر العقيد دو سونيس أنجازه هذا بالنصر العظيم وذلك في مراسلة له إلى أحد أصدقائه قائلا: "لقد تمكنت قبل أيام من احراز نصر باهر في متليلي، لم أفقد فيه سوى خمس رجال..."⁵.
وتحدث في موضع آخر: "لقد تمكنت في هذه اللحظة من اخضاع ثوار الشرق، لم تتمكن أي قوات فرنسية من اقتحام متليلي قبلنا"⁶.

¹-Albert Bessieres .sonis1825-1887.Bauchesue Editeur, Paris 1946 .p117

²-Mgr Baunard :Le cardinal lavigerie ,2Tomes ,Librairie.ch.Poussielgue,Paris1896 .p118

³-Ibid ,p211

⁴-Charles Hallencourt :op.cit,p81

⁵-Albert Bessieres :op.cit,p117

⁶-Mgr Baurard :op.cit,p211

التجأ الثوار بعد انسحابهم من متليلي إلى واد ثغير¹ حيث انسحب سي لعلا مع أغلب شعانة متليلي جنوباً هرباً من الأعمال الوحشية التي قام بها المستعمر الفرنسي فيهم، حيث سمى هذه بخلية متليلي الثانية والتي تعتبر أكبر خلية². ويتذكر البليدي أن الشعانة قاموا بمغادرة متليلي بعد مطالبة الحكومة الفرنسية لهم بدفع مستحققاتهم من الضرائب والمكوس المترسبة عن تسع سنوات، فهاجروا إلى واد ثغير، وأن عدوان بن باسعيد قد كلف بمهمة من القائد العام لعمالة المدية لإقناعهم بالرجوع إلى متليلي³، وهذا ما أكدته القطب اطفيش في رسالته إلى الحاكم العام بالجزائر سنة 1849م بقوله: "...وكم من مال صالحوا به من صالحوا ممن يخرج عنكم كالشعانة ردوهم إليكم من واد ثغير"⁴.

وبخلاصة القول يمكننا أن نستخلص من ثورة أولاد سيدي الشيخ ومشاركة الشعانة معهم الميزات التالية في مواجهتها وصمود قادتها وأعيانها أمام الفرنسيين:

1. لم تكن للثورة إستراتيجية معدة سلفاً في مواجهة العدو وإنما الإستراتيجية كانت تتغير حسب الظروف الطبيعية وحسب القبائل حيث كان عنصر المحجوم فيها على المراكز الفرنسية أينما وجدت هدفاً وعمل الانسحاب من المعارك عندما تشدد القوات الفرنسية الحصار على القبائل (حصار قبيلة الشعانة وإلحاق الضرر بها) وتقوم بملاحقة الثوار لتجديد العزم وإعادة الكرة عليهم .
2. في كثير من الأحيان وجد الثوار أنفسهم محجرين عند توليهم قيادات المعارك منح الأولوية للقبائل المساندة للثورة كقبيلة الشعانة الذين تركزوا بالقرب منها وخاضوا معارك على أطرافها .
3. جل القبائل وبالأخص قبائل الشعانة شاركت في الثورة ودعمتها بالمدد المادي والبشري وتكبد أهلها خسائر عظيمة في الأرواح والممتلكات (عام الخلية الأولى والثانية) لم يجبر ذلك الشعانة على تغيير موقفهم من دعم الثورة ومواصلة الوقوف إلى جانبها وبذلك تفويت الفرصة على العدو الفرنسي لإجبارها تحت وطئت ما لحق بأفرادها للاستسلام والخضوع .

¹- وادي ثغير: من أهم أودية المنطقة، يبعد عن متليلي بحوالي 90 كلم جنوباً، عرضه حوالي 500م غني بالأبار، فيه مائة وواحد بئر أشهر آبار: حاسي بركاوي، حاسي زعنون، وحاسي الشارف، لذلك تعتبر أرضه من أحصص الأراضي في المنطقة ومرعى للرعاة وملجأ حالة الخطر. ينظر :

Henry Deverier: Itinéraire de Methlili à Hassi Brghaoui et d'El-Golea'a à Methlili, p591.

²-Mgr Baurard :op.cit,p209

³-Blidi Brahim Ben Youb:op.cit.p41

⁴-أحمد بن يوسف اطفيش: رسالة الرد على إلحاق وادي ميزاب والاعتراض على تعديل قانون الملكية العقارية بالجزائر، تح: فتيحة بطو، جامعة النيلين، السودان، 2006، ص133.

4. إن ثورة أولاد سيدي الشيخ قد انطلقت من منطقة متليلي الشعانية، وأن شعانية متليلي هم من حرضوا سليمان على الثورة وهم من أزروه بعد إعلانها، ورغم الحملات الانتقامية التي جدها ضباط الحملات الفرنسية ضد هذه المنطقة، خاصة حملة دو سونيس سنة 1866م والتي أثخنت في شعانية متليلي، إلا أنهم ظلوا أوفياء لزعماء الثورة خلال كل مراحلها، حتى استسلامهم وخضوعهم للفرنسيين في بداية ثمانينات القرن التاسع عشر
5. اتخذ أغلب قادت الشعانية المساندين لأولاد سيدي الشيخ الرأي والمشورة سندا لهم في كل مرحلة من مراحل الثورة سواء فيما يتعلق في اختيار القائد أو الوقوف إلى جانبه إذا كان سنه لا يسمح له بالتولي المهمة إلى بلوغ سن الرشد ولم تكن المشورة محصورة بين أفراد قبيلة الشعانية فقط بل توسعت لكل القبائل المناصرة لمقاومة أولاد سيدي الشيخ وهذا يعد من بين أهم العوامل التي أعطت نفسا طويلا للثورة وقوت من عزيمة قادتها على الاستمرار في مواجهة الفرنسيين وهذا ما حدث في ثورة أولاد سيدي الشيخ الثانية بقيادة الشيخ بوعمامة والشعانية وهذا ما نتطرق له في الفصل الموالي .

الفصل الخامس:

قبائل الشعانية ودورهم في مساندة الشيخ بوعمامة (1881 – 1900)

01: مقاومة الشيخ بوعمامة

02: الشعانية ودورهم في مقاومة الشيخ بوعمامة

03: مواجهة فرنسا للشعانية.

04: نهاية الشيخ بوعمامة ومصير الشعانية بعده

بالرغم من استسلام أغلب زعماء أولاد سيدي الشيخ الشراقة، ورضوخهم للاستعمار الفرنسي، حيث تم بسط سيطرتهم على كثير من مناطق الصحراء الكبرى وشمالها، إلا أنها جوبهت بعدة مقاومات متفرقة هنا وهناك ولكنها كانت تتسم بعدم الفاعلية والتنظيم، حتى ظن المستعمر الفرنسي أنه قضى على المقاومة في الصحراء ومناطق التل.

إلا أنه وفي ظل الهدوء الذي ساد الصحراء ومناطق التل خرج من رحمها ثورة منظمة وموحدة، حيث أنها تعتبر من أطول الثورات الشعبية التي عرفت الجزائر، دامت قرابة الربع القرن من أبريل 1881 إلى غاية أكتوبر 1908، ألا وهي ثورة الشيخ بوعمامة التي اتسمت بالتنظيم وحنكة في الجهاد العسكري، هذا من جانب وكذلك عرفت جانبا آخر وهو الجانب السياسي، وكانت بين الانتصار تارة والهزيمة تارة أخرى.

كل هذا جعل من المستعمر الفرنسي بطيء التقدم نحو بسط نفوذه في الصحراء ومناطق التل. وكانت ثورة الشيخ بوعمامة تستمد قوتها من قبائل الصحراء الأشاوس، ومن بين هذه القبائل قبائل الشعانية.

فما هو دور قبائل الشعانية، وبالأخص شعانية متليلي في هذه الثورة؟ وما مصيرها بعد هذه الثورة؟

01: مقاومة الشيخ بوعمامة

أولاً: أصل الشيخ بوعمامة :

الشيخ بوعمامة محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن إبراهيم بن التاج بن عبد القادر (المعروف بسيدي الشيخ) بن محمد بن سليمان أبي السماحة بالقاعية بن أبي ليلي عيسى بن معمر بن سليمان العالية بن سعد بن عقيل بن الحافظ بن عسكر بن زيد بن أحمد بن عيسى بن طودي بن محمد الشايب بن عيسى بن زيد بن طفيل بن مديو بن أزور بن صفوان بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر¹.

ينتسب الشيخ بوعمامة البوشيخي إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ، التي قسمت إلى مجموعتين بمقتضى إتفاقية لالة مغنية حول الحدود عام 1845م، فأصبح أولاد سيدي الشيخ الشراقة تابعين للجزائر، وكان موطنهم بالبيض² جنوب وهران، بينما أصبح أولاد سيدي الشيخ الغرابة ضمن القبائل المغربية وإلى هذه المجموعة، ينتمي الشيخ محمد العربي³ المشهور ببوعمامة، والتي لازمتها طوال حياته لكونه كان يضع العمامة على رأسه شأنه شأن العرب⁴.

اسمه محمد، ولكن لا يعرف إلا بكنيته بوعمامة، وهو زعيم ديني سليل عائلة أولاد الحرمة التي تنحدر من أولاد سيدي التاج الإبن الثالث عشر للجد الأول سيدي الشيخ الذي خلف ثمانية عشر ولداً، توفي منهم سبعة ولم يخلفوا، أما إبنه التاج الذي ولد من أم فقيقية، وكان التاج مدللاً عند والده حيث كان يمنعه من الخروج خوفاً عليه⁵.

¹ - عبد الوهاب بن منصور: أعلام المغرب العربي، المملكة المغربية، ج2، المطبعة الملكية، المغرب، 1998م، ص72.

² - أصل التسمية لمدينة البيض يعود إلى كلمة البيض مأخوذة من صفة البياض نسبة على المكان ذي التربة البيضاء الذي بنيت عليه المدينة، وتروي رواية أخرى أن التسمية مأخوذة من شهرة المنطقة بالثلوج كل شتاء، وعلى العموم فإن أصل التسمية مصدره طبيعة المكان التضارسية أو المناخية، تقع في الجنوب الوهراني حوالي 280 كم من وهران، تقع على ارتفاع 1320 م من البحر على جبل العمور، تنتمي البيض ومنطقتها إلى سلسلة جبال العمور، التي يحتضنها جبال كسال وهي تتميز بمناخ بارد في الشتاء وبصقيع قارس يتخلله سقوط ثلوج تستمر عدة أسابيع مع رياح باردة وتعد مركزاً هاماً يقع وسط كثبان الحلفاء والشيخ. ينظر: تومي حدة: المنهج التربوي للعلامة سيدي الشيخ، رسالة لنيل شهادة الماجستير (غير منشورة)، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، الجزائر، 2013، صص 09-10.

³ - معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء محيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ج6، مطبعة سلا المغربية، المغرب، 1992م، ص18.

⁴ - عبد الوهاب بن منصور: أعلام المغرب العربي، ج2، المرجع السابق، ص75.

⁵ - عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة (1881-1908) جانبها العسكري 1881-1883م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغبة، ج1، الجزائر، 2010م، صص 37-38.

أنجب سيدي التاج ولدين هما عبد الرحمن وإبراهيم وهكذا انقسم أبناءه إلى قسمين: أولاد سيدي إبراهيم يدعون بأولاد بالحرملة، وأولاد عبد الرحمن المعروفون بأولاد سيدي التاج¹.

كان يحظى سيدي التاج بالإحترام والتقدير ولاسيما من طرف سي النعيمي بن أبي بكر الفرع الأكبر لأولاد سيدي الشيخ الشراقة وإليه تنسب الأجيال التي تناسلت من بعده (بأولاد الحرملة)²، وإثر خلاف وسوء تفاهم بينهم وقع بينهم في أواخر الثامن عشر حول البحث على النفوذ والإستحواذ على واردات الزوايا³ التي كانت قبلة الآلاف من الزائرين من مختلف ضواحي الأبيض سيدي الشيخ⁴.

وقد ولد بوعمامة بقصر الحمام الفوقاني بقيق المغربية عام 1840م حسب رواية إبراهيم مياسي ويوافقه الرأي بشير بلاح وعبد الحميد زوزو، ولكنهما اختلافا في مكان ولادتهما فإبراهيم مياسي وبشير بلاح ذكرا ولادته في محاذة الحدود الجزائرية مع المغرب الأقصى⁵، بينما ذكر عبد الحميد زوزو بأنه ولد في فرات مستورة قرب نخلات بني براهم في وادي زورفانا جنوبي بلدة بني ونيف⁶. ل زوزو قبل انتقال الشيخ بوعمامة إلى المغرار التحتاني التابع لقيق عام 1875م وزواجه من لالة ربيعة بن سيدي المنور عمه وإنجابه عام 1867م سي الطيب.

تزوج بوعمامة ثلاث نساء هن:

- لالة بن سيدي المنور عمه، أم الشيخ سيدي الطيب، أنجب منها سي الطيب، السادة السهلي، إبراهيم ومحمد ولالة فاطمة.
- أم سليمان بنت إبراهيم من الشعانية، أنجبت من الأولاد: سيدي سليمان وسيدي الحاج أحمد وسيدي الشيخ ولالة عمورة.

¹-Le Marechal de Mac-Mahon: **Amendes et indemnités insurrection de 1864**, correspondance à monsieur le maréchale ministre de guerre, 16/02/1865, FR, ANOM, F80/1679.

²-عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة، المرجع السابق، ص 39.

³-الزوايا: هي مراكز علمية ودينية وإدارية استخدمتها الحركة السنوسية، تنتشر في شمال إفريقيا وهي عبارة عن كيان قائم بذاته وتعني الانزواء والاعتزال عن الناس والركن قصد التعبد وأداء وظائف أخرى. ينظر: أشرف صالح محمد سيد: المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العهد التركي، منشورات الأكاديمية الأمريكية للعلوم والتكنولوجيا، مجلة أمارا بك، مج4، العدد 7، (النويج 2013)، ص68.

⁴-Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie cinquième Année. 1865.N:190.p365

⁵-توجد قرية مغرار التحتاني أسفل المغرار الفوقاني، تحتوي على 200 منزل تقريبا لا يحيطها سور تشمل 4000 أو 5000 نخلة ينظر: Le Marechal: op.cit,p251

⁶-بني ونيف: هي بلدة تقع في قرى اقيق وإحدى قصور السبعة التابعة لسلطة المغرب الأقصى ولا يتبع الجزائر من هذه القصور بني ونيف. ينظر: عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة، ج1، المرجع السابق، ص38.

- آمنة بنت ابن سليمان من أولاد تلاغ من رأس الماء: أم سيدي عبد القادر وسيدي عبد الحكيم¹.

ثانياً: أسباب اندلاع ثورة الشيخ بوعمامة

لا تختلف أسباب ثورة الشيخ بوعمامة عن بقية أسباب الثورات الأخرى، وذلك بسبب الترابط والتقارب فيما بينها، وكذلك تمحورها حول هدف واحد وهو رفض الاحتلال الفرنسي وعدم الرضوخ لسياسته الجائرة المطبقة ضد كل القبائل، لذلك فقد اجتمعت عدة عوامل داخلية وخارجية عام 1881 التي دفعت بالشيخ ورفاقه إلى تفجير هذه الثورة ومن بين هذه الأسباب نذكر :

1- الأسباب المحلية الداخلية:

أ- لا يمكن أن نستبعد من بين الأسباب الجوهرية لثورة الشيخ بوعمامة هي السياسة التي اتبعتها فرنسا مع قبائل الصحراء، وخصوصاً قبيلة أولاد سيدي الشيخ والقائمة على مبدأ فرق تسد، والتي كانت من أخطر نتائجها تقسيم وحدة القبيلة إلى فرعين، وقد بلغت ذروة ذلك الانقسام إلى حد الإقتتال بين أفراد القبيلة بسبب تغذية الفرنسيين لها، مما أثر على سمعة القبيلة بين القبائل وزعزعت مكانتها الروحية بين عامة الناس².

ب- تدخل القوات الفرنسية المتمركزة بالجنوب الوهراني بالمجال الجغرافي لنفوذ الشيخ بوعمامة والقبائل المنتشرة بجوار زاويته عن طريق محاولتهما إنحاز مشروع السكة الحديدية الذي سيربط بين منطقة عين الصفراء بمناطق تواجد مضارب الشيخ بوعمامة وأفراد قبيلته بمحاذاة المغارر التحتاني في مكان تواجد زاويته، حيث تسببت بداية دراسة المشروع في حصول احتكاك بين القائمين عليه والقبائل المتواجدة هناك، فلجأ الفرنسيون إلى إقامة مركز دائم بالناحية لمراقبة تحرك القبائل وتضييق الخناق عليهم، والتي رأت في الإجراء الفرنسي مساساً بأمنها واستقرارها، فثار عليهم بزعماء بوعمامة ومنذ ذلك الحين لم يعد بمقدور القبائل التمتع بحرية التنقل بمواشيها بين الشرق والغرب مثل ما كانوا في الماضي³.

¹-عبد الوهاب بن منصور: أعلام المغرب العربي، المرجع السابق، ص90.

²-Graulle E :Insurrection du Bou Amama(Avril1881) Henire, chrls la Vaizelle .Edition Militaire.Paris,1905,p05

³-Ibid,p10

ج- محاولة الشيخ بوعمامة الإنتقام من قادة ثورة أولاد سيدي الشيخ الذين قضوا نجبهم على يد القوات الفرنسية في معارك الثورة الأولى ،لا لجرم ارتكبهه أو اعتداء قاموا به ضد الفرنسيين ،ماعدا قيامهم بمنع الفرنسيين من السيطرة على أراضيهم .

د- اعتبر الفرنسيون عملية القضاء على بعثة فلاتيرس من طرف قبائل الطوارق سنة 1881 م عمل يدخل ضمن سياسة التحريض وغرس الأفكار الهادفة للقضاء على التواجد الفرنسي في الصحراء التي شرعت في الالتفاف حوله وتبني أفكاره المحرصة على الجهاد ،فبدأت القوات الفرنسية تعمل جاهدة من أجل إحباط ما ادعت أنه جزء من مخطط طرد الفرنسيين من كامل الصحراء¹.

2- الأسباب الخارجية :

أ- إن الدعوة لوحدة العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر التي دعا إليها المفكر والمصلح الإسلامي جمال الدين الأفغاني، وبدعم من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني 1876-1908 الذي دعا إلى بناء مشروع الجامعة الإسلامية لمواجهة المهجمة الاستعمارية التي تعرض إليها العالم العربي والإسلامي وبدعم من المفكرين العرب الآخرين، ولاسيما محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد رشيد رضا والصحافة العربية والإسلامية وفي مقدمتها المصرية منها صحيفة البرهان المصرية ،كانت لها الأثر البالغ في شحذ الهمم والتحريض على المقاومة .

ب- قيام قوات الاحتلال الفرنسي بمهاجمة الأراضي التونسية بحجة واهية عام 1881م، الأمر الذي تطلب نقل قوات كبيرة من الجزائر للقيام بذلك الإحتلال الأمر الذي وفر فرصة لقيام ثورة بوعمامة في الجنوب الغربي الجزائري، وقد بلغ مجموع القوات الفرنسية التي تم نقلها من الجزائر إلى تونس 8686 جنديا، وهذا ما أكدته التقرير الذي رفعه الجنرال جريفيل بتاريخ 26 جويلية 1881 قائلا :إن أسباب الثورة هي ما يجري من حرب في تونس ومن توتر في كل العالم العربي وأن ذهاب قواتنا هو الذي أوهم بأن الجنوب الجزائري قد وهن الدفاع عنه، أما الأبعاد التي اتخذتها الثورة فإنني متشبت بموقفي من غير أن أواجه التهمة لأحد فيما يتعلق بالنجاح المحدود الذي أسفرت عنه العمليات الأولى² .

¹ - إبراهيم مياشي: التوسع الفرنسي، المرجع السابق، ص ص274-275

² -Kiva Henre Charles :brauzelle (1846-1930) en Alegria ,souvenirs Geryville ,Paris,1892, p16

ج- الدعوة السنوسية المنتشرة عبر الصحراء والتي دعت إلى مقاومة الإحتلال الأوروبي للبلاد الإسلامية، وقد وصلت إلى الشيخ بوعمامة عن طريق مقدمتها في عين صالح المهدي ولد باجودة فكان لهذه الدعوة الدور الهام في تشجيع بوعمامة ورجاله على الوقوف بوجه الاستعمار الفرنسي والتصدي لتوسعاته في المنطقة، فضلا عن الزوايا التي أنشأتها السنوسية في داخل الصحراء الكبرى والتي كان لها الأثر الكبير في مقاومة الإحتلال الأجنبي¹.

د- انتشار أخبار واحة العامري بالزيان² 1876م وثورة الأوراس 1879م بعد أن تضافرت تلك الأسباب وغيرها بدأ الشيخ بوعمامة يعد للثورة التي كان ينوي إعلانها في الوقت المناسب، والذي أجبر على إشعال فتيلها حتى وإن كان ذلك قبل موسم الحصاد لأن الشيخ كان ينتظر نهاية فترة الحصاد ليحصل الناس على حاجاتهم من الحبوب اللازمة لمعيشتهم ومعيشة مواشيهم سيما وأن المحصول كان ضئيلا ولكن الأهالي قد نفذ صبرهم وبدأ الشيخ بوعمامة يعد للثورة في بداية عام 1881م وذلك بدعاية واسعة وبزيارات متعددة لعدد من المناطق والقبائل الصحراوية للتبشير بما يعتزم القيام به وإقناع الناس باتباعه وتأيينه، وكان من ضمن من زاره الرزانية وأولاد خلفه والشعانية وحميان والطوافي وأولاد التومي وأولاد أحمد، ولم يكتف بتنقلاته وزيارته فأرسل عددا من المبعوثين للغرض نفسه والهدف مثل مرزوق السروري إلى قبائل الطرافي والطيب بن الجرمان وقبائل الأحرار الشراقة والعربي ولد الطيب الرزانية والمقدم ولد الزغم إلى أولاد زياد³. وقد تمت هذه الزيارات والتنقلات في الشهور الثلاثة الأولى من عام 1881⁴.

¹-براهيم مياي: إ: التوسع الفرنسي، المرجع السابق، ص94.

²تقع واحة العامري في الجنوب الغربي لمدينة بسكرة على بعد 50 كلم تقريبا على مجرى مائي ينحدر من جبال أقسوم ويصب في واد الجدي ومن الأسباب المهمة للانديالاع الثورة في واحة العامري العامل الديني، الذي سعى به أحمد بن عياش في عام 1876 وبدأ بحث البوزيد وكان القائد لهذه الثورة أحمد يحيي وهو من فروع البوزيد، ينظر: شهر زاد الشلي: ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيان في القرن التاسع عشر، د ط، الجزائر 2008م، صص 85-86

³عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة، المرجع السابق، ص20.

⁴-Innocenti, General, Insurrection du Sud-Oranais en 1881, Bou Amema et le colonel Innocenti, par le général Innocenti (15Aout 1893), 1893, pp2-10

ثالثاً: مراحل ثورة الشيخ بوعمامة

وانطلاقاً مما سبق ذكره، فقد قسمت مراحل ثورة الشيخ بوعمامة إلى مرحلتين:

- الأولى تعتبر مرحلة المواجهة المباشرة والتي كان فيها الشيخ بوعمامة مسئولاً على العمليات العسكرية ومشاركا فيها، وتمتد هذه المرحلة من سنة 1881م إلى 1883م.
- والمرحلة الثانية غير المباشرة حيث لم يكن الشيخ بوعمامة مشاركا فيها وإنما كان على علم بكل تلك العمليات التي يقودها الثوار ضد قوات المحتل الفرنسي.

1- المرحلة الأولى: 1881-1883م .

بعد أن تركز الشيخ بوعمامة وقواته وأتباعه من الثوار الشعانية الذين كانوا له سنداً ظهيراً في المعارك في منطقة مغرار، حيث قام باستنفار القبائل المجاورة وأتباعه من الطريقة الشيخية وحثهم على الجهاد ضد المستعمر الفرنسي، وقد كان يملك أسلوباً وحنكة وسياسة أكسبته العديد من الأتباع الذين بث فيهم أفكاره الثورية ضد المستعمر الغاشم¹.

بعد استقرار الشيخ بوعمامة بمغرار لم يبدي أي نية للمواجهة أو القيام بثورة، لكن تدمير الأهالي والقبائل المجاورة من الإستعمار الفرنسي الذي ضيق الخناق عليهم، وذلك لمحاولتها إنجاز السكة الحديدية² التي من خلالها قامت بمصادرة الأراضي وخاصة منها الرعوية، والتي تعتبر المصدر الأساسي لرعي مواشيهم التي منها قوتهم وحياتهم، مما جعلها تنشأ معسكراً في قصر تيوت³ تحسباً لرد فعل الأهالي لذلك. ومما زاد الطينة بلة هو منع السلطات المدنية والعسكرية بالضغط على بعض القبائل الرعوية ومنعهم من الانتقال بمواشيهم باتجاه الجنوب، خاصة منطقتي آفلو والبيض للبحث عن الكأ ولحماية ماشيتهم من برد الشتاء، مما أدى إلى تعرض ماشيتهم إلى الهلاك من شدة البرد⁴. كل هذه الأحداث دفعت بالقبائل إلى الشكوى للشيخ بوعمامة، للوقوف والقيام بالثورة

¹- إبراهيم مياشي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 273.

²- أنظر: الملحق رقم 35، ص 190.

³-E. Graulle : **Insurrection de Bou-Amama (avril 1881)**, Henri. Charles-La Vauzelle Éditeur militaire, Paris, p15

⁴-عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة 1881-1902م، الجزائر، 2010، ج1، ص47.

ضد المستعمر الفرنسي¹، وهذا الذي كان ينتظره الشيخ من القبائل لمساندته في ذلك. ويذكر "تروملي" بأن الشيخ بوعمامة كان مستعدا للتحرك ضد المستعمر الفرنسي منذ 1879م وهو في مغرار، وكان القادة العسكريون يرسلون تقارير سرية تحذر من زيادة نفوذ الشيخ بوعمامة في الجنوب الجزائري².

وبنهاية 1880م وبالرغم من المراسلات المتكررة للحاكم العام للجزائر ألبرت قريفي M-Albert Grévy الذي في بادئ الأمر لم يعر لها أي إهتمام، إلا أن القوات العسكرية الفرنسية بدأت تحط الأنظار نحو مغرار.

في ظل هذه الأحداث تمكن الشيخ بوعمامة باستغلال الأوضاع لصالحه، حيث قام بجمع القبائل الصحراوية وحشهم على الجهاد وإعداد العدة من مؤن وعتاد، وقد وجدت هذه الدعوة إقبالا كبيرا لدى قبائل الشعانية بالخصوص³ وأولاد سيد الشيخ وقبائل عمور وحميان وأخرى مجاورة عموما، مما سهل للشيخ بوعمامة في تجهيز جيشه بسرعة غير متوقعة للعدو.

وبعد التعبئة العامة للجيش بات الشيخ بوعمامة وأتباعه ينتظرون الفرصة السانحة للانقضاض على العدو الفرنسي، فكان السبب الرئيس في إشعال فتيل الثورة هو مقتل الضابط الفرنسي الملازم وينبروتر (Weinbrenner) النائب الثاني لرئيس المكتب العربي بالبيض يوم 22 أبريل 1881م مع حراسه الأربعة بعد محاولتهم اعتقال مبعوثي بوعمامة إلى قبيلة الجرامنة بالبيض⁴.

وفي أبريل 1881م استغل الشيخ بوعمامة غياب القوات الفرنسية التي كانت متمركزة بالإقليم الوهراني فأعلن الشيخ بوعمامة جهاده ضد المستعمر الفرنسي⁵، وهذا ما يؤكد تصريح الحاكم العام بمراسلته إلى وزير الخارجية يوم 21 أوت 1896م قائلا: "أن من أهم أسباب ثورة بوعمامة سنة 1881م هو غياب الجنود الفرنسيين لوقت طويل"⁶.

¹ - أنظر : الملحق رقم 33، ص 188.

² -C –Trumelet : **Histoire de l'insurrection des Oulad-Sidi-Echikh (sud-Algérien) de 1864 a 1880**, p482

³ أنظر : الملحق رقم 34:ص 189

⁴ -E-Graulle : op.cit,p23.

⁵ - أنظر : الملحق رقم 36، ص 191.

⁶ -Gules Cambon :**confidentielles** ,Rapport a Mr LE Ministre des affaires étrangères ,N2057 ,Alger 21-08-1896 ANOM F801695-F31.

وقد كان أول لقاء بين الشيخ بوعمامة والقوات الفرنسية يوم 27 أبريل 1881م بموقعة "سفيسفة" جنوب عين الصفراء، انتهت بإهزام الجيش الفرنسي، الذي ترك قتلاه في ساحة المعركة خاصة بعض الخونة وقائدهم¹. بعدما مني الجيش الفرنسي بهزيمة نكراء، قامت بعدها بالاستعداد والجاهزية للانتقام من معركة سفيسفة، حيث أعدت ثلاث فيالق من المشاة، وعدة سريا من قناصة إفريقيا، وفرقة المدفعية وفرق القومية من تيارت وسعيدة بقيادة الآغا قدور بن عدة والآغا الحاج قدور صحراوي، بالإضافة إلى قافلة متكونة من 2500 جمل يقودهم 600 جزائري، وكان قائد القوات العامة الجنرال "كولينيون دانسي" (Collignon d'Ancy)، ونظرا لظروفه الصحية ودخوله لمشفى بالبيض في 29 ماي 1881م تم تعويضه بالعقيد أنوسونتي (Indécent)، وفي 19 ماي 1881م في موقع الشلالة أو كما هو معروف بموقع مويك (تازينة) تواجه الطرفان بالمكان المسمى مولا² الذي يقع قرب قصور الشلالة بجمال القصور؛ أي بين عين تازينة وقصر الشلالة وهو ميدان فسيح عرضه 3 كلم متكون من تلتين متوازيتين تقريبا، حيث قام المجاهدون بقيادة الشيخ بوعمامة صبيحة يوم 19 ماي 1881م بالتوجه من الشلال الظهرانية باتجاه الشرق الجزائري، والتقى المجاهدون أتباع الشيخ بوعمامة مع قوات الاحتلال الفرنسي على بعد 10 كم من الظهرانية القريب من شبكة مزروع إلى الجنوب من عين تازينة، وفي أثناء السير تلقى العقيد اينوسونتي³ رسالة من قائد الشلالة يعلمه فيها أن قوات بوعمامة تتقدم في عمودين واحد على المضيق الجبلي، والآخر عبر السهل الذي يمتد وراء جبل مويك من اليسار، وأن الفرق والخيام قد بعث بهم بوعمامة وهو يقبل المعركة على ميدان قصر بوسمغون⁴، لكن اينوسونتي طلب من الآغا قدور بن عدة والآغا الصحراوي أن يتعرفا على امتداد السهل من اليسار مع نصف قومهما، في الوقت الذي اقتحم فيه الطابور الفرنسي المعبر المؤدي مباشرة إلى الشلالة ثم إعطاء أوامر صارمة منها أن يكون على استعداد تام لأخذ مواقعهم حين اندلاع المعركة، وهذا الإجراء عبارة عن تكتيك حربي صرف⁵.

نزل العقيد اينوسونتي إلى الأرض على رأس الطابور ليدرس القناصة، لكنه لاحظ أن جيش بوعمامة وكل أتباعه من القبائل المناصرين له محتجبين عليهم في وقت الهجوم بفعل تموج الأرض، وهو عائق خطير للتحكم

¹ -E. Graulle :op.cit .p39.

² -عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة، ج1، ص ص 12-13 ينظر الملحق رقم 22، ص 175.

³ -Innocenti le général: **Insurrection du Sud-Oranais en 1881. Bou-Amema et le colonel Innocenti**, Téqui libraire éditeur, Paris, 1993, pp11-21

⁴ -بوسمغون: بلدية تابعة لولاية البيض، تبعد 60 كلم من تيبوت و39 كلم من عسلة 20 كلم من بحيرة عين وركة، بها قصر قديم وواحة نخيل، تتربع على

100 منزل مفتوحة على ثلاثة أبواب، باب القبلي، باب الفطاس، باب النواصي. ينظر: عبد الحميد زوزو: أضواء... المرجع السابق، ص 79

⁵ -إبراهيم مياشي: الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 284.

بالمعركة، مما جعله يبحث عن ذروة فعثر عليها في الأمام على بعد 150 متر من الطابور، فاحتلتها كتيبتان من اللفييف الأجنبي ليجعلها كخط للمعركة، حيث أعطى أوامره إلى العقيد "سويني" قائد مشاة الزواف بأن يترأس الطابور من جديد ويأخذ كل فريق مكانه الملائم للمعركة¹، أما قوات الشيخ بوعمامة فكانت تتكون من مقدمي الشيخ والذي كان لهم دور كبير في حث أتباع الشيخ بوعمامة من الشعانية وأولاد زياد والأرباع على البسالة والتضحية في مواجهة القوات الفرنسية والقوات الساندة لها، كما كان لهم تأثير روحي كبير على أتباع الشيخ بوعمامة بفضل المكانة الدينية التي كانوا يتمتعون بها، بالإضافة إلى أنهم قادة عسكريون ميدانيون².

نشبت المعركة فكانت معركة عنيفة وضارية التحمت فيها الصفوف واشتد القتال بين الطرفين فتعالت أصوات المجاهدين بالتهليل والتكبير، ساهمت في زعزعت مقدمة العدو وتخلخل مركزهم في الميدان وتسرب الرعب إلى قلوبهم، فاستغل الثوار هذا التفكك، فتوغلوا في وسط تنظيماتهم العسكرية ليضربوها من الأعماق بكل قوة وتحذو المدفعية بإقدام وشجاعة كبيرتين، هذا ما شل فاعليتها ودبت الفوضى والذعر في صفوف الجيش الفرنسي فارتد على أعقابها، وبذلك تمكن الثوار من النصر رغم تفوق العدو عددا وعدة³.

-نتائج المعركة:

-تشير بعض التقارير الفرنسية بأن المعركة أسفرت عن خسائر بلغت 300 قتيل في صفوف ثوار الشيخ بوعمامة و37 قتيلا في صفوف الجيش الفرنسي⁴، وتضاربت التقارير حول نتائج المعركة بين فوز القوات الفرنسية وخسارة الشيخ بوعمامة إلا أن انسحاب العقيد انوسينتي بالجيش الفرنسي نحو الشمال لا يدل على أنه أحرز النصر، بل يدل على أنه هرب من الشيخ بوعمامة، فعوض أن يعود إلى البيض ويلتقي ببوعمامة من جديد أثر الاتجاه شمالا نحو الخضير، وهذا ما جعل السلطات الفرنسية تقوم بعزله وتعويضه بالجنرال ديتره⁵.

-وما ميز المرحلة الأولى من أحداث هو مسيرة الشيخ بوعمامة التي أذهلت القوات الفرنسية، وقد دامت هذه المسيرة حوالي 26 يوما بداية من 30 ماي إلى 21 جوان 1881، وكانت نحو الشمال مروراً بالبيض وستيتين،

¹-المرجع نفسه، ص285.

²-عبد القادر خليف: المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص293.

³-ابراهيم مياشي: مقاومة الشيخ بوعمامة للاحتلال الفرنسي في الجزائر، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد47، بغداد1993، ص34.

⁴- Innocenti, Op.cit, p48.

⁵ - عبد المجيد زوز: المرجع السابق، ج1، ص18.

ليعود ثانية إلى بوسمغون، قاطعا الخط الرابط بين مشرية وعين الصفراء، وقطع خلالها ما يقارب 730 كلم، متفوقا على الطواير العسكرية التي كانت ترصده ولم تستطع القضاء عليه¹.

-اختلفت التقارير العسكرية حول نتائج المعركة وخسائر الفريقين فمنها من تقول أن الشيخ بوعمامة فقد أكثر من 300 شهيد في الميدان، بينما مصادر أخرى تقول أن الخسائر الفرنسية قدرت بـ 60 قتيلًا و 22 جريحًا، مقابل 200 شهيد في تقرير الضابط الفرنسي اينوسنتي الذي رفعه إلى وزير الحربية الفرنسي بأن خسائر القوات الفرنسية كانت 38 قتيلًا بينهم ضابط فضلًا عن أربع مفقودين، في حين خسائر الشيخ بوعمامة كانت 400 شهيد، ويذكر إبراهيم مياسي عن جريدة المبشر الصادرة بالفرنسية فقد علقت على هذه المعركة واعتبرتها انتصارًا للإحتلال الفرنسي ولكنها كلفتها 38 قتيلًا و 16 جريحًا². وقد كان للمعركة حسب ما يذكره عبد الحميد زوزو: أن بوعمامة أباد الجيش الفرنسي في الصحراء، وأنه يثور مع أولاد سيدي الشيخ ثانية، وسارعت الإدارة الفرنسية للرد على ذلك، حيث أوحى إلى صحيفة يقظة معسكر للتشكيك في هذا الانتصار فكتبت الصحيفة: تقول إن قواتنا حطمت جموع الثائرين والدليل على تكبد الفرنسيين للهزيمة لجوء الإدارة على تنحية اينوسنتي وتعويضه بالجنرال ديتري قصد انقاد الموقف³.

-ثم من خلال هذه المعركة تم القضاء على كل القناصة كما قتل الملازم الأول لافيري قائد مجموعة قناصة إفريقية، أما الإبل الحملة بالمؤن فقد تفرقت وابتعدت عن مكان العمليات ولم تتمكن القوات الفرنسية من استعادة سوى ثلثي عددها، ومما ورد أن طابور اينوسنتي قد هوجم على حين غفلة، مما أدى إلى خسائر كبيرة وانسحب بصعوبة وترك كل قافلة التموين لأتباع الشيخ بوعمامة، فقد أدى حماس الانتصار إلى انتشار حركة أولاد سيدي الشيخ على نطاق واسع⁴.

إلا أن المصادر الفرنسية اخفت الحقيقة وأجمعت على أن معركة مولاقي هي انتصار للقوات الفرنسية رغم خسائرها البشرية وذلك للأسباب التالية:

1-إضعاف صدى انتصار بوعمامة والتشكيك فيما أذيع بين القبائل من أن بوعمامة قد أباد الجيش الفرنسي حتى لا تنتشر عدوى الثورة بين الصحراويين.

¹-إبراهيم مياسي: توسع الاستعمار، المرجع السابق، ص 95.

²-نفسه، ص 95.

³-عبد الحميد زوزو: المصدر نفسه، ج 1، ص 18.

⁴-Par le colonel c.Trumelet, Études sur les régions sahariennes histoire de l'insurrection d'Alger ESC 1864, (Alger,1879),pp4-6

2-التقليل من أهمية مقاومة بوعمامة في نظر السكان الأوروبيين تهدئة لفرعهم وتخفيفا لغضبهم على العسكريين المتهمين بالغفلة وقلة اليقظة¹.

3-رفع معنويات الجيش الفرنسي عن طريق الإشارة بانتصاره في معركة مولاق والتنويه بكل ما قاله الكولونيل اينوسيني².

وقد تمكن ثوار الشيخ بوعمامة خلال هذه المسيرة من ضرب العديد من الأهداف الفرنسية كخطوط التلغراف، ومراكز الشركة الفرنسية للحلفاء، وتم قتل العديد من العمال الإسبان الذين يشتغلون بالشركة، بالإضافة إلى حرق وإتلاف الكثير من العتاد، وذلك من أجل هدم مقومات المستعمر الذي استغل خيرات بلادنا. إلا أن السلطات الفرنسية لم يهدأ لها بال جراء ما فعل بها الشيخ بوعمامة وأتباعه خاصة بعد انهزام جيشها، فقام بعض القادة العسكريين بالانتقام من السكان العزل وهذا ما قام به الجنرال دونقرييه بنسف قبة سيدي الشيخ المتواجدة بالأبيض سيد الشيخ يوم 16 أوت 1881، ونبش قبره الذي مر عليه قرنان وخمسون سنة وكان الهدف من وراء ذلك كله الاستهزاء برموز الطريقة الشيخية والتي كانت دوما سندا للسكان وداعمة لهم وتحثهم على الثورة والجهاد ضد المستعمر الغاشم³.

المرحلة الثانية: غير المباشرة أو المرحلة السياسية 1883 - 1900:

تميزت هذه المرحلة بالاستقرار والفتور النسبي بعد عودته إلى مسقط رأسه في الحمام الفوقاني بفقيق في جويلية 1883، ليعيد تنظيم صفوف قواته وإعدادها للجهاد من جديد، الأمر الذي جعل حفيظة السلطات الفرنسية تثار، فسارعت بإرسال برقية موقعة من طرف الجنرال "سوسيه" قائد الفيلق التاسع عشر إلى حكومته في باريس، يدعوها إلى الضغط على السلطان المغربي لطرد الشيخ بوعمامة من الأراضي المغربية، لأنه يشكل خطرا على المصالح الفرنسية في المنطقة، وخاصة بعد انطلاق خط السكة الحديدية الرابط بين الشمال والجنوب، حيث تم وصل خط بلدية مشرية عام 1882م، وبذلك سهل نقل المؤن والذخائر والجنود بسهولة نحو المناطق الجنوبية لاستغلالها⁴.

¹-Edmond douthe :Algérie l'islam Algérien en l'an (France,1900),p79

²-عبد القادر خليف: المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص293.

³- المرجع نفسه، ص 298.

⁴-إبراهيم مياشي: توسع الاستعماري في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، مطبعة روية ANEP، الحرائر، 1996، ص104.

ومن خلال ما جاءت به برقيات السلطات الفرنسية نستخلص أن الشيخ بوعمامة كانت كفته هي الراجحة دوماً على القوات الفرنسية، وفي خضم هذه الضغوطات والأحداث بحث الشيخ بوعمامة عن ملجأ له بعيداً عن الفرنسيين .

أ-التجاء الشيخ بوعمامة إلى منطقة دلدول:

لجأ الشيخ بوعمامة إلى إقليم توات واحتمى بسكان واحة دلدول بمقاطعة تينجورارين (قورارة) مع نهاية عام 1883، واستقر هناك إلى غاية عام 1894، إذ قام ببناء زاوية هناك وعمل على نشر الطريقة الشيخية (السالفة الذكر)، وقدم دروساً دينية لكسب أنصار وأتباع جدد لمواصلة جهاده، ويوقف زحف التوسع الاستعماري في الجزائر، كما قام بمراسلة مختلف القبائل الصحراوية من أقصى شرق الصحراء إلى غربها يحثهم فيها على الجهاد، وقام بتحركات سياسية تمثلت في مراسلة الحكام الفرنسيين مثل رسالته إلى الحاكم العسكري لدائرة غرداية¹ يوم 26 نيسان 1888 يحثه فيها على أن يسلك طريق السلم والأمن والصلح بينهما، وفي الوقت نفسه راسل سي قدور بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة²، يحذره من مغبة دسائس وتحركات المصالح الفرنسية³، لزرع الشقاق والعداوة بين الثوار ويحثه على عدم التعامل مع الكفار⁴.

تمكن الشيخ بوعمامة من التواصل مع الكثير من الزعماء الصوفيين خاصة شيخ محمد العربي العلوي المدغري⁵ بتافيلات هذا الآخر رفع لواء الجهاد ضد القوات الفرنسية ، والتي انتقلت إليها بعض القبائل الجزائرية التي رفضت الخضوع للاستعمار الفرنسي كأولاد جرير وأولاد زياد ودوي ربيع والعمور والشعانية⁶، ولذلك كان لهذا النشاط صدى واسع لدى القبائل الصحراوية وخاصة قبائل الطوارق، الذين اقترحوا عليه الانتقال إليهم ليتعاونوا

¹ - أنظر : الملحق رقم 37 ، 38 ، ص ص 193، 192.

² -الأرشيف الفرنسي لما وراء البحار الواقع في مدينة بروفانس بفرنسا، علبة رقم 30، ملف 79، للمزيد من التفاصيل ينظر الملحق رقم 39، ص 194.

³ -عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة، ج2، المرجع السابق، ص135.

⁴ -إبراهيم مياشي: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص183.

⁵ -معلمة المغرب، قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، مطابع سلا (المغرب) 200، ج18، ص ص 61، 63.

⁶ -Mercier, Ernest (1840-1907), Algérie et les questions algériennes, par Ernest Mercier (31mai 1882) (2) paris 1883, pp234-239

فيما بينهم للجهاد ومقاومة زحف الإحتلال العسكري لوطنهم، كما أن زاويته أصبحت ملجأ لكل مهاجر وعابر سبيل ولكل طالب حاجة يأوي إليها فيجد المأكل والمشرب والأمان¹.

وقد ترتبت عن ذلك مجموعة من النتائج الهامة التي حققتها انتصارات الشيخ بوعمامة خاصة على الصعيد العسكري منها: انضمام العديد من القبائل تحت لوائه خاصة سكان المناطق الصحراوية المحاذية للحدود المغربية، الأمر الذي جعل كل من السلطات المغربية والفرنسية تعجل لكسبهم لصفها، وفي نفس الوقت حاولت السلطات الفرنسية بالتفاوض مع بوعمامة عن طريق مفوضها بطنجة² سنة 1892 حول المناطق الخاضعة لسيطرته، إلا أنه فضل التفاوض مع الحكومة المغربية لأنها تشكل عمق استراتيجي لثورته³.

وفي ظل هذه الأحداث ظل بوعمامة يتنقل بين العرق الكبير ووادي الساوره بين القبائل يحثهم على الجهاد ومواصلة الكفاح المسلح ضد المستعمر الغاشم، والتي لم تجدي معه كافة الاتصالات والوساطة، وخلال أربع سنوات من الجهد المتواصل زادت مكانة الشيخ بوعمامة وذاع صيته أكثر بين القبائل التي التحقت به مستعدة للقتال والجهاد، وقد زاد نفوذه أكثر بعد الاعتراف به زعيما لأولاده سيدي الشيخ من قبل أبناء عمومته⁴، مما أثار حفيظة المستعمر فقام خلال ذلك الحاكم العام في الجزائر لافريار⁵ سنة 1899 بمبادرة السلام مع بوعمامة⁶ لتلخص في منحه الأمان دون قيد أو شرط، لكن بوعمامة لم يرد على هذه المبادرة لا بالقبول ولا بالرفض.

عدم رد بوعمامة لوعده الأمان أثار حفيظة السلطات الفرنسية التي أخذت تضغط على الحكومة المغربية لطرد بوعمامة من أراضيها أو تسليمه لها. وقد تم عقد اتفاقية مع المغرب في سنة 1901 بباريس بين كل من عبد الكريم بن سلمان وزير خارجية مولاي عبد العزيز وديلكاسيه وزير خارجية فرنسا، وقد تمحورت المفاوضات بين الطرفين حول مسألة الأمن وتثبيت الحدود والتعاون الاقتصادي بين البلدين، وبموجب هذه الاتفاقية غير سلطان

¹-عبد الوهاب بن منصور: إعلام المغرب العربي، ج2، المرجع السابق، ص، 78. عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة، ج1، المرجع السابق، ص ص 39-40.

²-إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: موسوعة الدول والبلدان الجغرافية والسياسية، الجزائر، 2005م، ص 170.

³-عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة، ج2، المرجع السابق، ص ص 19-20.

⁴-إبراهيم مياشي: توسع الاستعمار، المرجع السابق، ص 109.

⁵-لافريار، وهو الوالي العام وصل للجزائر عام 1898، تقلد الولاية العامة للجزائر وقد أظهر مند البداية اهتماما متزايد لعملية التوسع نحو الجنوب الوهراني وتوات.

⁶- أنظر : الملحق رقم 40، ص 195.

المغرب موقفه الداعم والمساند لبوعمامة، فأرسل له رسالة يدعوه فيها إلى مغادرة فتيق، وطلب من سكان البلدة عدم التعاون معه وبذلك كسبت السلطات الفرنسية الموقف ضده هذه المرة¹.

ب- تحالف الشيخ بوعمامة مع الروقي (بوحمارة):

بعد أن خيب السلطان المغربي آمال بوعمامة الذي كان يتوقع دعم وتأيد من المغرب عندها انسحب إلى الجنوب الوهراني، إلا أن نشاطه لم يتوقف بالرغم من ضعفه وتدهوره، حيث اشتبك في عدة معارك ضد الجيش الفرنسي وفرق جيش المخزن المغربي².

وفي خريف سنة 1902م تلقى الشيخ رسالة من الجيلالي الزرهوني المعروف بـ"بوحمارة"³ أو "الروقي" يعرض فيها عليه الإنضمام إلى صفوفه وتأيد دعوته لإنقاذ المغرب الأقصى من أيدي الخونة والمفسدين، وقد قبل الشيخ التحالف مع الروقي ابتداء من سنة 1903م وهو يظنه مولاي محمد صاحب العرش الحقيقي³، فانضم إليه هو وابنه "سي الطيب" واتفقا على تنسيق العمل ضد قوات السلطان وقوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر، وكان "عبد المالك" بن الأمير عبد القادر قد سمع بمقاومة بوعمامة فالتحق بهم وحارب معهم الفرنسيين. هذا وقد عملت قوات بوعمامة بالتوجه إلى "عين بني خليل" لمهاجمة القوات الفرنسية في نوفمبر 1902م، حيث تعرضت لها قوات المخزن المغربي فخاضت ضدها معركة ضارية وانتصر فيها بوعمامة، وأرغمت قوات المخزن على الانسحاب والتقهقر، ونظر لاشتداد هجمات بوعمامة وأتباعه وانتشار حركة الروقي، طلب حاكم وجدة المغربي من القوات الفرنسية أن تحتل "رأس العين" التي كانت بمثابة معسكر للثوار، فلبت القوات الفرنسية ذلك ونسقت معه العمل، فاضطر الثوار للانسحاب إلى "سهل أنقاد" وضواحي "برقنت" وخلال شهر جوان 1904م، أرسل حاكم وجدة المغربي "أحمد ركنة" رسالة إلى حاكم عين الصفراء الفرنسي طلب منه المساعدة للتخلص من بوعمامة ورجاله والقضاء على حركتهم⁴.

¹-pria de l'abonnement ,levoleur ,n1259,19,aout, (paris, 1881) p519

²-يجي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص 301

³* ينتمي إلى أولاد يوسف بجمال زرهون، أعلن الثورة ضد مولاي عبد العزيز عام 1902م، وكثيرا ما يلقب "بالرواقي" استهزاء لأن معظم الثائرين ضد سلاطين المغرب كانوا من قبائل الرواقة، فصار لقب الروقي يطلق على كل ثائر ضد العرش. ينظر: عبد الوهاب بن منصور: أعلام المغرب العربي، ج2، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 1979، ص82:

³-عبد القادر خليفي: استمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة من المغرب الأقصى، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع15، دار الهدى، الجزائر، 2004م، ص 227.

⁴-يجي بوعزيز: ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 303.

أما الروقي فقد استطاع بسط سيطرته على عمالة وجدة بين سنتي (1903 - 1905م) فسارعت فرنسا إلى تقديم التسهيلات لسلطات المخزن قصد الإشراف على سير العمليات الموجهة ضد الروقي وأنصاره¹.

وقد خاض بوعمامة معه معارك منذ بداية التحالف إلى سنة 1907م أشهرها معركة "سماسير" في جانفي 1904م بقرب من وجدة التي استشهد فيها شقيق بوعمامة "محمد بلحاج"، إضافة إلى معركة التاسع من أفريل سنة 1905م التي كان فيها جيشه بالجنح الأيمن في الهجوم على وجدة، وكانت المعركة الشهيرة في جويلية 1905م التي تكبد فيها رجال المخزن خسائر كبيرة بالرغم من استعمالهم للمدافع أثناء تلك المعركة، وإلى جانب هذه المعركة كانت هناك هجمات لوحات بوعمامة ضد الموالين سواء للمخزن أو للفرنسيين، كهجوم الشعانية في 20 ماي 1905م على عناصر من قبيلة الهاية واستولوا على مواشيهم بسبب التحائفهم إلى دائرة العريشة تحت النفود الفرنسي، وفي 27 ماي من نفس السنة استولت بعض القبائل الموالية للمخزن على قافلة محملة بمختلف المواد الغذائية متجهة نحو معسكر الشيخ بوعمامة².

وهكذا استمرت سلطات المخزن في تتبعها لتحركات الشيخ وقد قسمت جيوشها إلى عدة فرق لمراقبته بهدف إرغامه على الخضوع لهم كشرط للإفراج عن ولده "سي الطيب" بعد أن ألقت عليه القبض في جويلية 1905م، بحجة أنها مسكت مراسلة مشبوهة منه إلى والده فأرسلته إلى حبس الدكاكين في فاس لمساومة والده، إلا أن هذا الأخير لم يزد إلا إصرارا على عناده ومساندته للروقي وفي سبتمبر 1905م نقل الشيخ زاويته وزمالة إلى أرض قبيلة "بني بوزقو" بعد أن نفوت قوات المخزن³.

وأصبحت قضية "سي الطيب" موضوعا للمفاوضات بين السلطتين الفرنسية والمغربية ووسيلة ضغط جديدة على والده بوعمامة، وطبعيا أن يفوز الفرنسيون بالقضية بالنظر إلى الضعف الذي آل إليه القصر، وقد وضعت سي الطيب تحت الإقامة الجبرية بالأغواط، أما بالنسبة للشيخ بوعمامة فقد بقي على استقلالية أمام الإغراءات الفرنسية والمغربية، ويتلخص موقفه هذا فيما قاله لابن عمه "أحمد بن المنور": بأنه على أتم الاستعداد في مواجهة المستعمر حتى وإن اضطرت الظروف إلى أن يلتجئ إلى الجنوب من جديد بحثا عن الإستقلال والحرية، ولكن ظروفه الصحية كانت في تدهور سريع، بالإضافة إلى سنه المتقدمة التي أعجزته عن العمل الحربي وحتى التنقل

¹- عبد القادر خليف: المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 158.

²- عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة، ج2، المرجع السابق، ص 36-37.

³- عبد القادر خليف: المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 159-160.

حيث يرغب، وهذا أجبره إلى العمل بالأسلوب السياسي من جديد، خاصة وأن الظروف الداخلية بالزاوية والظروف الخارجية المحيطة كانت تتطلب ذلك¹.

¹-عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة، ج 2، المرجع السابق، ص ص 39-40.

02: قبائل الشعانية ودورهم في مقاومة الشيخ بوعمامة

أولاً: أهم المساهمات التي قدمها الشعانية لثورة بوعمامة:

منذ الوهلة الأولى كان الحليف الأكبر للشيخ بوعمامة هم أبناء الشعانية الذين تجاوبوا معه وساندوه وتقوت صلتهم معهم، والدليل على ذلك تبادل الزيارات وتقديم الهدايا والزيارات قبل إعلان الثورة سنة 1881م¹. بعد القيام بمعركة الشلالة توجه بوعمامة بإرسال رسالة لشعانية متليلي يوم 27 ماي 1881م يحثهم فيها على مؤازرته ودعمه بالمؤونة لإنجاح مسيرته الطويلة التي بدأها يوم 30 ماي.

والدليل على أن شعانية متليلي استجابوا الدعوة بوعمامة هو ما تذكره المصادر الفرنسية بأن الشعانية أيدوا الثورة بقوة وكانوا يشكلون أهم عنصر في جيش بوعمامة²، فقد ساهموا باشتراكات سنوية قدرت بـ 30000 فرنك³. بالإضافة إلى الدعم المادي، نجد الدعم في المواد التموينية التي ساهم بها الشعانية للثورة وهي: الألبسة المتمثلة في البرانس والعباءات المصنوعة من الصوف (القشبية) بالإضافة إلى السكر، القهوة ومواد غذائية أخرى تفوق قيمتها 1500 فرنك، تبعث سنويا للشيخ بوعمامة وتكون شعانية برزقة متكفلة بالمهمة. كما تشير التقارير الحكومية سنة 1881م بأن المساهمة في ثورة بوعمامة بقوة أثر على المناطق المجاورة وأصبح ترمد شعانية متليلي والمنية يهدد الأمن والاستقرار السائد في منطقة ميزاب⁴.

كما تؤكد بعض تقارير شهر أكتوبر 1881م بأن شعانية متليلي هم الوحيدون الذين يثيرون الفوضى في أقصى الجنوب، وأن بعض خيام الشعانية انضمت لخيام الثوار وقاموا بالهجوم على عدة أهداف في المكان الرابط بين ميزاب وتاجرونة، مما جعل السلطات الفرنسية تلاحق ثوار الشعانية التي تصفهم بالتمرديين لتسلط عليهم العقوبة المستحقة، ناهيك عن التمرد، فنجد أن أغلب السلاح والمؤونة كان الشعانية هما الناقلين لها بإخفائها في حمولة التمر⁵.

¹-h-m-p.de la martinière et N.lacroix :documents pour servir à l'étude du nord – quest afeicain,t2 , p437.

²- أنظر : الملحق رقم 41، ص 196.

³- p- passager : metlili des chaamba ,p512

⁴couvenement générale de l algérie : situation politique de l algérie au 10 septembre 1881, ANOM 18 mai

⁵-Charles Amat : le m'zab et les m'zabites,p211

ويؤكد الرائد "بيسوال" من جهته هو الآخر: بأن هناك بعض المقاطعة في مناطق قورارة وتوات وتيديكلت مع ثورة أولاد سيدي الشيخ لغرابية، أما بالنسبة للشعانية من متليلي وورقلة والمنيعية فهم مشتركون فيها بقوة¹. في حين يذكر "فيلار" بأن القوة الكبيرة المساندة والداعمة لثورة الشيخ بوعمامة هم الشعانية والدليل على ذلك أن ثلث شعانية متليلي التحقوا به أثناء إعلان راية الجهاد، في حين كان الباقي يؤمنون الدعم المادي للثورة، ولما بلغ مسامع الشعانية العمل الشنيع الذي قام به الجنرال دونقريه حين قام بقصف قبة سيدي الشيخ المتواجدة بالأبيض سيدي الشيخ وعبث بقبره، ما كان على الشعانية سوى بناء قبة جديدة لسيدي الشيخ في مكان الذي زاره وصلى فيه وهي لتزال قائمة لحد الآن بشعبة سيدي الشيخ الذي يتوافد عليها الزوار من كل مكان وتقام بها الوعدة كل سنة.

وهكذا نفسر بأن الشعانية لهم ارتباط كبير بمقاومة الشيخ بوعمامة خاصه العلاقة الروحية الدينية، مما جعل السلطات الفرنسية تشعر بالقلق المتزايد خوفا من توسع ثورته نحو الصحراء الوسطى والشرقية، وهذا ما يدل على أن للشعانية نزعة استقلالية بين القبائل جعلتهم يستجيبون لنداء الواجب للثورة.

ثانياً: رد فعل قبائل الشعانية على القوات الاستعمارية.

1-الهجمات على حصن مكماهون :

بعد أن تمكنت القوات الاستعمارية من التوسع جنوبا وإلحاق كل من المنيعية بها إداريا وعسكريا 1891م، قام مكماهون² بإصدار أمر بإنشاء حصن عسكري ضخم في الطريق الرابط بين المنيعية والتوات وبالذات في المنطقة المسماة حاسي عامر، بالإضافة إلى حصون عسكرية أخرى منها حاسي اينفل وحصن حاسي الشبابة المتواجد بين المنيعية وعين صالح. وقد أصبح سكان الجنوب يعتبرون هذه الحصون بمثابة قيود وضعتها السلطات الفرنسية لتعزيز نفوذها العسكري، فكانت هذه الحصون معرضة لهجماتهم وبالأخص حصن الماريشال مكماهون؛ إذ توضح لنا التقارير بأن الشعانية قاموا بهجمات يوم 7 سبتمبر 1894م على هذا الحصن استحوذوا فيها على قطيعه الذي يضم 93 بقرة و 377 شاة³.

¹-G. mandeville :l'Algérie méridionale et le touat, au gustin challamel édition, paris 1898, p44

²-مكماهون: ماريشال فرنسا وحاكم عام للجزائر 1 سبتمبر 1868 والرئيس الثاني للجمهورية الفرنسية، ولد سنة 1808، عين قائد عسكريا في الحملة العسكرية على قسنطينة سنة 1837، تم استدعائه سنة 1870 لمواجهة الألمان. ينظر:

Narcisse Faucon : **Le livre d'or de l'Algérie**, chamamel et Cie éditeurs paris, pp407-410.

³ - A- couneille : les Chaamba leur nomadisme, p258.

كما قاموا بالإغارة على قافلة تموين بحاسي بوخنفس (تقع على بعد 45 كلم شرق وشمال شرق مكماهون أي منتصف الطريق الرابط بين المنيعه وحصن مكماهون) المتوجه نحو مكماهون وقد حوت هذه القافلة 600 جمل محملا بالمواد التموينية، بالإضافة إلى صندوق النقود الذي كان يحتوي على 4000 فرنك، تمكن من خلالها الشعانية من الإستحواذ عليها وكانت الخسائر بين الطرفين. عشرة قتلى من الشعانية بينما الطرف الثاني فقد كان خمسة من الجنود الفرنسيين، صبايحي، ومحمدان من الأهالي وجرح العديد منهم.

وبذلك تمكن الشعانية من إلحاق خسائر مادية ومعنوية بالإضافة إلى أن قواد القافلة أغلبهم من الشعانية وهذا ما أدهش المسؤولين من التواطؤ الذي اكتشفوه فيما بعد، ويذكر السيد "ديشو" صحفي بجريدة الأخبار ناصحا قيادته بعدم استخدام الشعانية في الفرق العسكرية وفي قوافل البعثات الاستكشافية، بأن "الشعانية يشكلون قوة غير منضبطة صعبة القيادة، فعلاقتهم مع مناطق تيديكلت وتوات المتمردة، تعصبهم، طاعتهم لأوامر أولاد سيدي الشيخ، خداعهم في الأخير، يتحتم علينا ألا نستخدمهم إلا بحذر، وبعد قليل"¹.

إلا أن السلطات الإستعمارية لم تبق مكتوفة الأيدي بل جهزت حملات للرد على هجومات مكماهون من أجل معاقبتهم بقسوة، فقد انطلق العقيد ديديه من غارداية على رأس 600 مهربا، في حين انطلق النقيب بارثيليمي لنفس الغرض وعلى رأس 80 صبايحي، إلا أن الشعانية ردوا على هذه الحملات، فقد تعرض ديديه لطلقات رصاص وفقد بعض رجاله في الحملة².

رغم الحملات الشرسة التي شنتها القوات الإستعمارية على الشعانية، إلا أنهم قاموا بعدة هجمات على حصن مكماهون ونهبوا ستين جملا سنة 1895، بالإضافة إلى هجمات 1896 الذي كتبت فيه السلطات تقرير يوم 24 أوت 1896 تبين فيه: "أبلغني الجنرال القائد العام لعمالة وهران بحدوث هجومين من طرف مخيم بوعمامة، الأول نفذه ثلاثون شعانيا استهدف من جديد حصن مكماهون، والثاني ضم أربعين وعشرين شعانيا أشغال حفر الآبار في منطقة العرق"³. وهذا ما يدل على أن الشعانية أنصار الشيخ بوعمامة اعتادوا على الهجمات على المواقع العسكرية المنتشرة في الجنوب وإعاقة نشاطها.

¹- Ed .Dechaud : dans l'extrême – sud, in, ahhbar, 19-09-1894

²- Eng .Lagadee : l'affaire du .touat, in, ahhbar, 30-09-1894

³- Jules Cambon : au signal le meurtre de chef d'une caravane de d'Ouled Sidi Cheikh, correspondance à Mr le ministre de l'intérieur.

2- مباغطة البعثات الاستكشافية والعلمية والتنكيل بها:

قام الشعانية باستهداف كل المنشآت الاستعمارية وإلحاق الضرر بها ومن بين هذه الأهداف قوافل البعثات الاستكشافية بالصحراء الجزائرية، فقد ذكر ذلك العديد من المستكشفين للصحراء أمثال المستكشف فرنوند فورو الذي غادر بسكرة يوم 28 مارس 1895 تعرض لهجوم من طرف مجموعة متكونة من أربع وعشرين رجلا من الشعانية المتمردين وكان قواد قافلة فورو المشكلة من السبعة وعشرين رجلا أغلبهم من شعانية ورقلة، رفضوا مقاتلة المجموعة المهاجمة لأنهم شعانية مثلهم¹.

كما تعرض المستكشف دي موريس للقتل يوم 8 جوان 1896، بمنطقة لوطاية بعد أن تعرضت قافلته لهجوم من التوارق والشعانية المتمردين².

وفي ظل تزايد الهجمات المتكررة على المراكز الفرنسية، قررت الحكومة العامة بالجزائر شن حملات عسكرية واسعة لإسترجاع الأمن بالمناطق الصحراوية من أهم هذه الحملات حملة الرائد قودرون في ديسمبر 1896، التي قام بها ضد شعانية بوعمامة والتي لاحقهم فيها إلى الحدود المغربية³.

وبسبب الحملات المتكررة لأنصار الشيخ بوعمامة فقد تبرأ هذا الأخير من تلك الهجمات، مما جعل سلطات الاستعمارية ترتاب في أمر بوعمامة الذي كان يتواصل معها عبر المراسلات التي تحمل في طياتها نية السلم والأمان، وهذا ما جعل السلطات الفرنسية تأمن من وجود هجمات من هذا القبيل⁴.

في حين تفسر هذه الهجمات على أن الشيخ بوعمامة كان على علم بها وأنه يستغل ذلك لتكثيف الضغوطات على السلطات الاستعمارية للخروج بمكاسب أفضل في مفاوضاته معها أو أن قبائل الشعانية كانت تتصرف من تلقاء نفسها.

ومن خلال استعراضنا للحملات التي كان يقوموا بها الشعانية في مواجهة المحتل الفرنسي، يتضح لنا أنهم كانوا يتخذون استراتيجية جديدة على المستعمر الفرنسي في الحرب، وهي أشبه بحرب العصابات، وذلك لعدم تكافؤ القوة، هذه الهجمات المباغطة أقضت مضجع المحتل الفرنسي وزرعت فيه الرعب واليقضة الشديدين.

¹-Gustave regelsperger :Op.cit,pp106-107

²- Ibid, p108

³- A- cauneille: OP,cit,p258

⁴-jules cambon: attaque de la colonne de reléve de fort – mac- mahon,rapport à mr le president du conseil minister de l' intérieur et des cultes, N 2234 , Alger 14-9-1894, ANOM F80 1695, f7.

03: مواجهة فرنسا للشعانية

أولاً: رد فعل السلطات الاستعمارية على قبائل الشعانية

بعد الهزائم التي منيت بها السلطات الفرنسية، وأمام موقف الثوار المساندين لثورة بوعمامة أمثال شعانية متليلي المتحدين للسلطات الاستعمارية التي زاد حقدتها أكثر، وقد قررت الانتقام منهم وذلك بتوجيه حملة عسكرية ضد شعانية متليلي، لمنعهم من نشر الثورة أكثر، بالإضافة إلى قطع الإمدادات التي كانت تصل إلى الشيخ بوعمامة من طرف الشعانية من جهة أخرى.

1- حملة العقيد بيلان وخلية متليلي "عام الخلية":

قامت القوات الفرنسية بالهجوم على كل قوافل الشعانية المتجه لمساندة بوعمامة، حيث قامت قوات المخزن التابع لأولاد سيدي الشيخ الشراقة ببريزينة في شهر أوت 1881، بشن هجوم عنيف على مجموعة من الثوار الشعانية كانوا مخيمين بالقرب من بريزينة، وكان الهدف من هذا الهجوم هو تلقين درس قاسي لشعانية متليلي لمنعهم من أي مشاركة في الثورة مستقبلاً¹.

القيام بحملة عسكرية ضخمة استهدفت مدينة متليلي الشعانية تعرضت فيها المنطقة لعمليات انتقامية من طرف القوات الفرنسية ولمرات عديدة يأمر بقطع نخيلهم، سمي بعام الخلية الثانية 1883. ويذكر "فيلار" أن الطابور الفرنسي عند دخوله إلى متليلي لم يجد في القصر ولا حتى في الواحة سوى ثلث المكان من الذين صدقوا وعود "بيلان" بأنه لن يقوم بعمل عقابي ضد من يمكث في المدينة ويتخلى عن الثورة، الثلث الآخر كان بالفعل مع الثورة، أما الثلث الباقي فقد خرج من المدينة خوفاً من الانتقام.

2- إلحاق ميزاب بفرنسا: (معاهدة الحماية):

بعد السيطرة الفرنسية على منطقة الاغواط في سنة 1852م، بدأت اهتمامها بمنطقة ميزاب، مستغلة في ذلك النزاع القائم على السلطة، وانقسام بني ميزاب إلى صفين الصف الشرقي والصف الغربي².

¹-Gouvernement Générale de l'algérie : situation politique de l'algérie au 10 septembre 1881, ANOM 18 MI 91.

²-Jean melia, **Ghardaïa quatrième mille**, paris, sans édition, sans date, le fonds de la bibliothèque centre de documentations sahariennes, p58 .

لهذا سارعت جماعة بني مزاب من بريان بإرسال رسالة خطية للجنرال "بيلبسيه" مؤرخة بـ 12 ديسمبر 1852م تطالب فيها بالأمان، ورد عليه الجنرال برسالة من الأركان العامة بالأغواط بتاريخ 14 ديسمبر خاطب فيها سكان مدن غرداية¹، ذكرهم فيها أن التعارف بين الطرفين قد سم منذ اثنتي وعشرون سنة خلت وطلب منهم أن يطردوا من صفوفهم كل أعداء فرنسا، وأن يرسلوا قادة الجماعة إلى سي حمزة لتقديم له خضوعهم وولائهم باعتبارهم وكيل السلطة الفرنسية عند بني مزاب².

ولم يكتف الجنرال بيلبسيه بمد نفوذه إلى غرداية بل أشار في تقاريره بضرورة احتلالها لكونها من أهم المراكز المتقدمة ضمن نفوذ السلطة الفرنسية في الجنوب، وقد وقعت المعاهدة يوم 22 ديسمبر 1853م³. وبمقتضى هذه المعاهدة صارت ميزاب جزءا معترفا تابعا للدولة الفرنسية وذلك بضريبة سنوية مقدارها 45000 فرنك تتقاسمها القصور الميزابية السبع، وظلت اتفاقيتها مع بني ميزاب تعيق تحركاتها العسكرية المشبوهة، وعندما أدركت عدم جدواها قامت بالزحف على بني ميزاب 17 نوفمبر 1882م. ويذكر الرائد رويين أن العمال والبنائين المرافقين للحملة شرعوا مباشرة في بناء البرج العسكري والمبنى الإداري، ليصادق الرئيس الفرنسي على قرار إنشاء دائرة غارداية يوم 21 ديسمبر 1882م، تضم كلا من فدرالية ميزاب وآغوية ورقلة وشعانية متليلي والمنيع⁴.

ويبدو أن الغرض من إلحاق ميزاب ليس الانتصار للصف الشرقي في صراعه مع الصف الغربي فحسب، وإنما أن يشدد الرقابة على شعانية متليلي بسبب التحاقهم بثورة بوعمامة ولتثيت ركائز المستعمر بالمنطقة⁵.

ثانياً: النتائج المترتبة على الشعانية

وقد ترتب عن رد فعل الاستعمار على القبائل المساندة لثورة بوعمامة آثار ونتائج يكمن ذكرها كالآتي:

1- الآثار السياسية:

وتعتبر من أبرز وأخطر الآثار التي يمكن ذكرها في النقاط التالية:

¹ - أنظر : الملحق رقم 42، ص. 197.

² - إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1834-1837، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 125.

³ - أنظر : الملحق رقم 43، ص 198.

⁴ - يوسف بن بكير الحاج السعيد: تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، الجزائر، 2007، ص 98.

⁵ - le commandant robin : le M'Zab et son annexion à la France, Adolphe jouran libraire-éditeur, alger 1884, p40

- إلحاق ميزاب بفرنسا رسميا والدوس على معاهدة الحماية، وذلك يوم 30 نوفمبر 1882م رغم معارضة الكثير منهم لعملية الإلحاق، إلا أن ذلك أصبح واقعا خاصة بعد إنشاء الدائرة العسكرية بغرداية، تشمل شعانية متليلي وشعانية ورقلة وقرى ميزاب السبع. وفي 28 سبتمبر 1897م تم إلحاق متليلي الشعانية ببلدية المنيعه ثم أعيد إلحاقها بغرداية في 12-1-1904م.
- إحكام السيطرة الكلية السياسية والإدارية والعسكرية على كل مناطق الجنوب واعتبارها مناطق عسكرية ذات قوانين خاصة.
- تشكيل قوات محلية أمنية سميت بفرق المهارى الصحراوية بمبادرة من "لابيرين" تطوع خلاله أفراد من القبائل بسبب حرب التجويع والحصار الاقتصادي والاستغلال مشاعر العداء القديمة بين بني ميزاب والشعانية، والشعانية والطوارق في الصحراء¹.

2- الآثار الاقتصادية:

- تدهور المستوى المعيشي للسكان نتيجة مصادرة الأملاك وقطع النخيل جراء المشاركة في الثورات، فمتليلي الشعانية مثلا قطعت نخيلها مرارا (عام الخلية) بسبب مساندتهم لثورة الشيخ بوعمامة.
- تناقص الثورة الحيوانية من الإبل والأغنام نتيجة إبادة عقابا للسكان واستعمالها في ما تبقى من الصحراء كقورارة توات...
- تدهور الحياة التجارية لميزاب بسبب عدم انتظام الطرق والأمن نتيجة الثورات والحروب المستمرة في الصحراء².

3- الآثار الاجتماعية:

- اشعال نار الفتنة بين السكان المحليين وخاصة بين الصغين الشرقي والغربي للميزابين، أما متليلي الشعانية فقد جسدت مقولة (علوشي وقادري وشيخي وقادري) عمق الانفصال والانفصال داخل العشائر

¹-Gouvernement Général de l'Algérie, les territoire du sud de l'Algérie, historique des companies miharistes, 1902- 1952, Alger, Im pofficielle à Alger, 1955,p127

²-جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الحرائر، 1994، ص145.

وفي وسط الطرق الصوفية¹.

- تشتيت السكان وتوزيع العشائر وتحطيم البنى القبلية وتثبيت قيادات محلية أو من أولاد سيدي الشيخ لضبط حركات التمرد والإبلاغ عنها، إضافة إلى زرع اليأس من نجاح الشيخ بوعمامة وتثبيط عزائم المدعمين له.

04: نهاية الشيخ بوعمامة ومصير الشعانية بعده:

أولاً: وفاته:

بعد أن اعتقلت السلطات الفرنسية سنة 1906م ابنه سيدي الحاج الطيب، وفرضت عليه الإقامة الجبرية بالأغواط، وبعد سنتين توفي الشيخ بوعمامة في 7 تشرين الأول 1908م عن عمر ناهز السبعين عاماً، والتي قضى منها 27 عاماً في الجهاد والمقاومة ضد القوات الفرنسية المستعمرة، وقبل وفاته كتب وصية لأتباعه ومناصريه وأحبائه وقد ذكر في مقدمتهم جميعاً الشعانية، ومما ورد فيها: "أهل الدائرة بالزاوية، وكذلك جماعة الشعانية، وجماعة المرابطين، وأولاد سيدي عبد الحاكم وجماعته، وأولاد سي بن عيسى كافة، وأولاد سيدي التاج، وأولاد سيدي الحاج أحمد، وأولاد سيدي محمد عبد الله، وجماعة العمور كافة، وجماعة أولاد جرير، وفقكم الله ورعاكم، سلام عليكم، وبعد أيها الإخوان فإني..."².

وقد وصل نبأ وفاة الشيخ بوعمامة كصاعقة على أنصاره ومحبيه من الشعانية، سواء المقيمين بمتليلي الشعانية، أو أتباعه المتواجدين بالمغرب، وقد رثاه شعراء المنطقة لماله من محبة في نفوسهم مع وقع فاجعة عليهم، ومن بين هؤلاء الشعراء الشاعر قدور بلخضر³، الذي رثاه في قصيدته ومما جاء فيها:

غظم لجر على ابكاكم ياخوان	وعلى بلخصلات ديما
غيب قطب الدايره مول البرهان	شيخ الفقرا بوعمامه
غيب قطب الدايره معدن تكوان	مولي البراكة والهمه
راني خايف مانشفو طول ازمان	راح اتمس بالسلامة

¹ يقصد بعلوشي وقادري كإشارة إلى القبيلتين في متليلي الشعانية، وأما شياحي وقادري فهي إشارة إلى الطريقتين الصوفيتين اللتان تتقاسمان النفوذ عند المالكية.

² وصية الشيخ بوعمامة إلى أنصاره، أ.ز.ش، م، 10 شعبان 1326هـ الموافق لـ 6-9-1900م- ينظر الملحق رقم 44، ص 199.

³ قدور بلخضر : هو شاعر قدور بلخضر بن ايعيش بيتور ولد بمتليلي الشعانية 1860، من أسرة ميسورة الحال ينتمي إلى فرقة القمارة من عرش أولاد عبد القادر، كان دمث الخلق حاضر البديهة حافظ القرآن في مسقط رأسه، انضم إلى حلقات الذكر على الطريقة القادرية كتب عدة قصائد للشعر الملحون توفي بمسقط رأسه عام 1924. ينظر : ملتقى تحت عنوان "التجربة الشعرية عند الشاعر بلخضر قدور بيتور": الموضوعات وأدوات التشكيل الفني، 12-12-2015م- مخبر التراث بجامعة غرداية.

يامفتى خليك راني في لحزان	جرحي ماتبريه حكمه
وعلى شيخي بوعمامة غالي الشان	قنطاس الهيبه والحرمة
قصة وفاتوا اعجائب	يوم ان وصلتنا أخبارو
واحزن عنو عرش شعب	من طيب الحلوه مزارو
قصة وفاتوا اثناعش في رمضان	محتاها ليله أعظميه
في عام العشرين واحد بالتفنان	تتورخ موتو اعلاما
يالخوان ابكو معايا	بعد الشيخ اعلاش تزهو
راه الفوت اريقكم عند الميزان	راكم حرمة بوعمامة
اغفر لناظم برضات الغفران	بن لخضر باسمو تسمى

ثانياً: مصير الشعانية بعد وفاة الشيخ بوعمامة:

بعد أن قامت السلطات الفرنسية باعتقال ابنه سي الحاج الطيب ووضعه تحت الإقامة الجبرية في الاغواط سنة 1906م والده بعد ذلك بستين، كان مصير الشعانية آنذاك خاصة أتباعه المتواجدين معه بالمغرب سوى الرجوع إلى أرض الوطن، وحسب ما يذكره بعض المؤرخين أمغال كوناي أن السلطات الاستعمارية قد أعطت الأمان للشعانية¹.

إلا أن أنصار بوعمامة من الشعانية لم يعودوا إلى متليلي الشعانية، حيث مستقرهم الحقيقي وإنما استقروا بعد رجوعهم من المغرب بمنطقة العرق الغربي، وهذا ما تؤكد بعض التقارير الصادرة عن الحكومة العامة بالجزائر: "إن الشعانية ليسوا دخلاء على العرق العربي الكبير... ينحدر أغلبهم من شعانية متليلي جاؤوا إلى هنا منذ سنوات قبل الاحتلال الفرنسي الكامل للصحراء، حين خرجوا مع بوعمامة، واختاروا هذا العرق كمنفى لهم."²

وتشير بعض التقارير أن الشعانية كانوا منفيين من قبل السلطات الفرنسية بمنطقة العرق الكبير وذلك نظراً للأعمال الجهادية التي قام بها الشعانية مناصرة لبوعمامة³ المتمثلة في الهجمات المتكررة على القواعد العسكرية

¹-A- Cauneille :OP , P258

²-Me le général de subdivision de Midés rapport sur l'eneration du M'zab et sur l'organisation politique et administrative de cercle de Ghardaia, rapport à Mr Gouverneur général d'Alger, Media : 26/09/1821, p89.

³- أنظر : الملحق رقم 45، ص 200.

ونهبها، بالإضافة إلى السطو والنهب للممتلكات العدو كل هذه الأعمال كانت سببا في نفي السلطات الفرنسية للشعانية في تلك المنطقة لإبعادهم عن أي عمل جهادي أو التفكير فيه مجددا. ولم يقتصر نفي الشعانية على السلطات الاستعمارية وإنما قامت هذه الأخيرة باحتجاز كل ممتلكاتهم ومنازلهم بمتليلي وهذا ما يشير إليه رونييه¹.

وخلاصة القول حول مقاومة الشيخ بوعمامة (1881-1908) أنها كانت إحدى أهم المقاومات الشعبية الكبرى خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، كما تبرز لنا أنها لم تكن انتفاضات عشوائية، بل كانت بهدف الدفاع عن الوطن ورفض الوجود الاستعماري، مما جعلها دعاية لفرنسا بأنها قضت على المقاومة الشعبية وبأن الجزائر تعيش فترة هدوء نسبي.

يعتبر شعانية متليلي العنصر الفعال والمساهم بنسبة كبيرة في ثورته وأن أغلب ثوراته ومعاركهم كان لهم فيها النصيب الأكبر ومن كل هذا يمكن استخلاص النتائج التالية:

- كان الشعانية العنصر الداعم والمغذي للشيخ بوعمامة من خلال الهبات والإتاوات والاشتراكات المقدمة سنويا لدعم ومناصرة ثورته.
- الدور الفعال لشعانية في كل مقاوماته بداية من إعلان ثورته إلى ذهابه للمغرب.

¹- Yves Régner : Les Chaamba sous régime français, Les Edition Domat-Montchrestien, Paris, 1933, p21

خاتمة

خاتمة:

وفي الأخير، وكختام لهذه الدراسة يمكنني أن استخلص مجموعة من الاستنتاجات التالي:

- تعتبر منطقة متليلي الشعانية اللبنة السكانية الأولى، التي ساهمت في تمركزهم واستقرارهم في بلاد الشبكة في القرن 12م في واد متليلي، واستطاعوا التأقلم مع قسوة الطبيعة والمناخ، وأن يكونوا قبائل من أكبر قبائل الصحراء، وبعد زيادة عددهم وضيق مساحة متليلي الشعانية عليهم توزعت في المناطق المجاورة لموطنها الأصلي، تشكلت ثلاث مجموعات رئيسية: شعاب متليلي "البرازقة"، وشعانية ورقلة "بوروبة"، وشعانية المنيع "المواضي" حيث كانت لها حياتها السياسية والاجتماعية والإقتصادية والثقافية الخاصة بها، والتي تميزها عن غيرها من القبائل الصحراوية، ونظرا للدور البارز الذي قام به شعانية البرازقة الذي اكتسبته من خلال نشاطهم الرعوي والتجاري الذي ساد الصحراء وتجاوز حدودها وأكسبها صيت وسمعة جيدة.
- تميز الشعاني بحبه للترحال والحياة الحرة بلا قيود، مما جعله يمتاز بالانفتاح وتوسع ثقافته، وتنوعها، واكتسابه الخبرة.
- وهكذا استطاع قبائل الشعانية أن يسيطروا على الصحراء الجزائرية وكونوا قبائل من أكبر قبائل الصحراء الجزائرية، واكتسبوا قوة وشجاعة استعملوها في مواجهة الإحتلال الفرنسي عند توسعه في الصحراء الجزائرية وتجلى هذا في مساهمتها الفاعلة بكل قبائلها مع قادة المقاومة للاحتلال الفرنسي وإلى جانب القبائل الصحراوية كوحدة واحدة.
- بالإضافة إلى أنه كان للصفات التي توارثها الشعانية أبًا عن جد كالشجاعة والكرم وحسن الجوار والدفاع عن المقدسات أثر كبير عليهم، حتى صاروا يتسابقون إلى الجهاد كلما دعى داعي لذلك حسب الأزمنة والثورات التي خاضتها الجزائر ضد الإحتلال الفرنسي، فقد شهدت الشعانية في القرن 19م دخول المستعمر الفرنسي وتوسعه على حساب صحرائها، فظهرت قبيلة الشعانية كأبرز قوة واجهة هذا التوسع، بالانخراط في العديد من الثورات التي قادها الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية، ونظرا لصعوبة المقاومة وقهرها للإحتلال تبين أن الكتابات الفرنسية التي كتبت عن مقاومة الشريف محمد بن عبد الله لا تكشف الحقائق التاريخية

ومدى فعاليتها خاصة عن مقاومة بوشوشة، حيث نجدها تتحدث عن ما يناسبها لدرجة أنها تبعد العنصر الروحي والوطني عن المقاومة الصحراوية وثوارها وقادتها، حيث عملوا على ربطها بالأسباب الاقتصادية والاجتماعية حتى ينزعوا عنها محتواها وأهدافها.

لكن رغم ذلك تمكن مقاومو الصحراء من بينهم الشعابنة من القضاء على جميع الخلافات والمنافسات التي كانت قائمة بين الشعابنة والمخادمة وبني ثور والتوارق، وجعلوا همهم هو التوحد على هدف واحد وهو مقاومة الاحتلال الفرنسي.

- ساهم الارتباط الروحي والديني لشعابنة متليلي بزاوية أولاد سيدي الشيخ إلى تفعيل دورها في مقاومة الاحتلال الفرنسي وتوسعها في الصحراء الجزائرية من خلال الحملات والتبرعات التي قادوها مشجعين في ذلك بقية القبائل الصحراوية لأداء واجبهم الوطني.

- ورغم تعرض متليلي الشعابنة للحملة الفرنسية الشرسة التي قادها العقيد دوسنيس 1866 ودخوله للمدينة وقيامه بأعمال شنيعة من تخريب وانتقام ضد سكانها، لم يكبح احتلال مدينة متليلي 1854م سكانها عن أداء دورها في المقاومة الجزائرية، بل دفعوا بشجاعتهم وقوتهم إلى تبني المنطقة كمركز لانطلاق العديد من المقاومات مثل مقاومة بوشوشة، ودفع بوعمامة إلى طلب الدعم المادي والمعنوي منهم لمقاومته.

- إن الدور البارز الذي لعبه سكان مدينة متليلي الشعابنة في المقاومات التي سادت الصحراء الجزائرية جعل القوات الإستعمارية تطوق المنطقة بحاجز عسكري للقضاء على قوة الشعابنة وحماهم الوطني.

وكختام لهذه الدراسة يمكن القول بأن منطقة متليلي الشعابنة قد قاومت الاستعمار الفرنسي طيلة الفترة الزمنية 1852-1900 وأن هذه المقاومة قد أعاقت سيطرى القوات الفرنسية على الصحراء الجزائرية لمدة خمسين سنة.

ولم تنطفئ جذوة الجهاد في نفوسهم وإن خمدت لفترة، لتعاود ذلك في الثورة المجيدة ثورة أول نوفمبر، ولها في ذلك بطولات تحدث عنها المؤرخين والكتاب .

وفي الأخير أتوجه بالشكر لله بفضلله علي لإتمام هذا العمل، وأتمنى أني وفقت في إنجازهِ، فإن أحسنت فمن الله وإن أخطأت فمن غير قصد، فجل من لا يخطئ.

الملاحق

الملحق رقم (01)

عدد شعانة البرازقة حسب إحصاء كوناى فى 26 مارس 1986م⁽¹⁾.

الفرقة	رجال	نساء	أطفال	المجموع	خيام	منازل	جمال	غنم	ماعز
--------	------	------	-------	---------	------	-------	------	-----	------

عرش أولاد علوش:

الثوامر	186	146	218	550	90	26	321	5000	3699
البهازة	66	47	67	180	36	22	173	2000	1259
الشلق	50	39	54	143	29	13	109	600	433
أ. إبراهيم	125	111	187	243	26	26	429	2200	1258
أ. موسى	134	118	170	422	93	25	380	2000	985
جرودة	73	68	89	230	50	20	193	1315	1000
أ. عيسى بن موسى	60	47	39	146	32	15	112	2000	395
عميرات	37	33	46	116	25	6	98	500	388
المجموع ا علوش	731	609	870	2210	444	153	1815	15165	9417

عرش أولاد عبد القادر:

أ. حنيش	158	145	95	398	72	17	510	3000	901
السويح	277	227	143	647	61	23	302	2008	720
العوامر	128	120	104	352	79	49	535	5091	600
القمارة	139	102	150	391	71	48	317	3000	510
أ. عمر	135	131	96	362	50	25	150	1400	690
المجموع لأولاد عبد القادر	837	725	588	2150	333	162	1814	14499	3421

⁽¹⁾ A-Cauneille : Les Chaamba, Leur Nomadisme, p 42.

عرش قصر متليلي:

1113	689	188	16	35	495	204	123	132	المرابطين
36	0	10	11	15	349	168	89	92	الشرفة
239	141	53	04	15	84	44	19	21	أولاد إسماعيل
35	0	08	27	0	231	113	51	67	بني إبراهيم
27	0	9	29	0	302	155	72	75	بني مرزوق
1450	380	268	87	65	1425	684	354	387	المجموع

المجموع العام لشعانة متليلي:

14288	30494	3897	402	842	5785	2142	1688	4955	المجموع العام لشعانة متليلي
-------	-------	------	-----	-----	------	------	------	------	--------------------------------

الملحق رقم (02)

عدد شعانة ورقلة "شعانة بوروبة" حسب إحصاء كونا في 29 مارس 1986م⁽¹⁾.

الفرقة	رجال	نساء	أطفال	المجموع	خيام	منازل	جمال	غنم	ماعز
--------	------	------	-------	---------	------	-------	------	-----	------

عرش أولاد إسماعيل:

أولاد بوروبة	66	51	101	218	43	7	225	82	94
الشقوق	32	29	26	87	27	5	117	10	61
أولاد بوبكر	53	37	54	144	34	8	232	114	107
أولاد عمر	29	19	22	70	24	5	30	16	21
المجموع لأولاد إسماعيل	180	136	203	519	128	25	604	222	283

عرش القبالة:

أولاد فرج	44	29	46	119	16	1	134	55	37
أولاد زيد	70	61	105	236	47	7	350	209	220
أولاد نصير	24	11	28	63	12	0	163	16	14
الدوي	85	57	90	232	42	3	206	50	55
المجموع للقبالة	223	158	269	650	117	11	850	330	326

عرش بوسعيد:

دوب دنافير	66	51	94	211	37	0	215	138	0
دوب أولاد إبراهيم	85	73	135	293	47	1	399	35	0
أولاد علي بن عبد الله	132	114	200	446	64	0	347	209	0
أولاد بلقاسم	91	76	108	275	46	0	307	238	0
المجموع لبوسعيد	374	314	537	1225	194	1	1268	611	0

المجموع العام لشعانة ورقلة:

المجموع العام لشعانة ورقلة	777	608	1009	2394	439	37	2722	1163	609
----------------------------	-----	-----	------	------	-----	----	------	------	-----

⁽¹⁾ A-Cauneille : Op.cit., p 48.

الملحق رقم (03)

عدد شعانية المنبعة "شعانية المواضي" حسب إحصاء كونا في 29 مارس 1986م⁽¹⁾.

الفرقة	رجال	نساء	أطفال	المجموع	خيام	منازل	جمال	غنم	ماعرز
--------	------	------	-------	---------	------	-------	------	-----	-------

عرش بلماضي:

أ. بلقاسم	46	42	54	142	29	2	126	103	193
أ. معمر	80	47	85	212	47	0	193	115	264
المجموع بلماضي	126	89	139	354	76	2	319	218	457

عرش أولاد عائشة:

أ. محمد	41	32	44	117	25	1	162	69	120
أ. الشيخ	46	27	40	113	22	0	149	60	105
الحنابليش	30	18	27	75	18	2	144	29	88
المجموع لأولاد عائشة	117	71	111	305	65	3	455	158	313

عرش أولاد سيد الحاج يحي:

أ. قدور بن يحي	13	11	11	35	6	1	126	51	83
أ. العاودين	17	17	27	61	13	1	182	3911	108
القرينات	48	31	42	121	27	1	356	107	141
المجموع لسيد الحاج يحي	78	59	80	217	45	3	664	197	332

⁽¹⁾ A-Cauneille : Op.cit., p 45.

عرش أولاد فرج:

220	74	247	0	36	175	52	57	66	الدحامنة
301	68	285	2	53	264	41	93	130	مهادي
521	142	532	2	89	439	93	150	196	المجموع لأولاد فرج

عرش أولاد زيد:

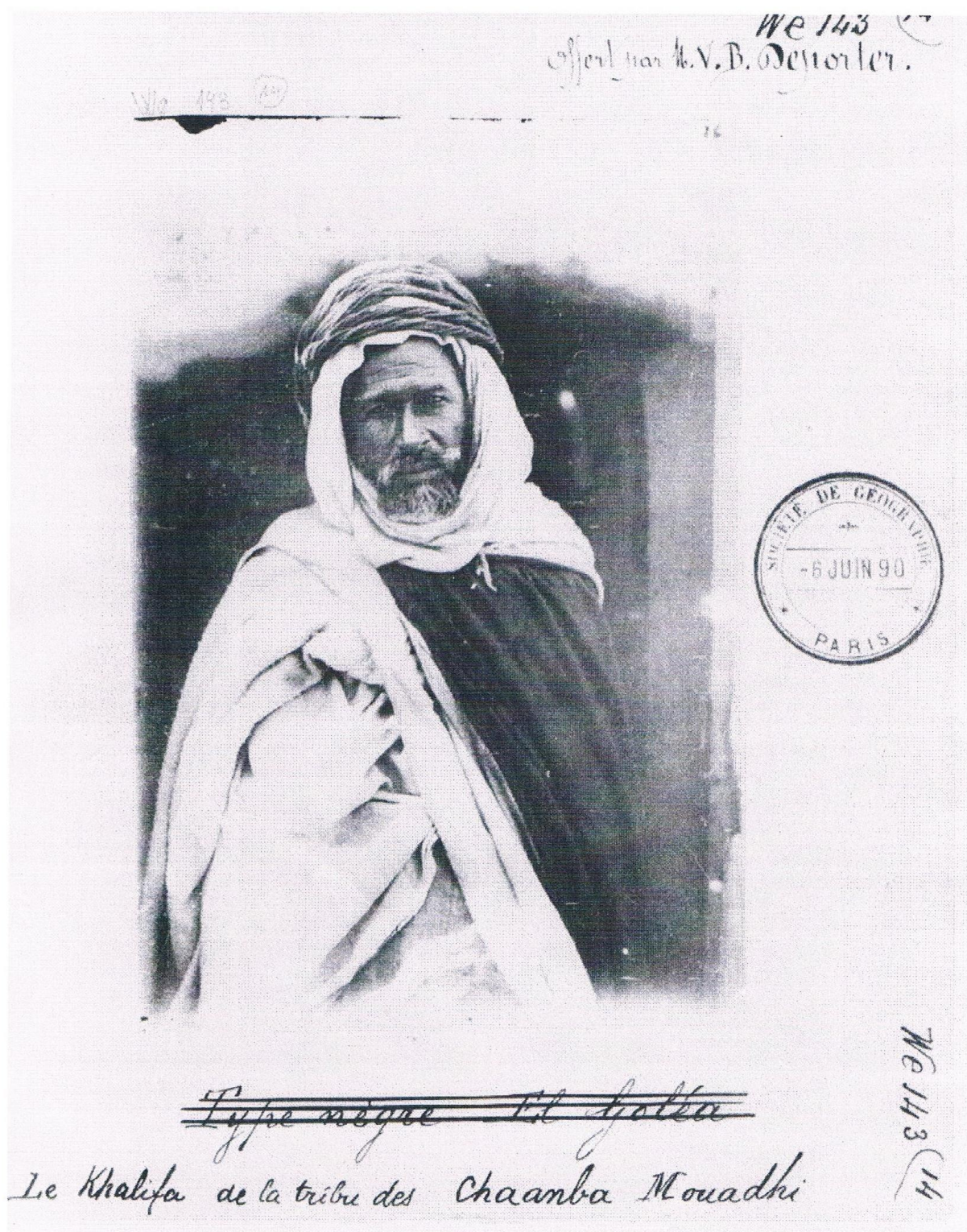
331	37	248	1	38	169	70	44	55	أ.الحاج دحمان
301	58	264	1	29	139	59	36	44	أ.الحاج منصور
632	95	512	2	67	318	129	80	99	المجموع لأولاد زيد

المجموع العام لشعانة المنبعة:

2255	810	2482	12	342	1623	552	455	616	المجموع العام لشعانة المنبعة
------	-----	------	----	-----	------	-----	-----	-----	---------------------------------

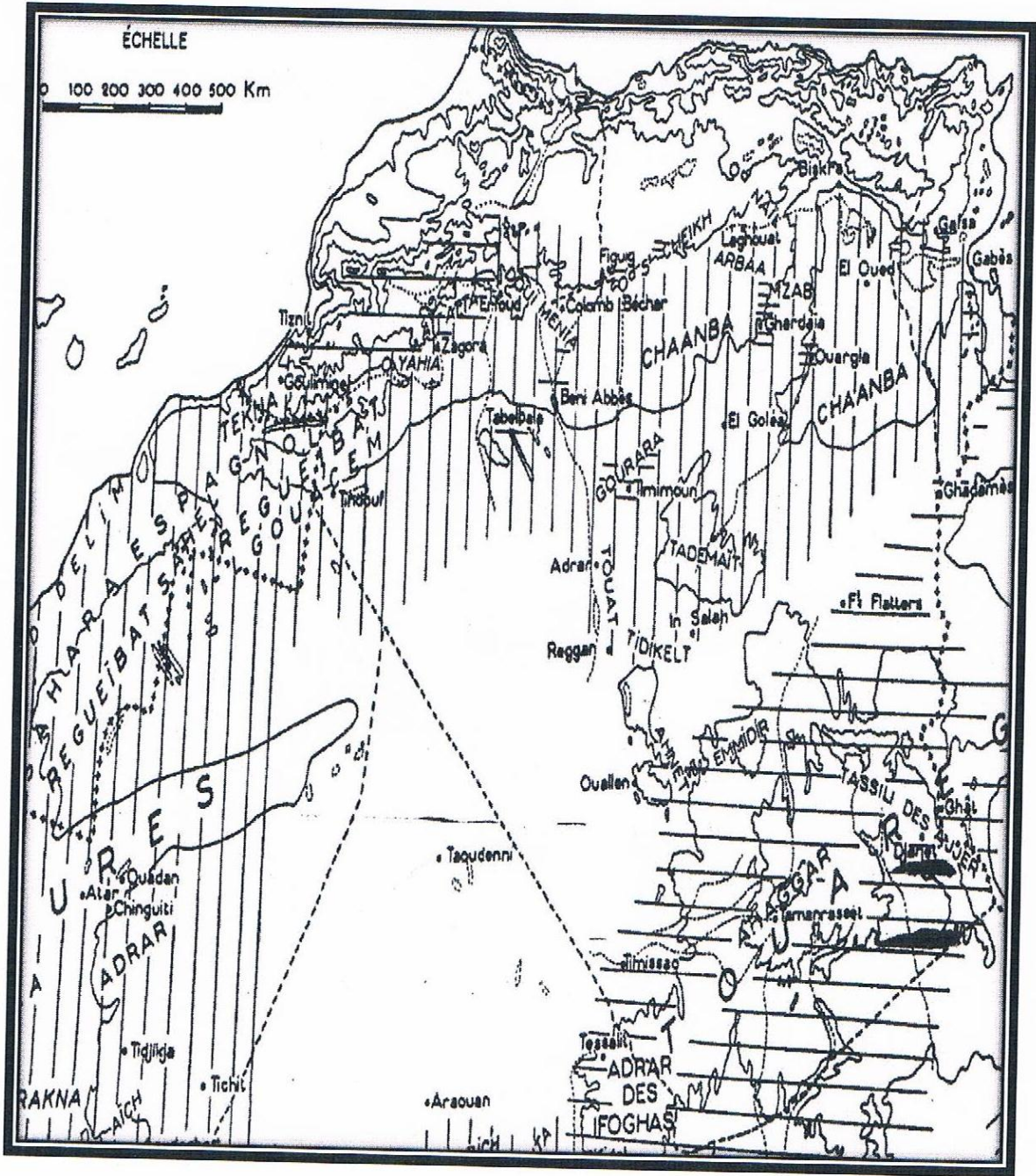
الملحق رقم (04)

صورة لخليفة شعانة المواضي.



الملحق رقم (05)

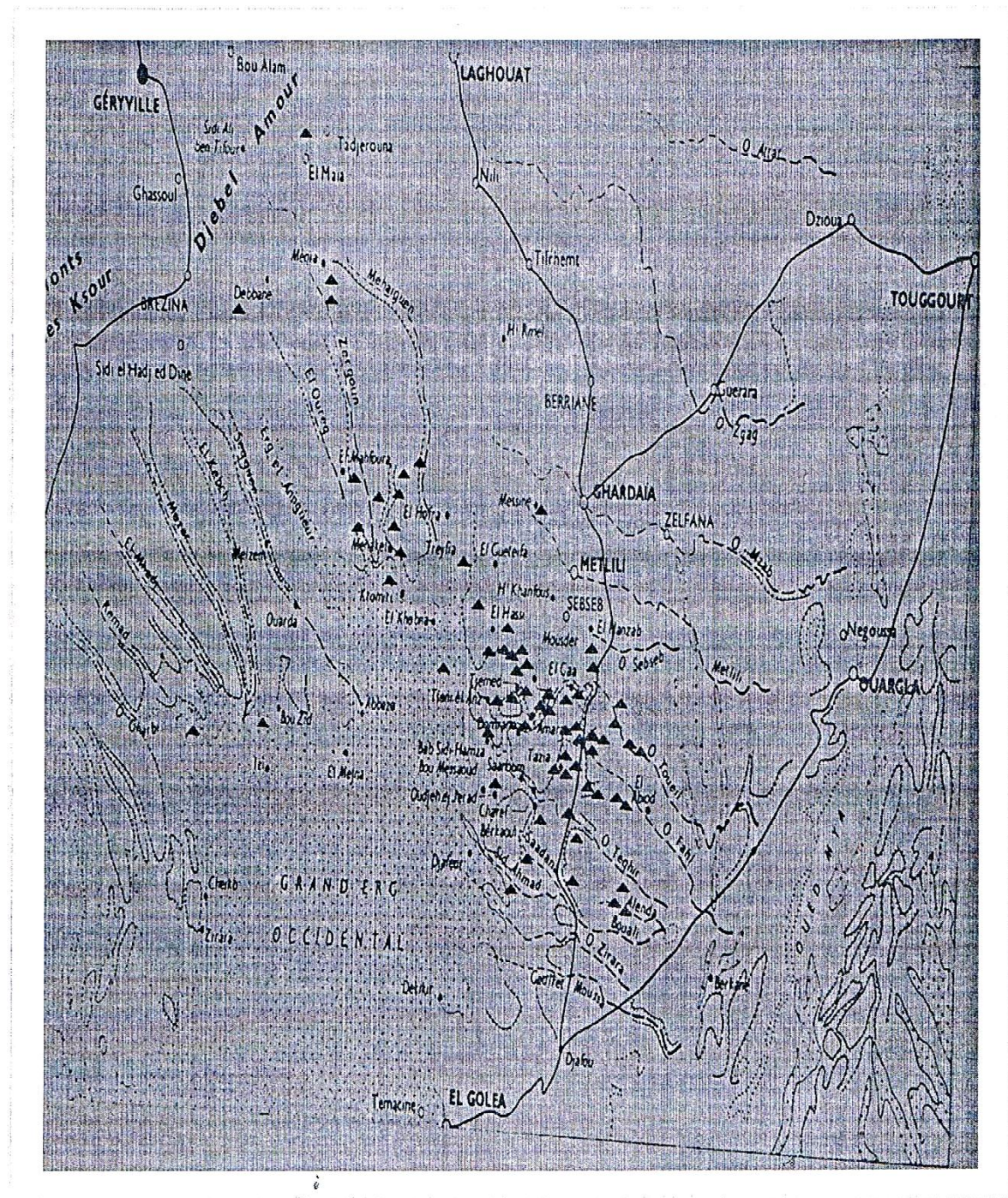
انتشار قبيلة الشعانة في شمال الصحراء الجزائرية⁽¹⁾.



¹ (R- Capot-Rey : Le Sahara français, Presses Universitaires de France, Paris 1953, p 192.

الملحق رقم (07)

خريطة تبين أهم الأودية ومناطق الاستقرار⁽¹⁾.



⁽¹⁾ A-Cauneille : Op.cit., p 58.

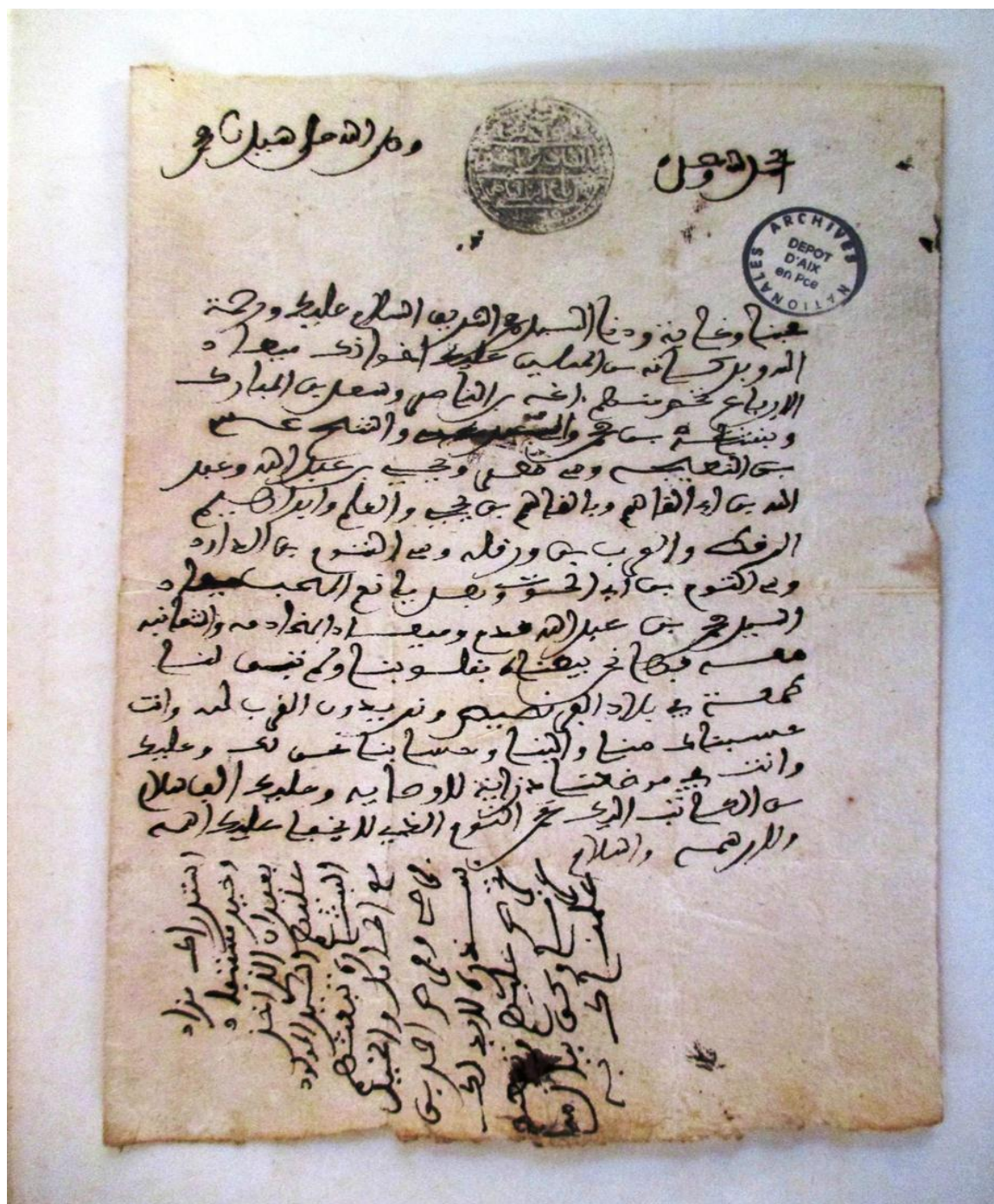
الملحق رقم (08)

صورة لبدو من الشعانية في الصحراء.

Lieuteaa D'Armaag, Le MZAB, et les Pays Chaamba



الملحق رقم (09)

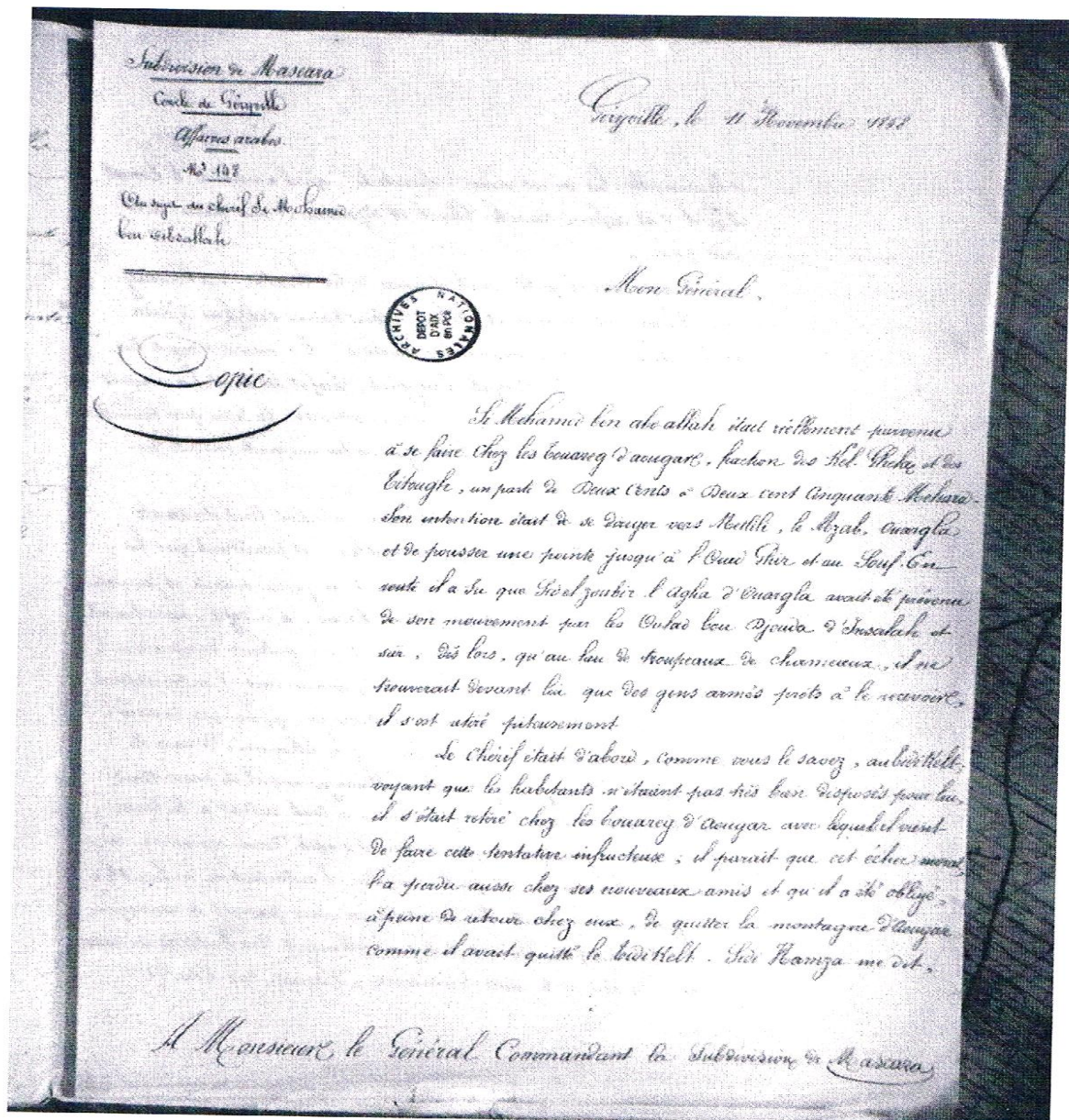
¹(1)

¹رسالة ابن ناصر بن شهرة إلى الشريف بن الاحرش يعرض فيها طلبه بالانضمام إلى صفوف المقاومة، المصدر A.O. M 2H 10

الملحق رقم (10)

تقرير رقم 148 مؤرخ في 11 نوفمبر 1858

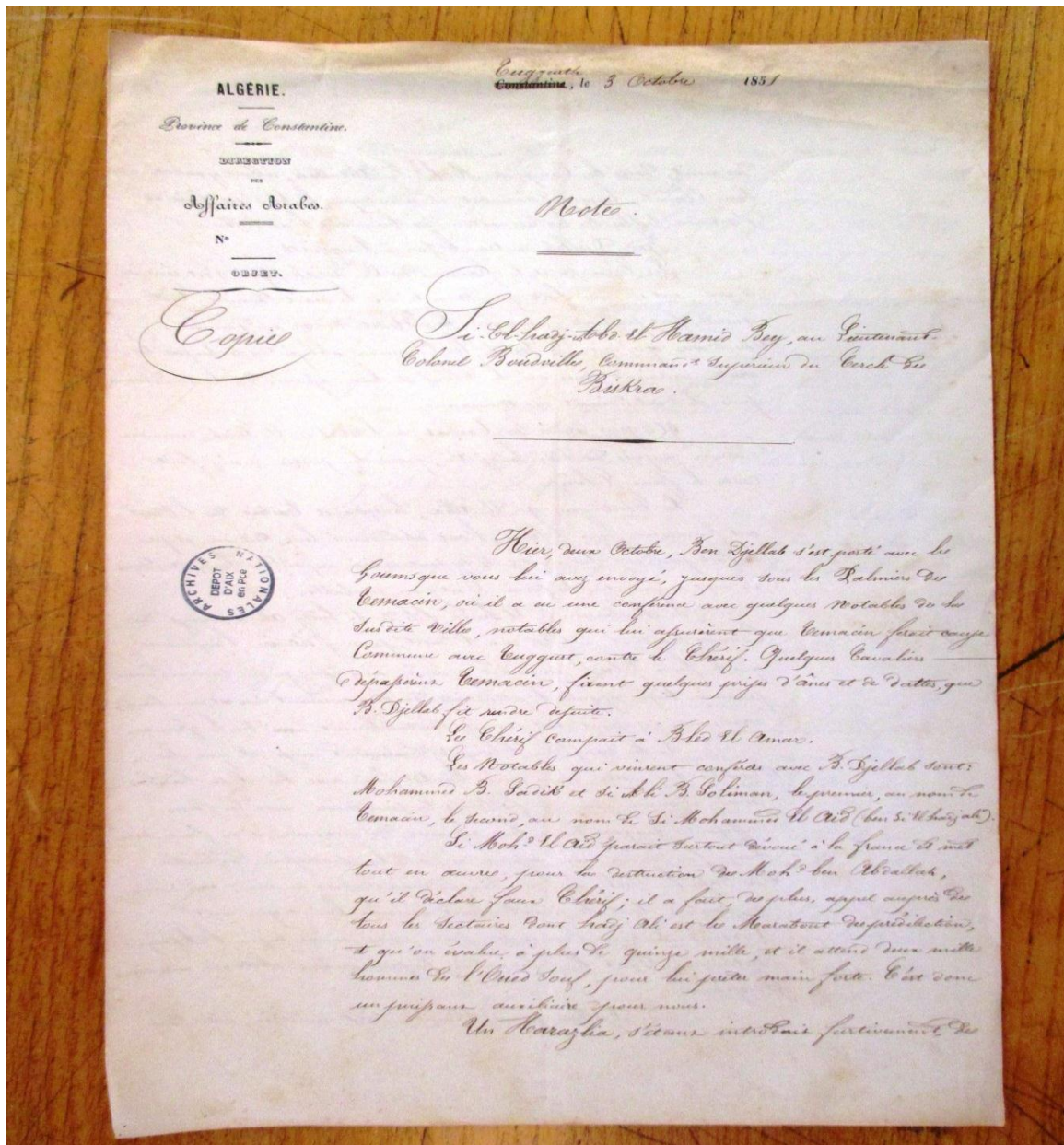
يتضمن معلومات عن الشريف محمد بن عبد الله وتجنيدته لأعداد من التوارق ومسيره نحو الشمال باتجاه متليلي، بني ميزاب، ورقلة، وادي ريغ وسوف⁽¹⁾.



⁽¹⁾ A.O.M, 1H. 15.

الملحق رقم (11)

1*



¹ ملاحظات سي الحاج عبد الحميد باي إلى قائد مقاطعة بسكرة بتاريخ 03 أكتوبر 1851 المصدر A.O.M, 2H9 9

De nuit, dans le Camp de Moh^o B. Abdallah, allait y embour
son Cheval, lorsque, découvert, il ne put que le tirer de force et
l'entendre siffler les balles autour de lui, sans l'atteindre.

Ben Djellab rentra le soir à Cugguata.

Les Chamba et la fraction des C. Siakh, qui s'est réunie
à eux, ont eu une forte querelle entre eux la nuit dernière. Cette
querelle fut produite, par ce que le Bled Omar ou Dammier
des vaines qu'aux C. Siakh, les Chamba obligés de se bouter le
ventre, auraient menacé le Chef et leurs associés des les abandonner,
puis ils s'entendirent de nouveau.

950 gens armés des Caibat de l'Est et des C. Siakh, viennent
d'arriver auprès de Si. Hadj Ali, pour lui prêter main forte
contre le faux Cherif.

Les Contingens qu'il alla, Hadjira et Caibat des C. Siakh
ont fournis au faux Cherif, l'ont abandonné hier, dit-on, et puis
la suite pendant la nuit; ils se sont retirés auprès des Hadj Ali pour
ils vont augmenter les forces. C'est peu probable.

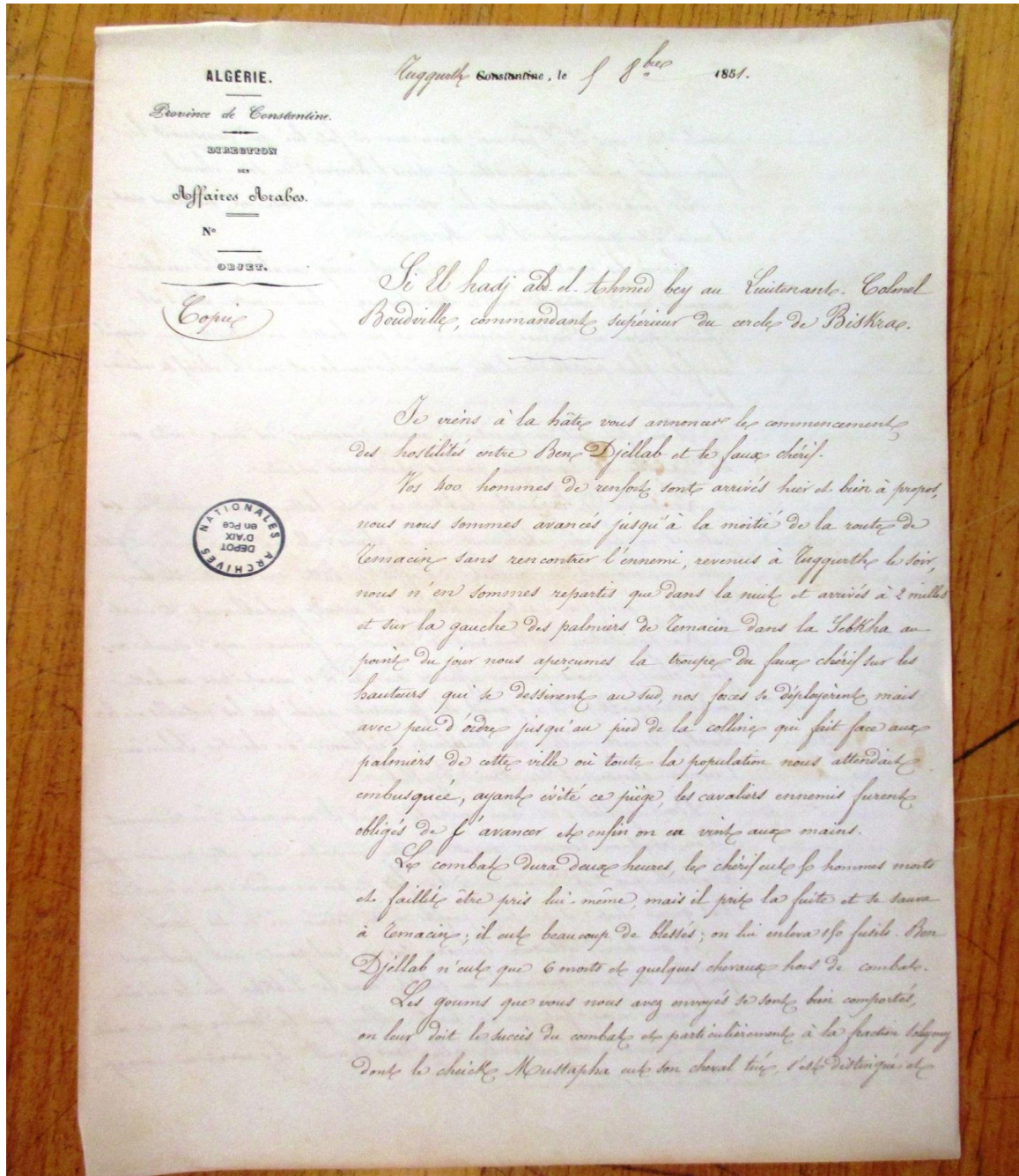
Si. Mohammed El Hadj, fils de Si. Hadj Ali a envoyé des
Courriers partant à l'Est et à l'Ouest, pour y détruire l'influence
que le faux Cherif pourrait y avoir acquise; je ne saurais donc
pouvoir trop appeler l'attention du gouvernement sur cet événement,
mainement surprenant et il paraît véritablement com. de la France.

Si les rangs du Cherif se diminuent ainsi, et que les
Discordes s'y mette, on en aura bientôt fini avec lui et sa bande;
mais, à mon avis, il faudrait les poursuivre avec des forces
suffisantes jusqu'à leur repaire, de manière à en finir une
bonne fois, pour nous assurer enfin la possession définitive
des Caps du Sud, qui ne demanderaient pas mieux; car, sans
ce point, tout le monde suit aujourd'hui ce que veut
l'administration française, pour nous ouvrir enfin l'intérieur
intérieur, dont les Chamba, les principaux obstacles au
passage.

B. Djellab, pour stimuler son monde, vient de

الملحق رقم (12)

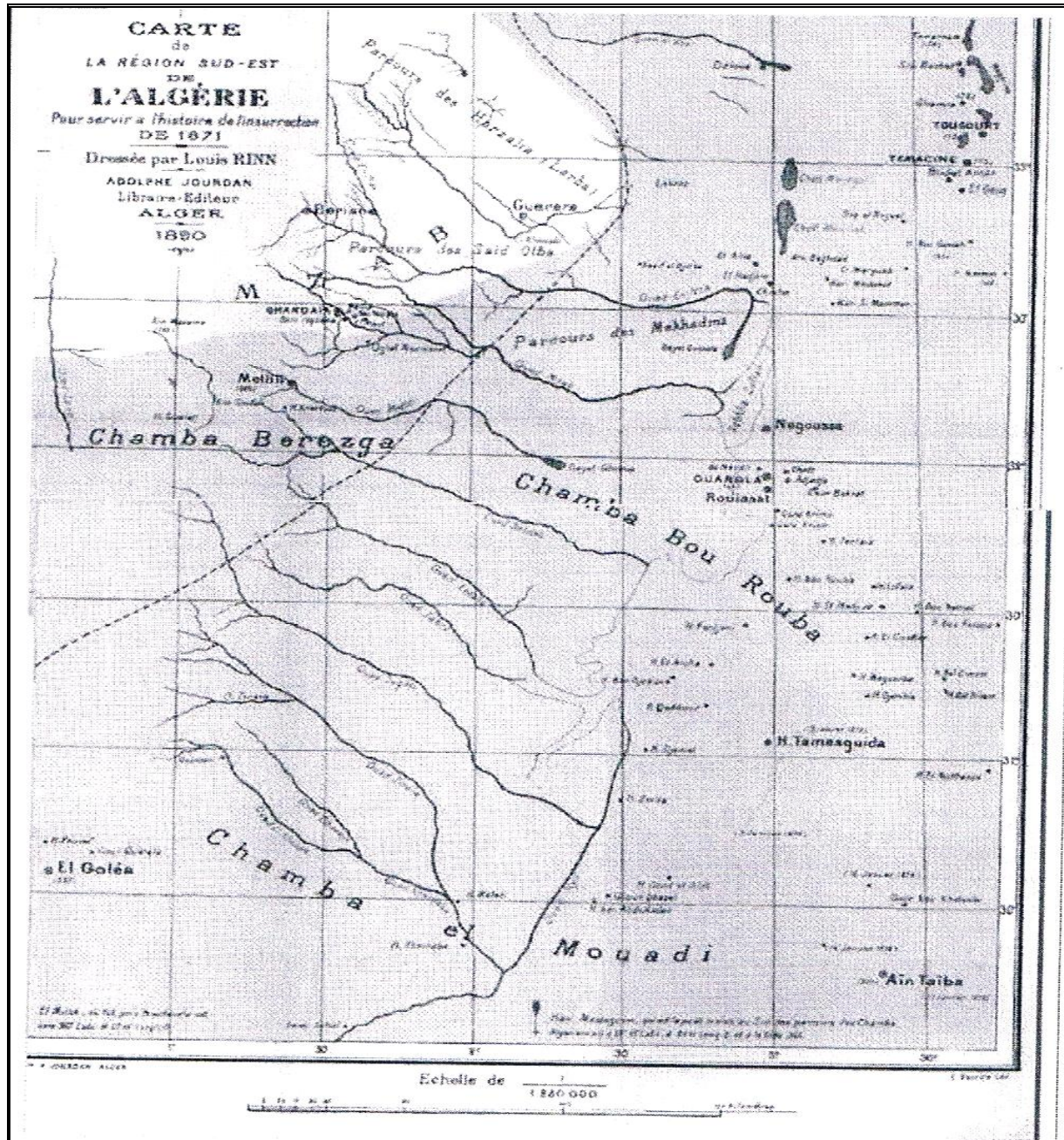
1*



¹ ملاحظات سي الحاج عبد الحميد باي إلى قائد مقاطعة بسكرة بتاريخ 08 أكتوبر 1851 المصدر 9 A.O.M, 2H

الملحق رقم (14)

خريطة توضح الرقعة الجغرافية للمقاومة الشعبية 1850-1875⁽¹⁾.



⁽¹⁾ Louis Rinn, L'insurrection de 1871 EN ALGERIE.

الملحق رقم (15)

1*

Division d'Alger
 Etat-Major
 de la Subor. de Média
 Section
 Affaires indigènes
 N° 1334.
 Objet:
 Renseignements sur le Cherif
 Bou Choucha

Média, le 30 Novembre 1873
 188

Mon Général,

Vous m'avez prescrit par votre dépêche du
 24^{ème} 16:562, de vous adresser tous les renseignements
 que je pourrais recueillir sur le faux Cherif Bou
 Choucha, son origine, ses antécédents, et les
 divers événements auxquels il a été mêlé.

Un travail de cette nature, établi en grande
 partie au moyen de bruits arabes, doit évidemment
 contenir des faits au moins contestables, qui donnent
 lieu à des versions souvent contradictoires;

Je ferai donc la mention des sources dont
 proviennent les renseignements que je donne quand
 ils auront été fournis par les indigènes et qu'on
 n'aura pas pu les contrôler. Quant aux divers évé-
 nements de guerre auxquels a pris part Bou Choucha,
 le récit que j'en ferai n'est qu'un résumé des
 documents officiels qui en ont déjà rendu compte.

¹Rapport N° 1334, 30 Novembre 1873, Renseignements sur Le Cherif Bouchoucha, A.O.M 2H 84.

Comme tous les agitateurs de son espèce, Bou Choucha ne porte évidemment pas son vrai nom, c'est ce qui explique les différentes appellations qu'on lui donne, et qui varient suivant les localités d'où proviennent les renseignements.

Dans les tribus du Sud du Cercle de Djelfa, on lui donne le nom de Si Mohaméd ben Hassen ben Ibrahim Bou Choucha, chez les Chambaa, au M^e Zab, et d'après les indications du cachet qu'il a apposé sur plusieurs lettres communiquées au Commandant Supérieur de Laghouat, il porte le nom de Si Mohaméd ben Mouley Ibrahim Bou Choucha; enfin sur des lettres qui lui sont attribuées et qui ont été envoyées du Sud Est de la Province de Constantine au mois de Septembre 1871, à des indigènes de la subdivision de Média, parlant des insurgés, le cachet que portaient ces lettres désigne et agitateur sous le nom de Cherif El Haoussine Abdou. Mouley Ibrahim Ben Hassen Bou Choucha.

Les mêmes divergences que pour les noms, sont également remarquées dans les origines que les indigènes lui donnent.

Tantôt on représente Bou Choucha comme originaire des Oulad Abdelkader du cercle de Djelfa, tantôt comme né au

C'est la version 2
Constantin

El ya chad

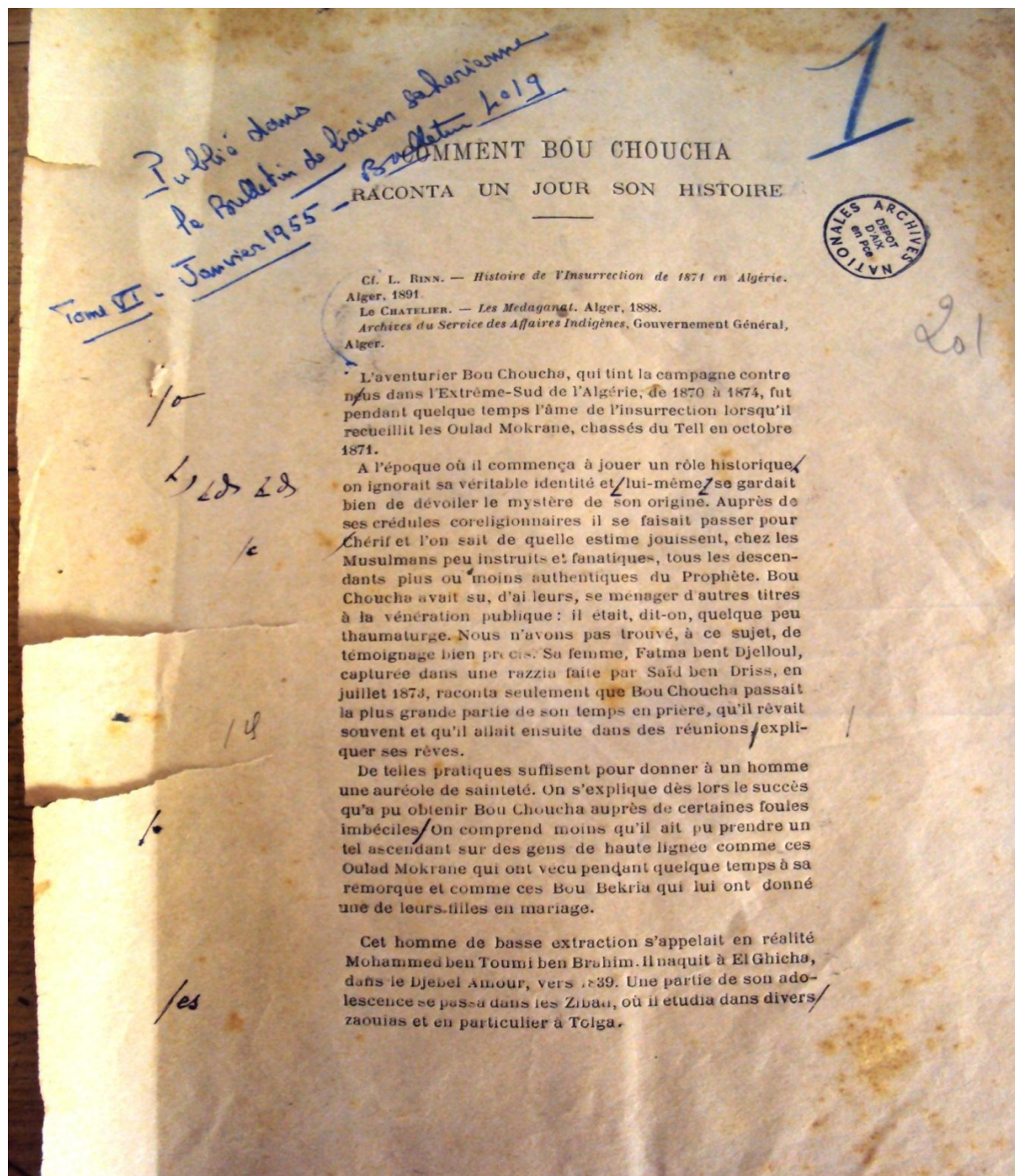
au Djebel Amour, au K^{art} d'El Ghricra
ou aux Oulad Sidi Nacur, tantôt, et d'une
manière beaucoup plus générale, on assure qu'il
vient de Caoulga dans les Zibanes; quelques
personnes assurent que Bou Choucha est
un déserteur français; enfin dans quelques
tribus du Sud-Est du cercle de Djelfa on le
prétend originaire d'une fraction maraboutique
des Oulad Delhim, mais ayant habité
quelque temps à Riskra et à Curnis.

D'autres versions plus anciennes et qui
avaient cours dans le Sud au moment de son
apparition sur la scène politique, assuraient
qu'il était originaire de Glemcan comme le
Chef Mohammed ben Abdallah dont
on le prétendait fils; cette version n'a plus
aujourd'hui aucune créance chez les indigènes.

Les recherches faites par le Commandant
Supérieur de Djelfa, permettant d'affirmer que
la version qui présente Bou Choucha comme
originaire des O^u Nayls n'a aucun fondement;
il n'est pas douteux cependant que Bou Choucha
ne connaisse bien cette région et que ces popula-
tions n'aient été le but de ses préoccupations;
en effet, à son apparition dans le Sud, toutes
les prophéties qu'il a lancées devaient avoir
leur accomplissement chez les Oulad Nayls,
et l'exposé qu'il faisait de sa mission, en

الملحق رقم (16)

1*



¹ Simon H : Comment Bou Choucha Raconta Un Jour Son Histoire, A.O.M, 2H84.

2

ARCHIVES NATIONALES
DEPOT D'AIK
en PC

1/ 18
19

Rentré dans son pays d'origine il eut des démêlés avec la justice. En octobre 1862, il fut arrêté près d'El Abiod Sidi Cheikh par le caïd de ce ksar, au moment où il cherchait à gagner l'ouest avec deux indigènes de Brezina qui venaient de voler des chameaux et des armes à El Abiod. L'instruction judiciaire faite à Geryville établit que peu de jours auparavant Mohammed ben Toumi avait traversé les ksours de Taouda, Bou Alem, Oulad Sidi El Hadj, Bou Aneur, Ghassoul et Brezina, cherchant partout sur son passage à exploiter la crédulité des indigènes, et se disant cherif.

Il fut condamné par la commission disciplinaire de Mascara, le 22 décembre 1862, à un an de prison, comme coupable de manœuvres tendant à troubler la tranquillité publique. Ses deux compagnons de Brezina furent condamnés en même temps à trois mois de prison pour le vol qu'ils avaient commis. Tous trois furent dirigés sur le pénitencier de Bou Khanéfis pour y subir leur détention.

Dès lors la carrière de Mohammed ben Toumi se dessine. Lorsqu'il sera sorti du pénitencier, il s'entourera de nouveau de voleurs et de gens sans aveu ; lui-même continuera ses menées maraboutiques : instruit par l'expérience, il saura échapper à la justice et deviendra bientôt un redoutable chef de bande.

En 1863 il est à Figuig ; il se rend ensuite au Touat et à In Salah, après avoir fait, en 1865, un court séjour à Ouargla : il se faisait alors passer pour originaire du Zab où il avait séjourné dans son adolescence, comme nous l'avons dit ; c'est pour cela qu'il fut surnommé Zibani.

A In Salah son prestige s'affirme ; nul ne met en doute sa qualité de cherif. Deux Chaa/ba réputés parmi les écumeurs du Sahara, Bou Khechba et Ali ben Lecheheb, le prennent comme patron et lui amènent 150 fusils.

Un personnage aussi important ne peut plus être désigné par un simple prénom. Ses fidèles éprouvent le besoin de lui donner une appellation plus caractéristique. Mohammed ben Toumi qui porte sans doute de longs cheveux, devient alors Bou Choucha (le che-

à cet effet des fonctions de substitut du rapporteur près le Conseil de guerre.

A ce moment on avait déjà des renseignements précis sur l'identité de Bou Choucha ; aucun doute ne subsistait plus au sujet de son origine. Voici d'ailleurs en quels termes l'aventurier raconta lui-même son histoire au lieutenant Gingembre, du bureau arabe d'Aflou, qui l'interrogea à son passage à Laghouat :

Récit de Si Mohammed ben Toumi (1)

A l'époque où le capitaine Dau commandait le bureau arabe d'El-Ghicha, il voulut m'engager aux spahis et écrivit à ce sujet à Tiaret. J'allai à Tiaret ; mais des gens d'El-Ghicha, les Oulad Aïssa ben Djelab, intriguerent contre moi et on ne voulut pas m'engager.

Je revins à El-Ghicha furieux. Un jour je jetai mes vêtements par terre et partis pour l'ouest, fou. J'errai entre El-Ghicha et Géryville, n'ayant pas ma raison, à peine vêtu de haillons qu'on me donna, nourri par les uns et les autres.

A El-Abiod-Sidi-Cheikh, le caïd Djedid ben Naïmi me fit arrêter, prétendant que je cherchais à mettre le désordre chez les Arabes. Je fus emmené à Géryville, puis à Saïda et, de là, à Mascara. A Mascara, je passai devant la Commission disciplinaire et fus condamné à un an de prison. Je commençai à faire ma peine à Ben-Youb, puis fus envoyé au pénitencier de Bou-Khanéfis.

Après quelques mois passés au pénitencier, je m'évadai et me rendis à Figuig, où je restai deux ans. Je demeurais à la djemaâ d'El-Hammam, vivant comme les autres, des aumônes communes, nourri par les talebs.

Après ces deux ans survint la révolte des Oulad Sidi Cheikh. Si Ahmed ben Hamza me proposa de me donner le commandement de la moitié des Arabes révoltés et de marcher avec lui. Je refusai, me rappelant que c'étaient les Oulad Sidi Cheikh qui m'avaient fait arrêter.

(1) Archives de l'Annexe d'Aflou.

EPILOGUE

EPILOGUE

ex 16

Bou Choucha était marié à trois femmes. Après le massacre de Touggourt, il avait enlevé une fille d'El Hadj Ahmed ould Ahmed Khodja ben Debbah, cousin d'Ali Bey. Il en fit sa femme, après avoir tué son père. Plus tard, il la confia au marabout de Kerzaz.

Les deux autres femmes l'avaient suivi dans sa captivité : c'étaient Fatma bent Djelloul, des Ouled Sidi Cheikh et Fatma bent Djilali, de Zaouiet el Kahla (Tidikelt). Chacune d'elles était mère d'une fille en bas âge.

Fatma bent Djelloul fut échangée à Ouargla, au mois de février 1875, contre la cousine d'Ali Bey. Toutes deux furent rendues à leurs familles.

Finalement Bou Choucha fut jugé à Constantine et condamné à mort, le 19 mars 1875. Trois indigènes des Chaanba d'Ouargla, qui avaient été faits prisonniers avec lui, furent condamnés en même temps : Daoud ben Choulia et Ali ben Aneur à la déportation simple, Boudjemaâ ben Cheikh à la déportation dans une enceinte fortifiée. Ce jugement fut confirmé en révision le 17 avril suivant.

Voici en quels termes le *Mobacher* rendit compte de la fin de Bou Choucha, dans son numéro du 30 juin 1875 :

« Dans sa séance du 19 mars 1875, le 4^{er} Conseil de guerre de la division de Constantine a condamné à la peine de mort Mohammed ben Toumi ben Brahim, dit Bou Choucha, reconnu coupable d'avoir, à diverses époques et en différents lieux, commandé des bandes armées, commis des attentats contre des personnes et des propriétés; d'avoir pris, en mars et mai 1871, sans droit ou motif légitime, le commandement des villes d'Ouargla et de Touggourt; de s'être rendu, en mai 1871, complice des meurtres commis sur les personnes du lieutenant Hamou ben Mousseli, du 3^e tirailleurs algériens, et de 50 militaires de ce régiment; d'avoir commis ou aidé à commettre plusieurs autres meurtres; d'avoir arrêté, détenu ou séquestré plusieurs personnes parmi lesquelles deux Européens, le sieur Jonge et sa femme.

« Le Président de la République, après examen de cette affaire, a reconnu la nécessité de laisser la justice suivre son libre cours.

« En conséquence, Mohammed ben Toumi ben Brahim, dit Bou Choucha, a été passé par les armes le 29 juin à 5 heures et demie du matin, sur le lieu habituel des exécutions à Constantine ».

Capitaine H. SIMON.

الملحق رقم (18)

Text Francois: 5^e le numéro 27^e Anne text arabe: 10^e Le numéro.⁽¹⁾

JOURNAL OFFICIEL

PARAISANT TOUS LES JOURS

EXCEPTÉ LE LUNDI

Le numéro du Samedi, renfermant les faits intéressant spécialement les indigènes, sera seul traduit en arabe.

Mercredi, 30 juin 1875. El-Arba, 26 Djonmada-premier 1292.

N° 1106

Tout ce qui concerne la rédaction et l'administration doit être adressé au bureau de Moncaen, rue Brue (ancien palais du Sous-Gouvernement).

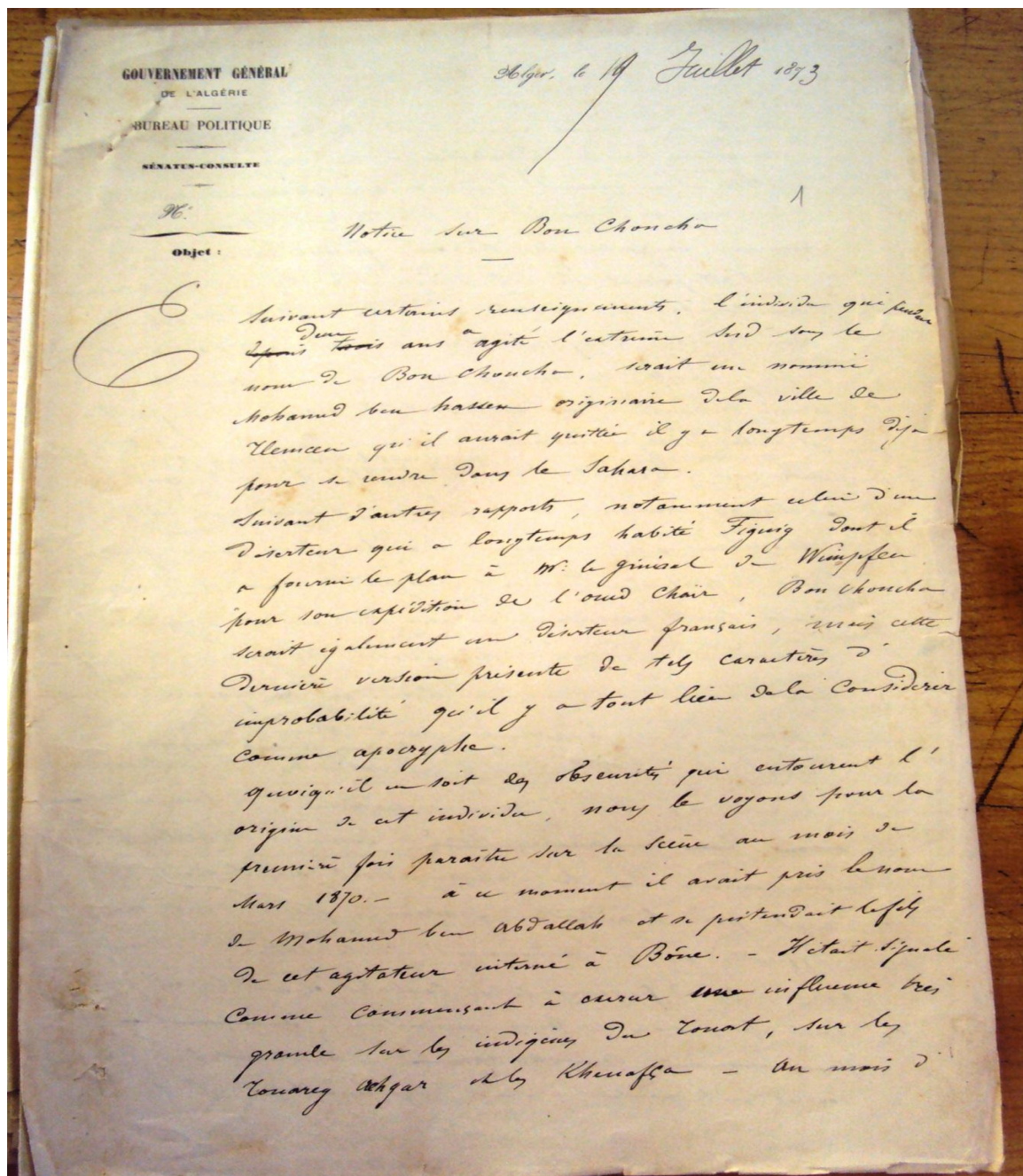
On s'abonne chez MM. les Receveurs des Contributions diverses de l'Algérie, en payant un mandat sur la poste, adressé à M. le Receveur des Contributions diverses d'Alger (ville), rue Saint-Vincent de Paul, n° 10.

PARTIE OFFICIELLE Naturalisation en Algérie Par décret présidentiel, du 20 mai 1875, homologué par M. le Ministre de la justice, sont admis à jouir des droits de citoyens français, conformément aux dispositions de la loi du 14 juillet 1865, les étrangers dont les noms suivent :	PARTIE NON OFFICIELLE Bourse de Paris Du 29 juin 1875. DERNIER COURS AU COMPTANT <table style="width: 100%;"> <tr> <td>Rente 3 0/0</td> <td style="text-align: right;">64 05</td> </tr> <tr> <td>— 4 1/2 0/0</td> <td style="text-align: right;">94 25</td> </tr> <tr> <td>Emprunt</td> <td style="text-align: right;">103 95</td> </tr> </table>	Rente 3 0/0	64 05	— 4 1/2 0/0	94 25	Emprunt	103 95	Un an 24 fr. PRIX DES INSERTIONS Texte français, la ligne de trente lettres en caractères petit roman 0 15 Texte arabe, la ligne de trente-huit lettres en caractères sept et demi 0 30 résultat d'en confier la propriété pleine et entière aux départements ou aux communes, sous la seule réserve de la remise à faire par le Domaine. Toutes les fois donc que cette remise n'aura pas été faite, il y aura lieu de l'effectuer conformément au mode prescrit par l'article 2 de l'arrêté préfectoriel du 4 novembre 1848. Des instructions ont été adressées dans ce but au Directeur des Domaines de votre département. Quant aux immeubles urbains ou ruraux qui sont
Rente 3 0/0	64 05							
— 4 1/2 0/0	94 25							
Emprunt	103 95							

¹ 'Le Mobacher : Exécution à Constantine du faux Cherif Mohamed Ben Toumi dit Bouchoucha, N° 1106, 27^eme Année, 30 juin 1875, A.O.M, 2H84.

الملحق رقم (19)

1*

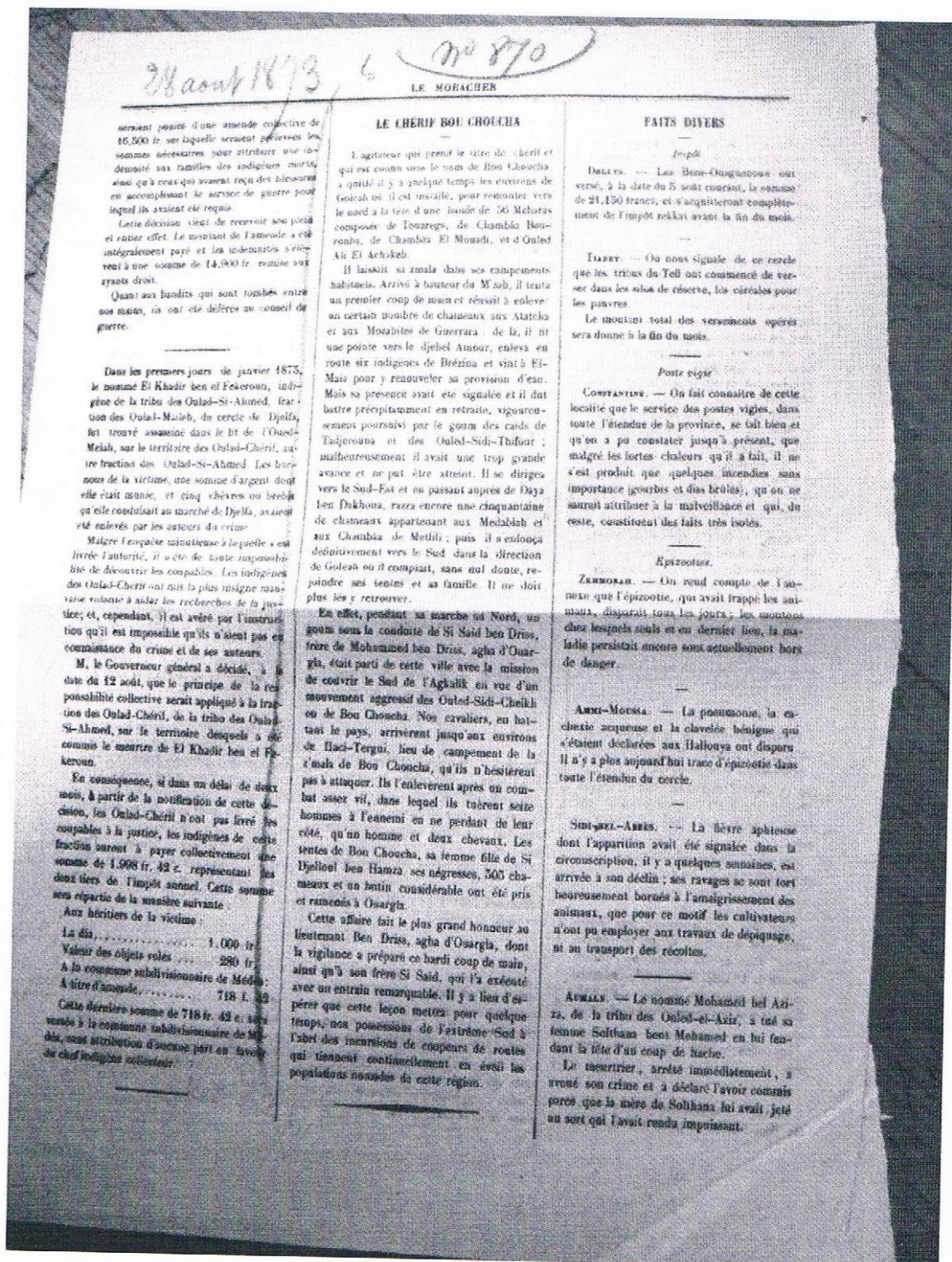


¹ Notice sur Bouchoucha, N° 96, 19 JUILLET 1873, A.O.M 2 H 84.

du cercle de Borkra - à Ouargla, Ben Charcha
 fait un accueil sympathique aux O. Mokran
 qui poursuivent nos études; aisé de nous leur
 renfort, il livre aux Saïd Othman un combat
 opiniâtre pendant lequel il est grièvement blessé.
 L'arrivée de la colonne de Jemal
 de Paerani a Buggarth et la marche sur
 Ouargla où elle ~~arrive~~ ^{camp} le 5 janvier 1873 porte à un
~~très grand~~ ^{grand} camp à cet endroit sont les contingents.
 Tout disposé et qui se dirige lui-même à
 quelques journées de marche au Sud de Joliah.
 Le bruit de sa mort court pendant
 jusqu'à la fin de 1872; à cette époque sa présence
 fut de nouveau signalée et une nouvelle incursion
 de la part paraît imminente; toutes nos
 troupes sahariennes étaient tenues en alerte.
 C'est seulement ~~le 1er~~ ^{en} juillet 1873
 Bonchoucha reparait à la tête d'une bande de
 50 meharas cavaliers montés sur des meharas; il
 parcourt tout le Sahara de la Dakhla d'Oran,
 fait prisonniers cinq indigènes de Brezina revenant de
 Laghouat; se porte subitement à l'Est et
 s'empare de hauteur de Jardaïa, au lieu dit
 Daïa ben Dakoua des troupeaux appartenant
 aux M'Dabik et aux Chambaï, et ~~en fait~~
~~confiance~~ ^{confiance} ~~de la~~ ^{fait} prisonniers les cinq
 cavaliers qui avaient été envoyés à Makhia pour
 le surveiller et ^{apprenant en effet} ~~la~~ ^{la} ~~grande~~ ^{grande} ~~de~~ ^{de}
 de ses campements.
 Pendant la marche au nord, ^{de capitaine}
 L. Saïd ben Driss était parti de Ouargla
 avec la mission de couvrir le Sud de l'Oasis et avait
 fait, juste par un chasseur de gazelles, remonter
 à Oum el Chagarden, suspendre les campements
 de Bonchoucha et les engager après un combat
 assez vif; la tente, la femme ^{de Bonchoucha} et
 les chameaux et

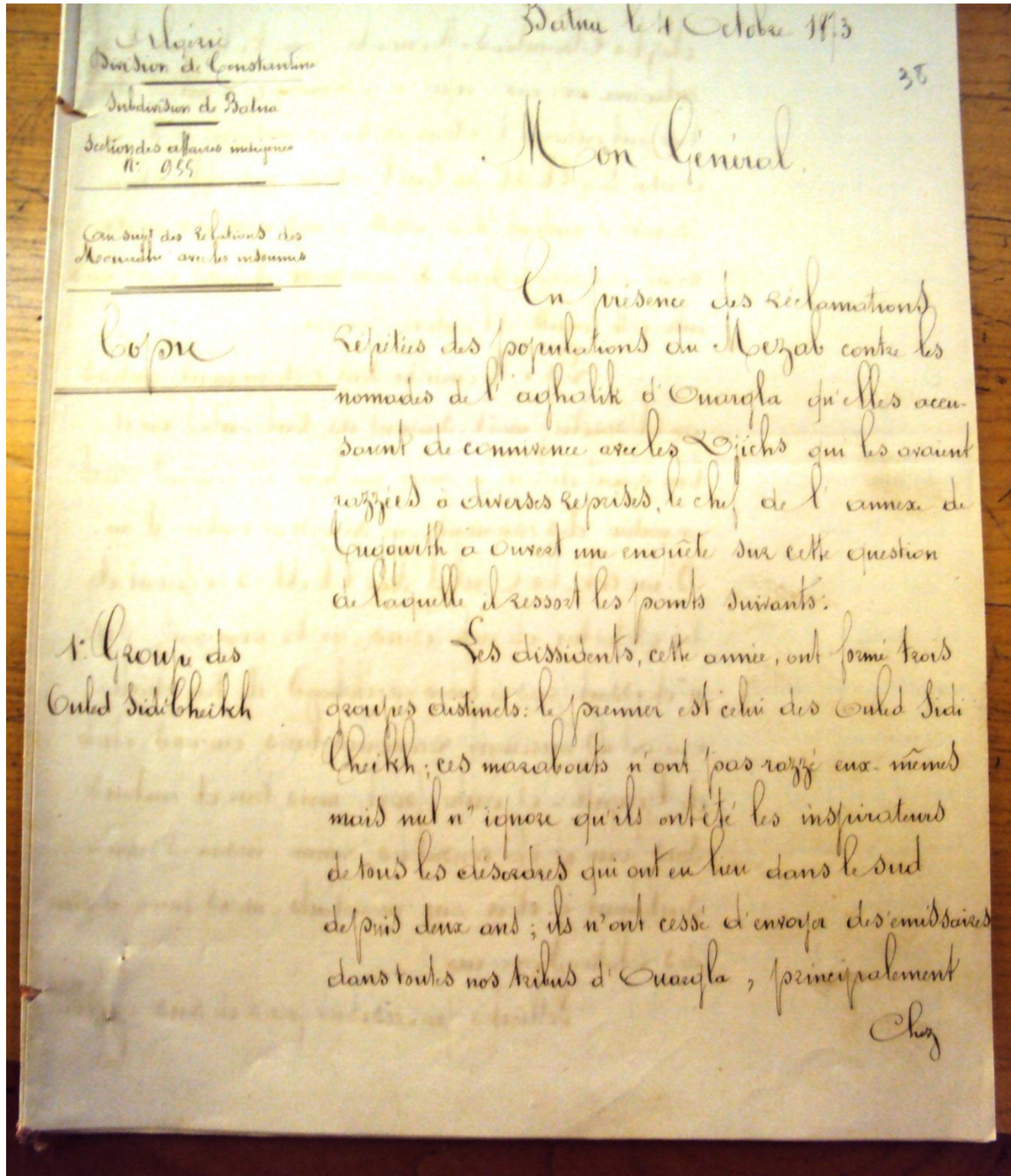
الملحق رقم (20)

Le Mobacher: Le Cherif Bouchoucha, N° 870 Aout 1873, p 5.



الملحق رقم (21)

1*



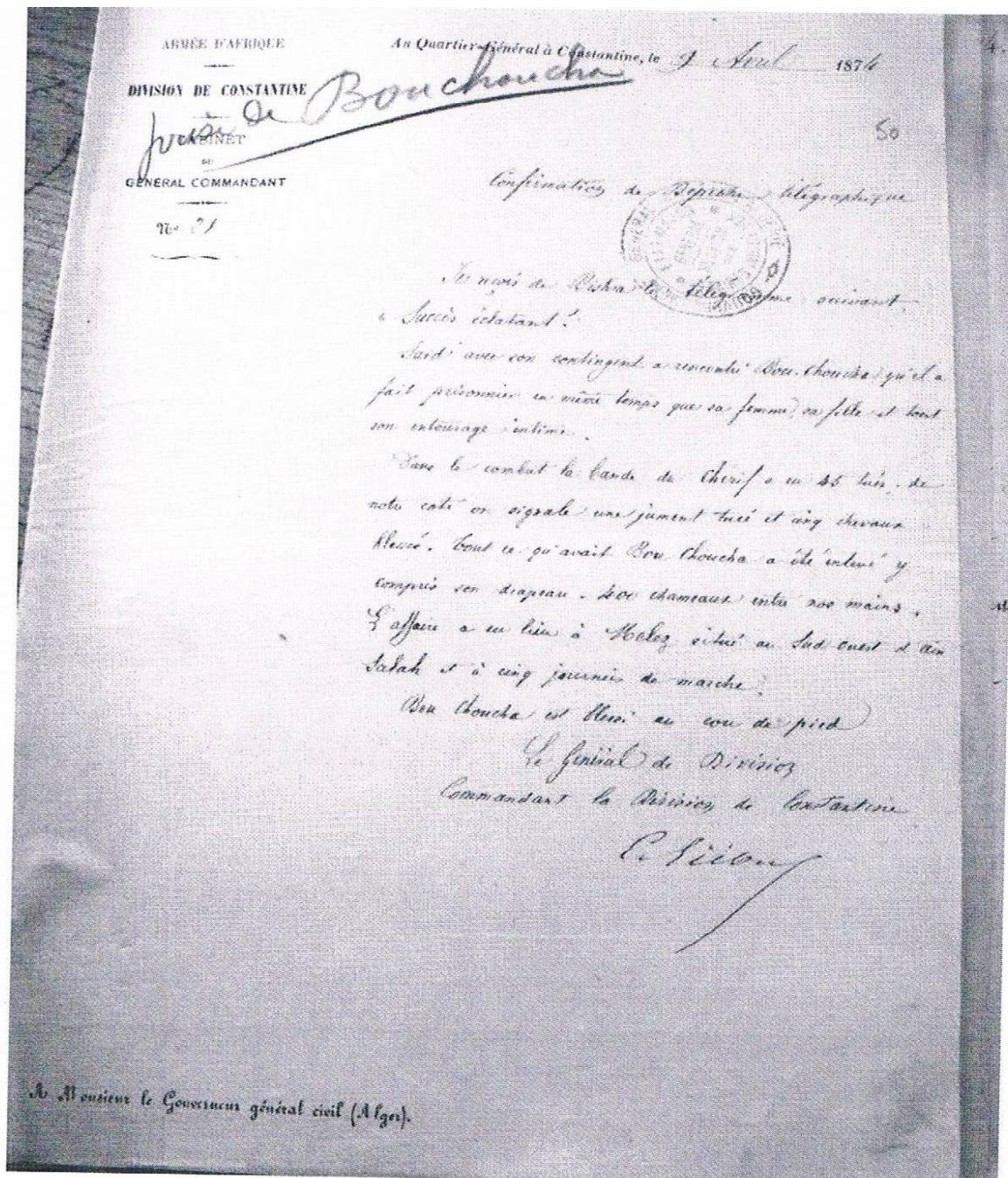
¹ Sujet Des Relations Des Mouadhi avec les Insoumis, N° 955, A.O.M, 2H84

chez les Chambaad. Mouadhi, pour tâcher de les
entraîner avec eux, afin d'attendre ce résultat, ils
leur font entrevoir le retour de la domination des
Ouled Sidi Cheikh sur tout l'extrême sud et la chose
paraît d'autant plus possible à nos nomades, qu'ils
sont des négociations de pour suivre depuis deux ans
entre cette famille et l'autorité française.

Les Mouadhi sont certainement enclins
au désordre; mais devant-ils tout autres qu'il
leur paraît difficile de suivre une ligne de conduite exacte,
au milieu des événements qui surviennent autour d'eux.
D'un côté, les Ouled Sidi Cheikh s'efforcent de
les détacher de notre cause, en les menaçant, s'ils
n'obéissent pas à leurs excitations, de les châtier
quand ils auraient reconquis leurs anciens états
de Gempill. D'autre part, nous leur défendons,
sous peine d'être considérés comme insurgés, non-
seulement d'obéir aux marabouts, mais encore d'avoir
des relations avec eux.

Sollicités par ces deux forces de sens différent,
les

الملحق رقم (22)

Confirmation de dépêche télégraphique 9 Avril 1874 ; N°21.⁽¹⁾⁽¹⁾ A.O.M, 2H.84.

الملحق رقم (24)

1*

192

Siste des objets et animaux
enlevés dans la Zmala au Chérif

Centes	20	don & Bouareg
Gueraras	96	(sacs en laine)
Cajus	1	
Vaine filé & non filé	500	Kilogs environ
Chameaux jeunes	72	
Chameaux grands	214	

Hommes tués à la Ghazid

Mouchri, Nigu & Bou Choucha	Hati Carquain	Bouareg
Saggar by ali by Sechechab, Chech. Monarbi	Barka by Haty	— d'—
Hamari by ali by Sechechab	Saggar by bou Said	Chambas d'ouargla
Ali by ali by Sechechab	Bou Bakri by bou Said	— d'—
Diab by Sechechab	Ali ben Amet	— d'—
Mohamed by Diab	Anna by Chime	— d'—
Saat by Sahib	Ali by Schmay	— d'—
	Hadoum by Saffi	Zou
	Bou Mazouan	— d'—

¹ Rapport Adressé à Monsieur Le Commandant supérieur de Cercle de Biskra Sur La Prise de La Zmala de Bouchoucha, A.O.M 2 H 84.

mode, et c'est ainsi que les gouvernements se mettent au-dessus des lois qu'ils ont mission de faire respecter.

Quand une dépêche nous a appris que la ville d'Alger était mise en état de siège et que la *Solidarité* était supprimée, nous avons pensé d'abord qu'il s'était produit dans cette ville une sorte d'émeute qui avait motivé les rigueurs du gouvernement. Mais la seconde partie de la dépêche nous donnant à réfléchir, nous avons conclu enfin que l'état de siège n'était qu'un moyen, et qui n'aurait pas d'autre effet que d'empêcher la presse de dire au gouvernement ce que le pays pense de lui.

Nous ne nous étions pas trompés : on a mis toute une ville en état de siège, pour frapper arbitrairement un journal.

Comme le disait récemment un ami, que nous ne désignerons pas pour ne pas l'exposer aux fureurs du ministère public, ce n'est pas sous l'ordre moral, mais bien sous l'ordre immoral, que nous vivons.

C. BOURGEOIS.

La *Vie algérienne* publie les documents suivants relatifs à la mise en état de siège de la commune d'Alger :

ARRÊTÉ

Le gouverneur général civil de l'Algérie commandant en chef les forces de terre et de mer.

Vu la loi du 9 août 1849 :

Vu les attaques et les injures auxquelles certains journaux se livrent journellement contre la municipalité d'Alger ;

Considérant qu'il importe de faire respecter ceux qui ont entre les mains les intérêts de la cité et d'assurer le fonctionnement de l'administration municipale telle qu'elle est constituée en vertu de la loi, en prenant les mesures propres à mettre un terme à un état de choses qui trouble l'ordre et discrédite la colonie.

ARRÊTÉ

La commune d'Alger est déclarée en état de siège.

Fait à Alger, le 29 mars 1874.

Le gouverneur général civil de l'Algérie, commandant en chef les forces de terre et de mer, Général Chanzy.

Nous général de division, commandant la division d'Alger,

Vu l'arrêté en date du 29 de ce mois, par lequel le gouverneur général civil de l'Algérie place la commune d'Alger sous le régime de l'état de siège ;

Vu l'article 9 de la loi du 9 août 1849 :

Considérant que le journal la *Solidarité*, oubliant ce que les partis les plus exaltés se font un devoir de respecter, n'a pas craint, par une série d'articles des plus injurieux, de porter atteinte aux droits sacrés de la famille, dans ses attaques contre la municipalité d'Alger ;

Considérant que ces articles sont de nature à exciter le désordre,

ARRÊTÉ

Art. 1^{er}. — La publication du journal la *Solidarité* est interdite.

Art. 2. — Le commissaire central de police de la commune d'Alger est chargé du présent arrêté.

Alger, le 30 mars 1874.

Général WOLFF

Voici maintenant le texte d'une protestation signée par le commerce d'Alger. Elle a été instantanément couverte de signatures :

encore paru devoir donner le moindre espoir à l'Al-

d'intervenir auprès de lui de droit pour faire cesser une mesure que rien ne justifie.

Un écho du Souf

Nous avons entendu de la bouche d'un arabe récemment arrivé de Biskra une singulière histoire, dont les détails nous ont d'ailleurs été confirmés par différents voyageurs venus de cette région.

Nous ne nous dissimulons pas la gravité d'une telle publication, mais depuis quelque temps déjà des breuits alarmants circulent, l'insurrection semble fermenter dans le Souf, et nous estimons qu'il est de notre devoir de signaler tous les faits qui sont de nature à amener un soulèvement dans les tribus.

Voici ce qui nous a été raconté :

Lorsque le général de Lacroix est arrivé à Biskra avec la colonne, il a fait révoquer la caïd de Kanga, beau-frère du caïd Mohamed S'rir ben Ganah de Biskra ; cette révocation eut lieu à la suite de la saisie des correspondances que le nommé Si Mohammed ben Nasser, caïd à Kanga, entretenait avec le chérif Bou Choucha, pendant l'insurrection.

Cette révocation pesait aux ben Gomah, aussi n'ont-ils rien négligé pour capter la faveur des autorités, procédés qui leur a réussi à merveille.

Tout récemment donc, lorsque le général Liebert passa à Biskra pour se rendre à Touggourt, les indigènes du cercle vinrent parader autour de lui ; le caïd de Biskra ne manqua pas de se rendre auprès du général. Celui-ci dit à Mohammed ben Nasser de retourner à Kanga, de lui préparer une bonne diffamé comme son père avait l'habitude de lui en servir autrefois, car à son retour de Touggourt il passerait à Kanga avec son escorte.

Au retour, le général Liebert tint parole, la réception fut des plus cordiales, et le général lui promit pour le récompenser, qu'il le remettrait en place.

Le général Liebert fit donc appeler le caïd nommé par le général de Lacroix, et l'engagea à donner sa démission. Tout étonné, le caïd affirma qu'il n'avait commis aucune action qui pût motiver les paroles du général. Il demanda à celui-ci de vouloir bien entendre tous les arabes de son territoire, ajoutant que si un seul se plaignait de lui, il donnerait aussitôt sa démission. Le général lui répondit qu'il n'avait que faire de ses explications, et après l'avoir sommé de lui envoyer sa démission, il le congédia.

Cependant le général était parti, et la démission n'arrivait pas. On se décida donc à la mander à Biskra, le caïd trop tenace, et de nouveau on lui demanda sa démission.

Sur son refus, il fut insulté, maltraité, et on le contraignit par la violence à signer une démission rédigée à l'avance.

Cela fait, on se hâta de remettre en place le caïd révoqué par M. de Lacroix, et qui eût mérité une toute autre récompense.

Cette affaire a produit une grande sensation à Biskra, et dans les tribus.

L'influence dont jouit la famille ben Ganah, est étonnante après les révélations produites par les débats de l'insurrection. Aussi les arabes ne se

catholique en Bearn et y écarte les colonnes

الملحق رقم (25)

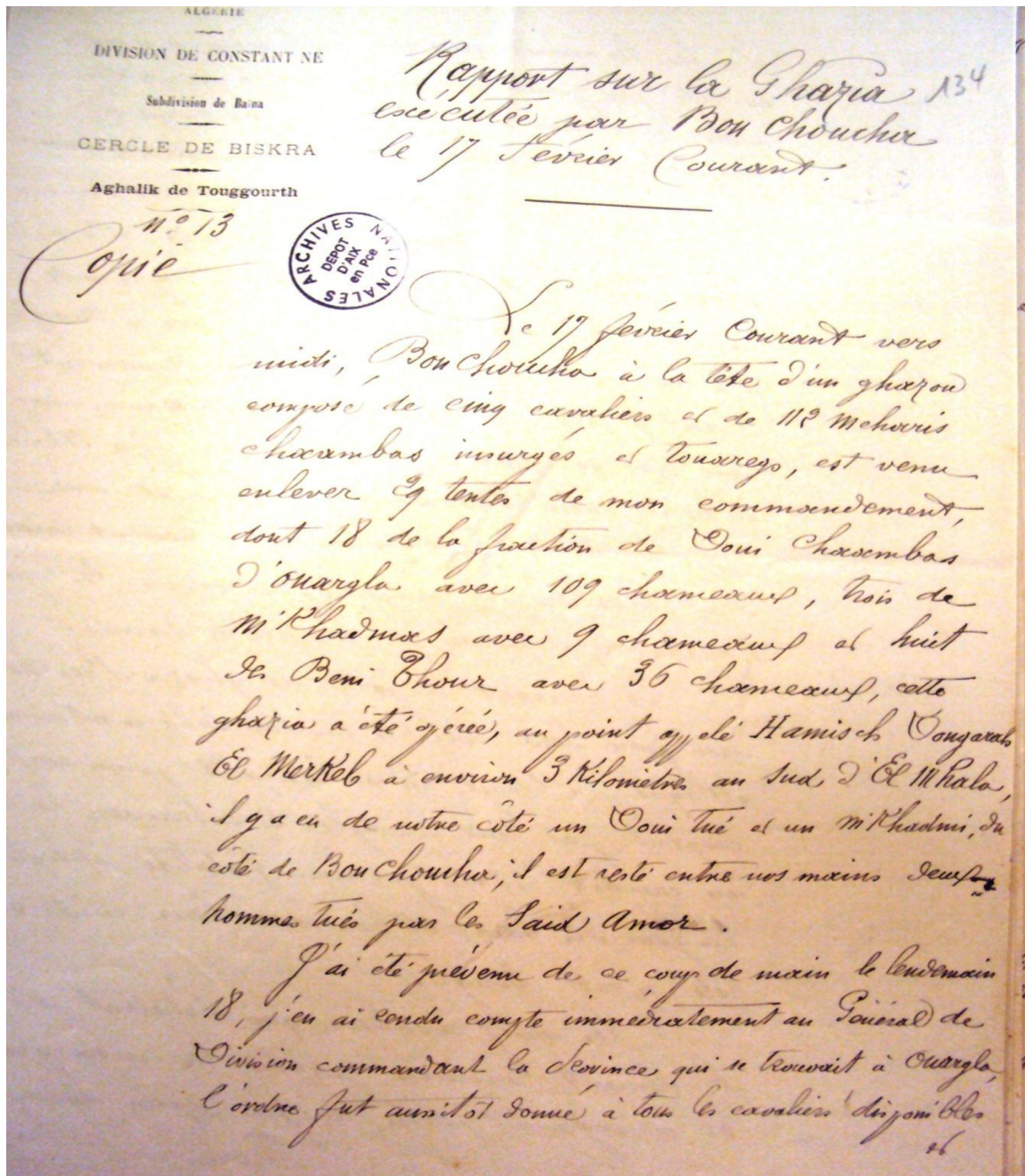
1*



¹ Le Radical : Un Echech Du Souf, N° 423, 4éme Année, 4 Avril 1874.

الملحق رقم (26)

1*



¹ Rapport Sur la Ghazia exécutée Par Bouchoucha Le 17 février 1873, A.O.M 2 H 84.

bande de bigaouds, en donnant pour cause que
 les chameaux n'étaient pas de sa tribu, je regrette
 beaucoup que ce jeune caïd que j'estime tant précédemment
 soit cause de cette étroite, s'il avait marché Bon Chouha
 était à nous.

Le caïd El Binnati et le caïd El Horma sont
 restés en arrière avec le H. Mehari parqu'ils sont ennemis
 de gens ghazis, je laisse à votre disposition le blâme ou la
 punition que vous jugerez à propos d'infliger à ces deux caïds,
 en attendant je vous prie de leur écrire à chacun une
 lettre pour leur dire que s'ils se conduisent bien dans la
 prochaine sortie, pour laquelle je demande l'autorisation
 au Général par une lettre dont je vous envoie copie en-
 jointe, vous leur oublierez cette faute, sinon ils seraient
 irrévocablement destitués.

Bon Chouha est armé d'un chasse pot, c'est lui
 qui a ouvert le feu, il menage sa munition, pendant toute la
 durée du combat il n'a tiré que six fois.

J'ai beaucoup de confiance dans mes gens, mais surtout
 que les insurgés ont tué deux de leurs frères.

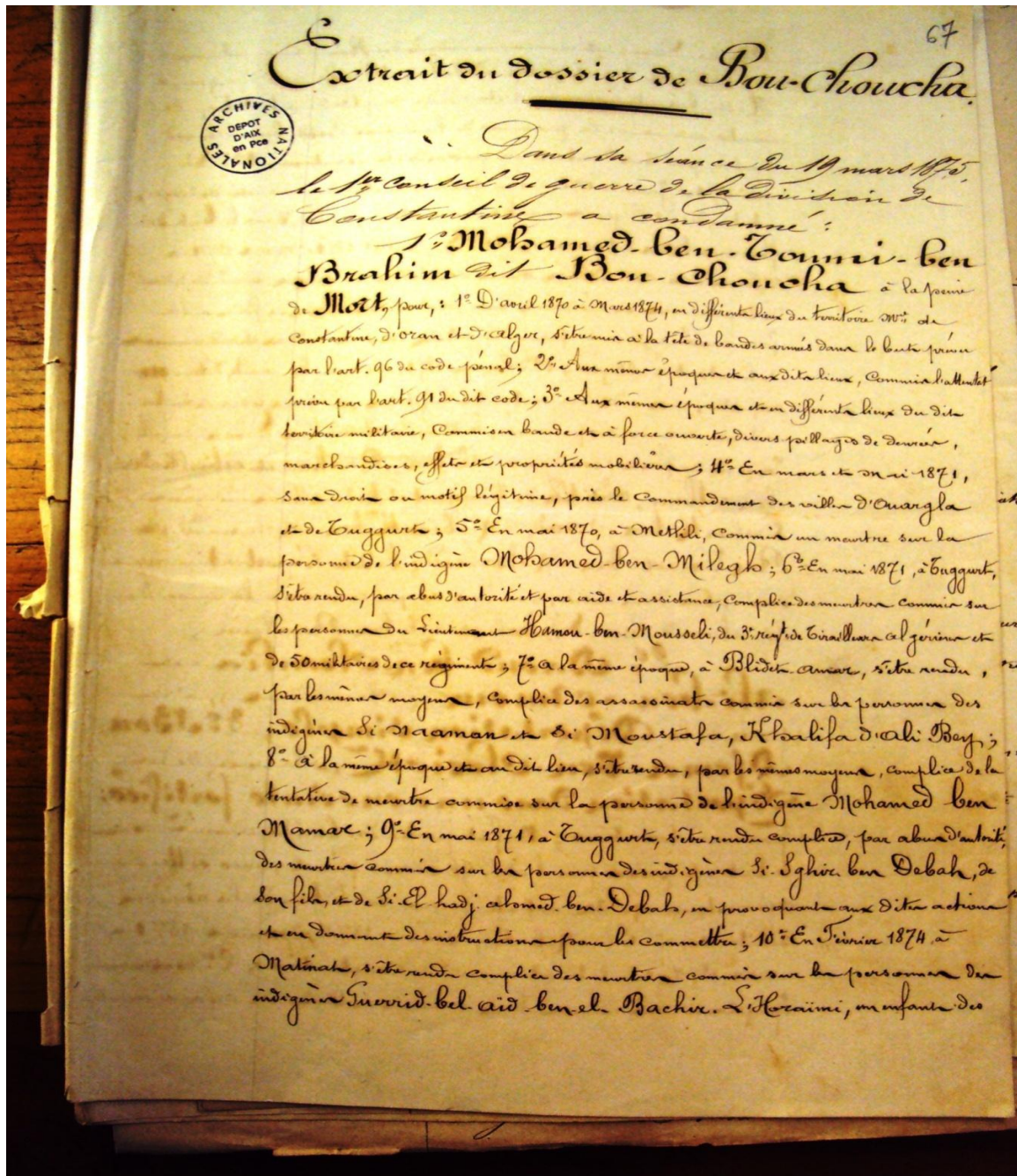
Je vous prie, mon Commandant, de porter à la connais-
 sance de l'autorité, la belle conduite de mon frère Saïd
 et de cavalier qui l'accompagnait, car déjà en d'autres
 circonstances ils ont bravement fait leur devoir et
 risqué leur vie.

Bougysourth le 22 Janvier 1875

— L. Agha —
 Moh. Ben Dji

الملحق رقم (27)

1*



¹ Extrait du dossier de Bouchoucha, N° 67, A.O.M, 2H84.

الملحق رقم (28)

1*

Texte français : 5 c le numéro. — 27^e Année. — Texte arabe : 10 c. le numéro.

CONDITIONS D'ABONNEMENT

TEXTE FRANÇAIS (seul)
Algérie.
Six mois..... 9 fr.
Un an..... 16 fr.

France et Étranger
Six mois..... 10 fr.
Un an..... 18 fr.

TEXTE ARABE (seul)
Algérie.
Six mois..... 5 fr.
Un an..... 10 fr.

France et Étranger
Six mois..... 8 fr.
Un an..... 15 fr.

Les abonnements comptent à partir du 1^{er} et du 15 de chaque mois.

LE MOBACHER

JOURNAL OFFICIEL

PARAISANT TOUS LES JOURS

EXCEPTÉ LE LUNDI

Le numéro du Samedi, renfermant les faits intéressant spécialement les indigènes, sera seul traduit en arabe.

CONDITIONS D'ABONNEMENT

TEXTE FRANÇAIS ET ARABE (ENSEMBLE)
Algérie.
Six mois..... 12 fr.
Un an..... 20 fr.

France et Étranger
Six mois..... 15 fr.
Un an..... 24 fr.

PRIX DES INSERTIONS
Texte français, la ligne de trente lettres en caractères petit roman..... 0 15
Texte arabe, la ligne de trente-huit lettres en caractères sept et demi..... 0 15

Mercrredi, 30 juin 1875. El-Irba, 26 Djoumada-premier 1292.

Tout ce qui concerne la rédaction et l'administration doit être adressé au bureau du MOBACHER, rue Bruce (ancien palais du Sous-Gouvernement).

N° 1106

On s'abonne chez MM. les Receveurs des Contributions diverses de l'Algérie, ou par un mandat sur la poste, adressé à M. le Receveur des Contributions diverses d'ALGER (ville), rue Saint-Vincent de Paul, n° 10.

PARTIE OFFICIELLE

Naturalisation en Algérie

Par décret présidentiel, du 20 mai 1875, contresigné par M. le Ministre de la justice, sont admis à jouir des droits de citoyen français, conformément aux dispositions du Sénatus-consulte du 14 juillet 1865, les étrangers dont les noms suivent :

Département d'Alger.
1. Chemmama (Issac), Tunisien demeurant à Alger.

PARTIE NON OFFICIELLE

Bourse de Paris
Du 29 juin 1875.

DERNIER COURS AU COMPTANT

Rente 3 0/0.....	64 05
— 4 1/2 0/0.....	94 25
Emprunt.....	103 95

CIRCULAIRE

résultat d'en conférer la propriété pleine et entière aux départements ou aux communes, sous la seule réserve de la remise à faire par le Domaine.

Toutes les fois donc que cette remise n'aura pas été faite, il y aura lieu de l'effectuer conformément au mode prescrit par l'article 2 de l'arrêté préliminaire du 4 novembre 1848.

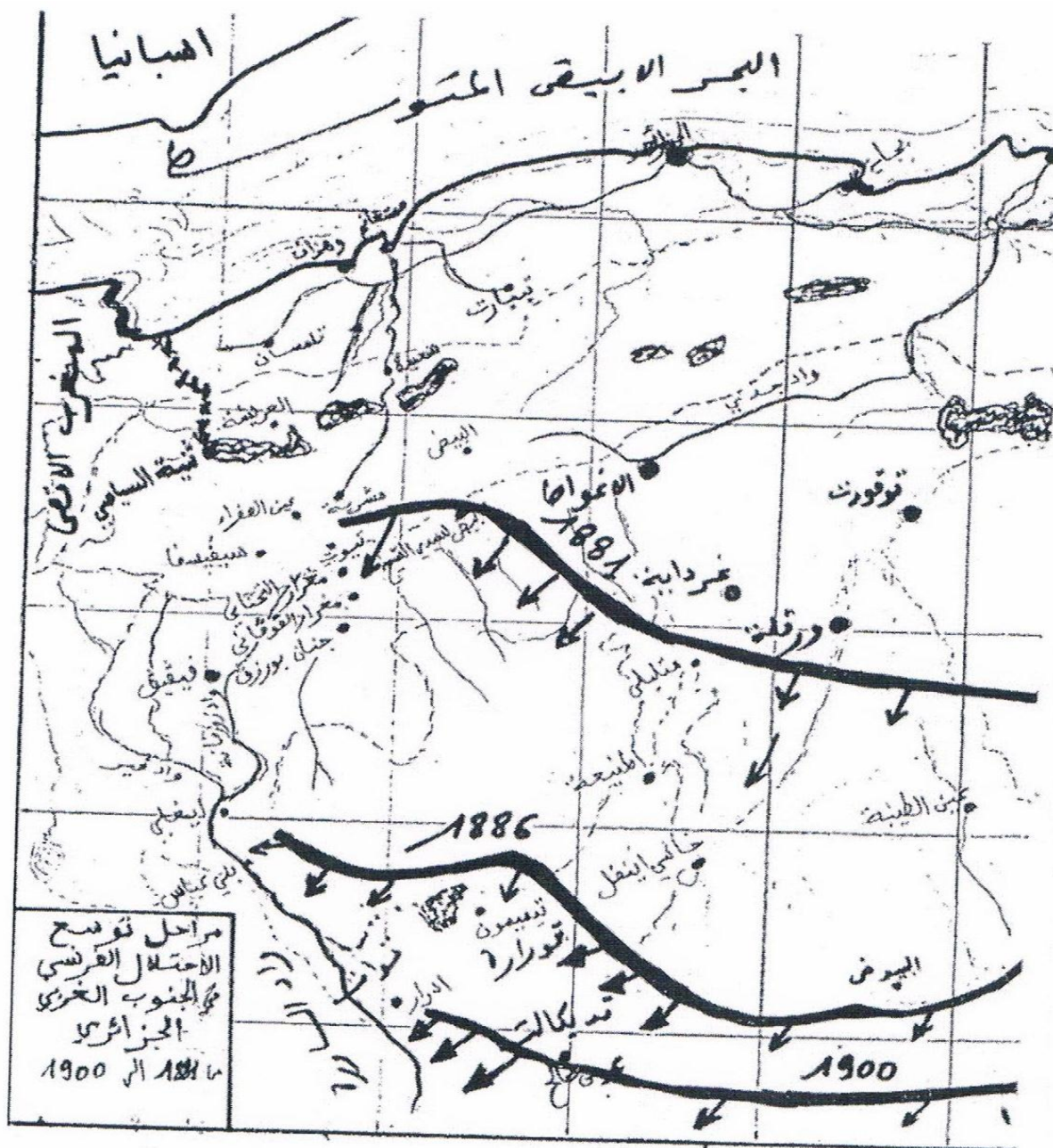
Des instructions ont été adressées dans ce but au Directeur des Domaines de votre département.

Quant aux immeubles urbains ou ruraux qui sont soit occupés en vertu d'affectations postérieures la promulgation de la loi de 1831, soit réservés

¹ Le Mobacher : Exécution à Constantine du Faux Cherif Mohamed Ben Toumi Ben Brahim Dit Bouchoucha, N° 1106, 27^{ème} Année, 30 Juin 1875, A.O.M, 2H 84.

الملحق رقم (29)

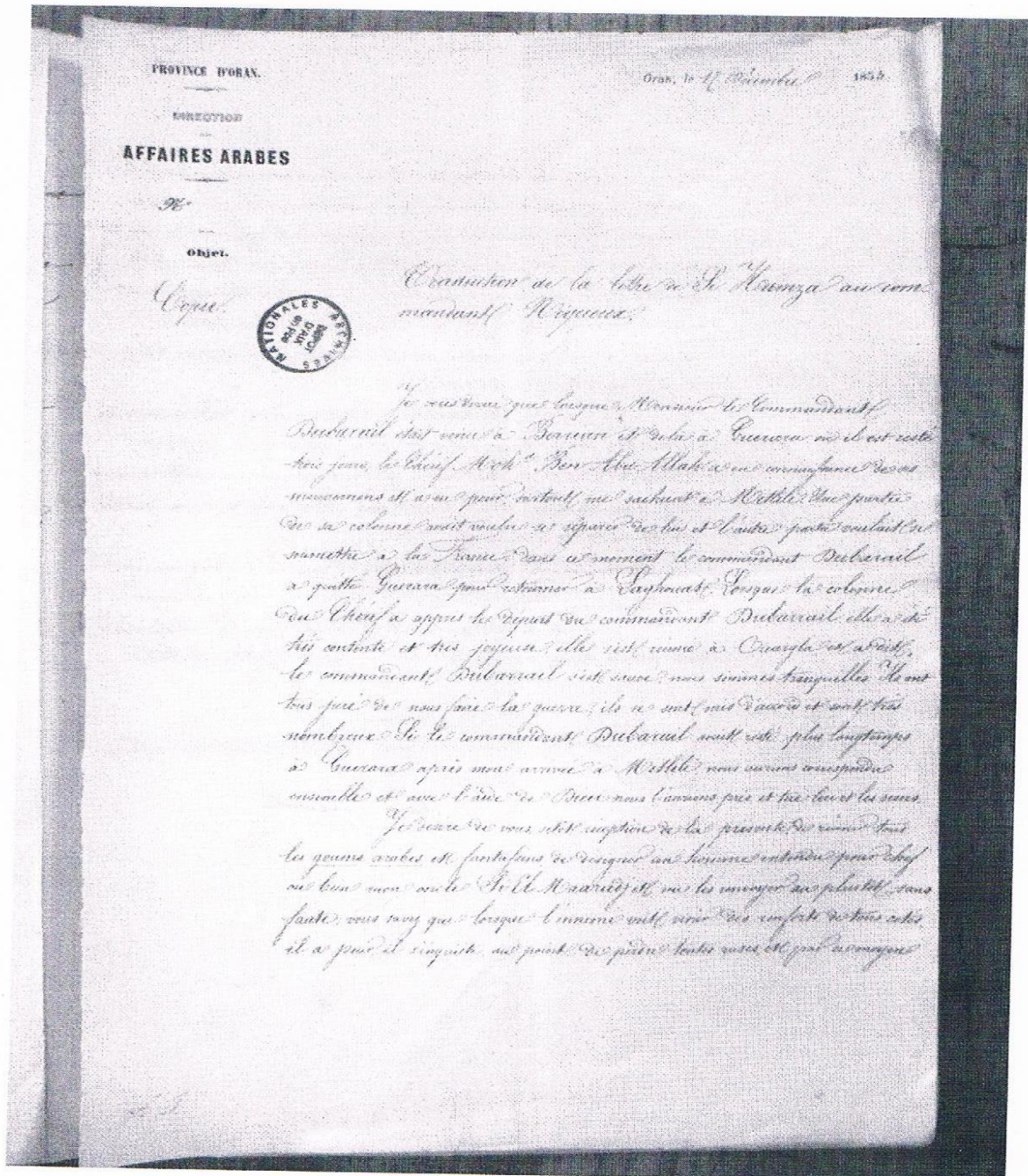
مراحل توسع الاحتلال الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري من 1881 إلى 1900⁽¹⁾.



(1) إبراهيم مياشي: توسع الاستعمار، المرجع السابق، ص 214.

الملحق رقم (30)

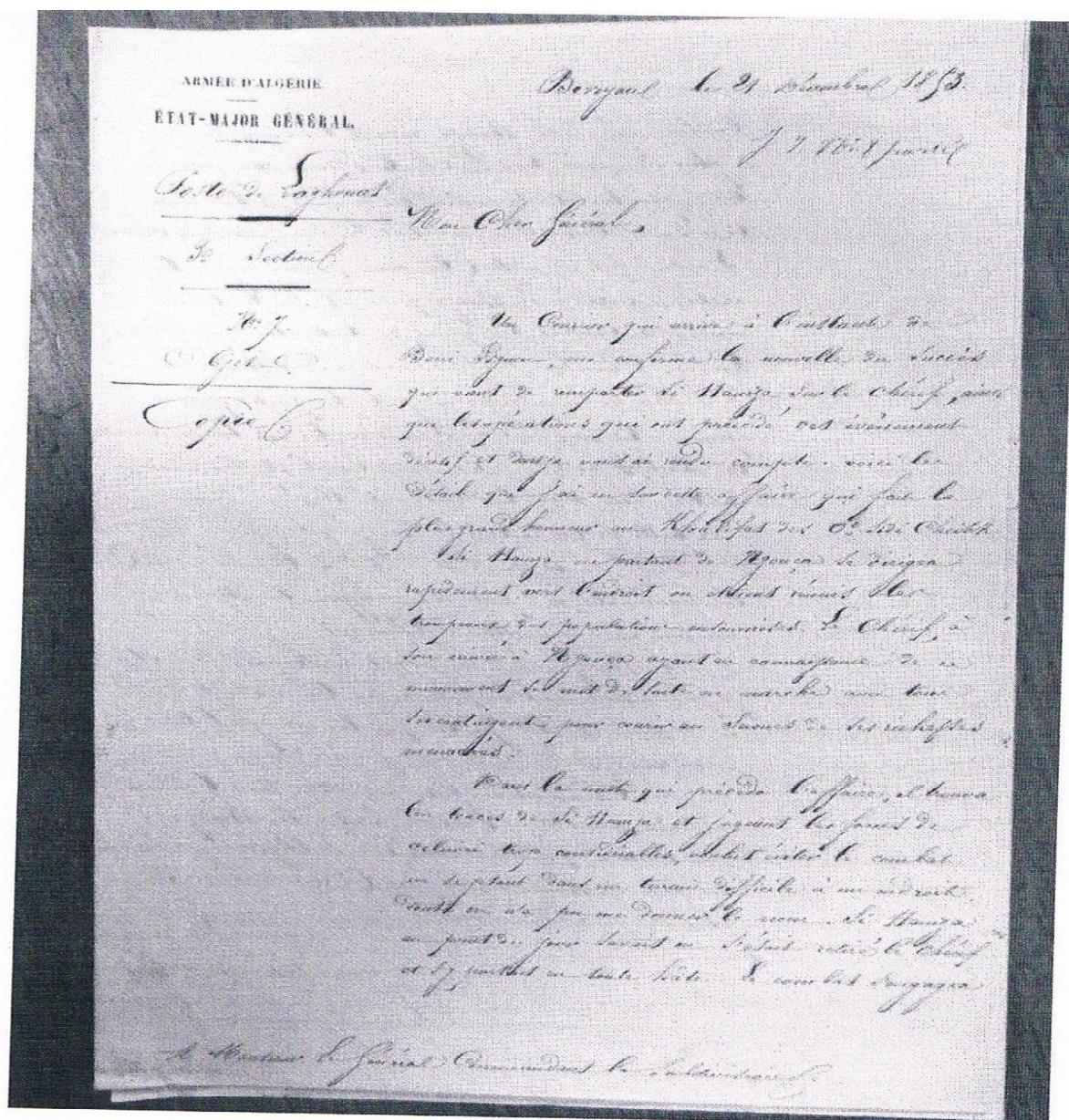
ترجمة رسالة سي حمزة إلى الرئد نيقو مؤرخة بتاريخ 26 نوفمبر 1853⁽¹⁾.



⁽¹⁾ A.O.M, 1H 10.

الملحق رقم (32)

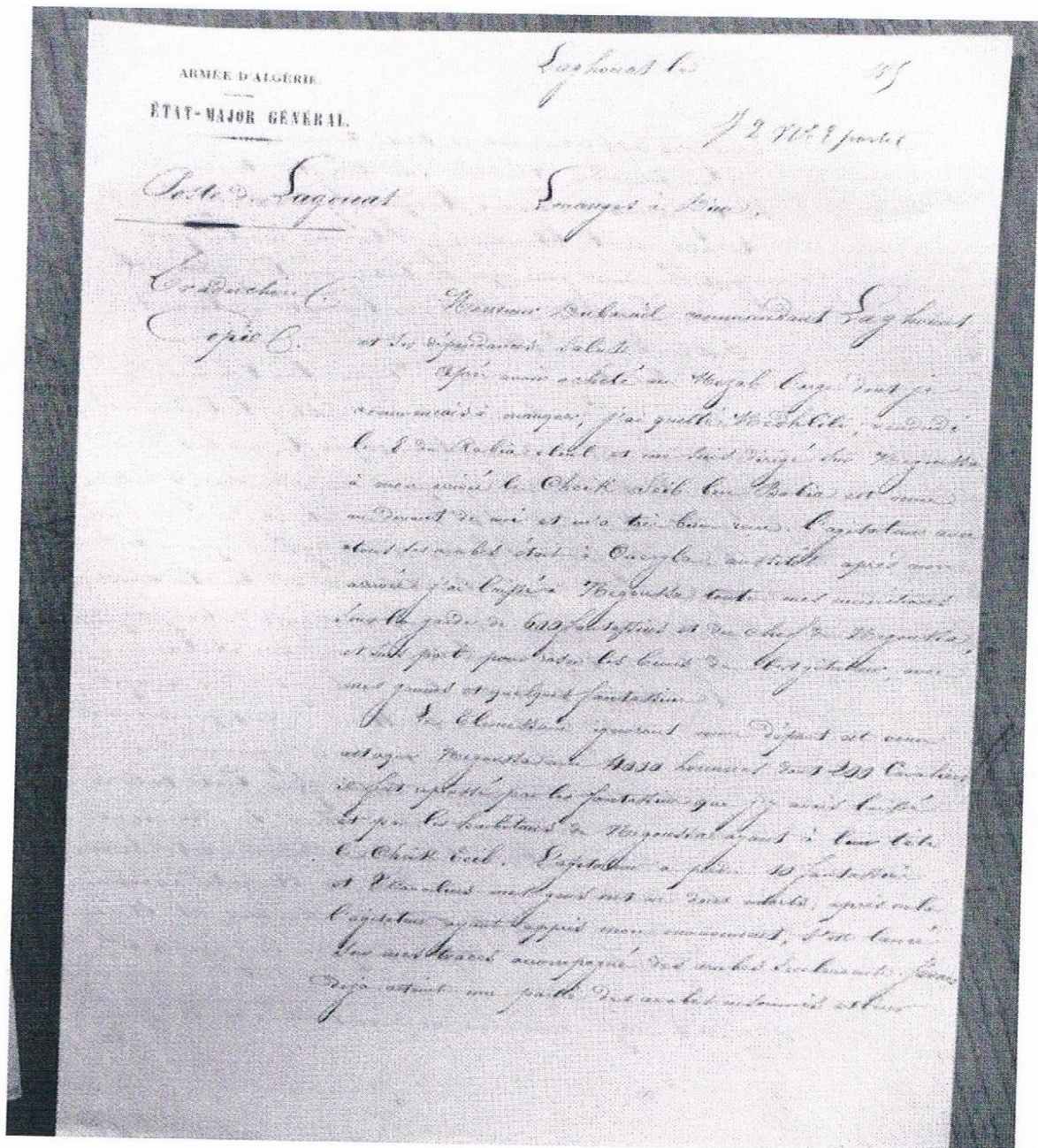
تقرير رقم 7 مؤرخ بتاريخ 21 ديسمبر 1853 يتضمن معلومات عن ملاحقة سي حمزة
للشريف ابن عبد الله (معركة بالقرب من نقوسة)⁽¹⁾.



(b¹) A.O.M, 2H 22.

الملحق رقم (33)

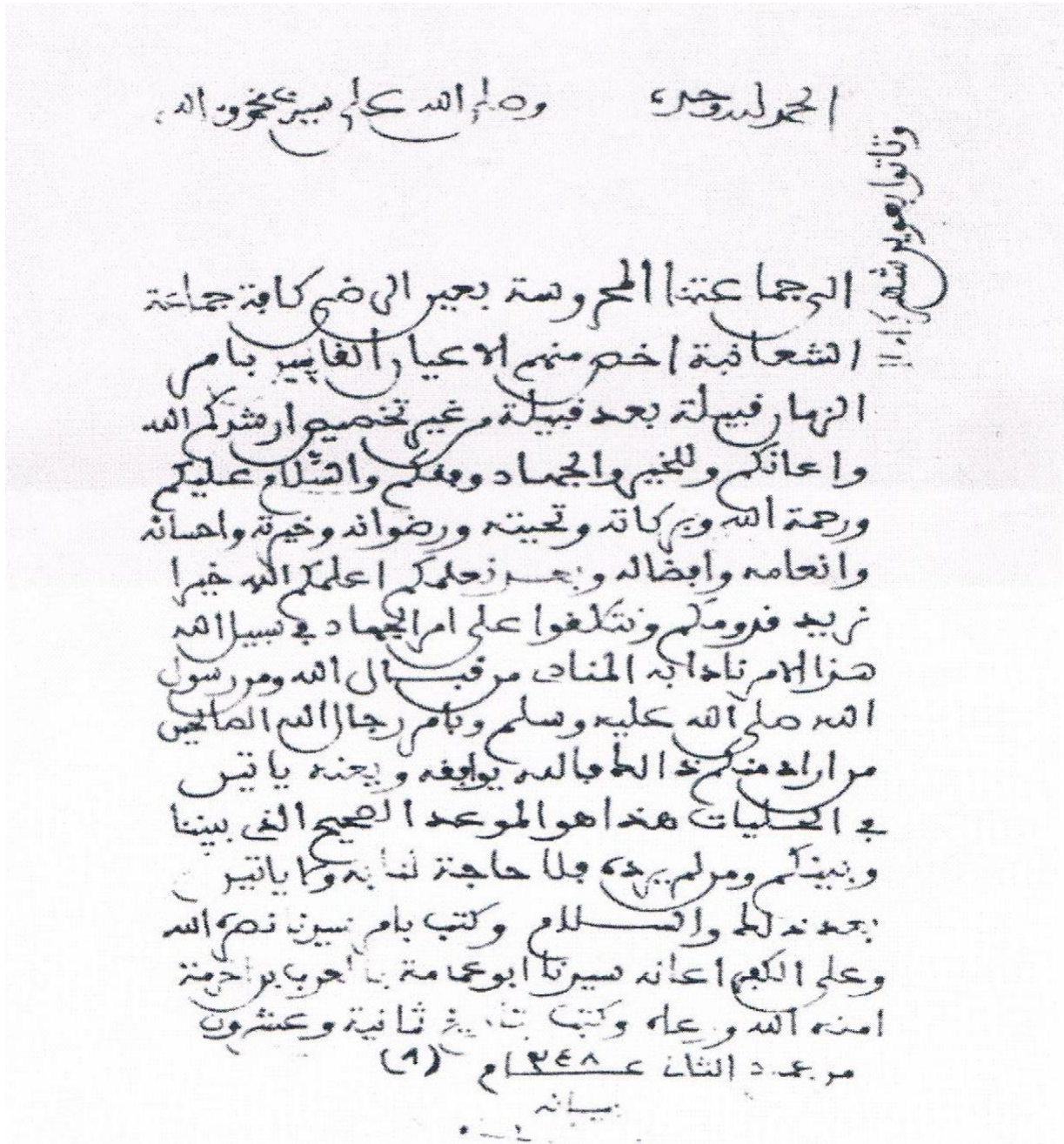
تقرير يتضمن ترجمة لرسالة سي حمزة عن ملاحظته للشريف محمد بن عبد الله قرب
نقوسة وورقلة وبعض معارك المنطقة⁽¹⁾.



⁽¹⁾ A.O.M, 2H 22.

الملحق رقم (34)

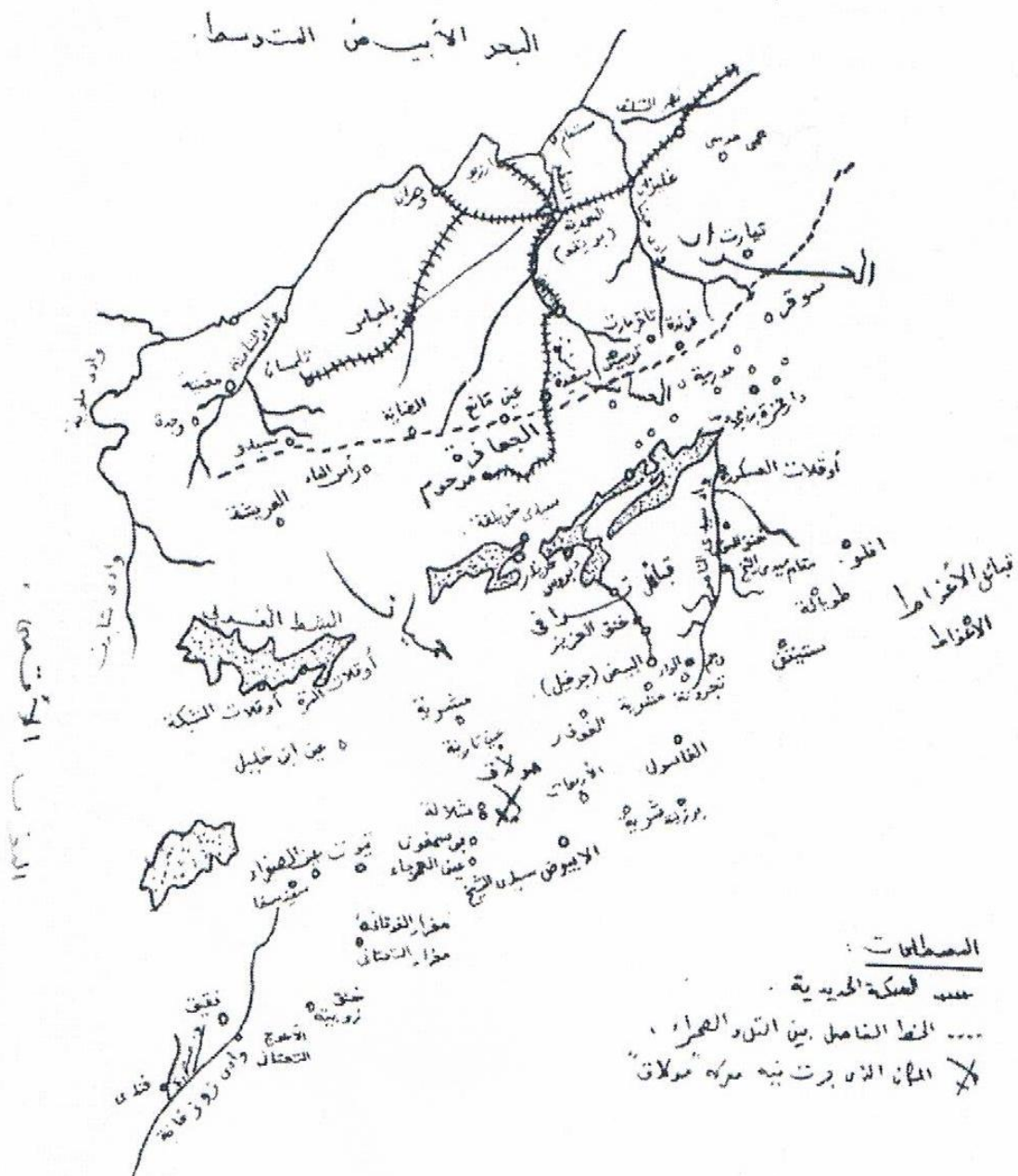
نداء بوعمامة إلى شعانية متليلى للجهاد⁽¹⁾.



(1) عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة 1881-1908، ج 1، المرجع السابق، ص 48.

الملحق رقم (35)

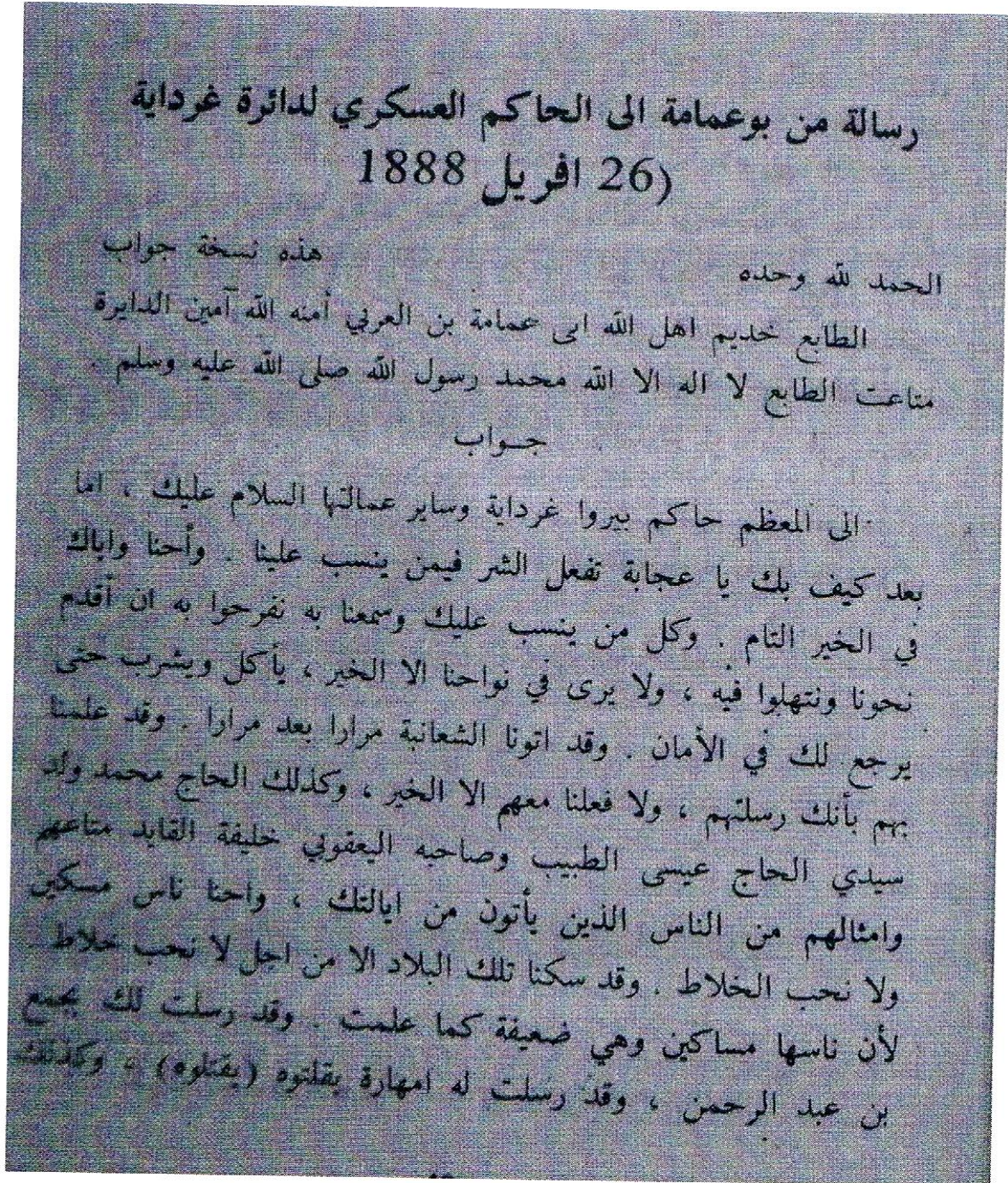
معركة مولاق⁽¹⁾.



(1) عبد الحميد زوزو: أضواء على حركة بوشوشة، المرجع السابق، ص 86.

الملحق رقم (37)

رسالة من بوعمامة إلى الحاكم العسكري لدائرة غرداية (26 أفريل 1888)⁽¹⁾.



(1) الأرشيف الفرنسي لما وراء البحار الواقع في مدينة بروفانس (فرنسا)، علبه رقم 30، ملف 79.

الملحق رقم (38)

الإجابة عن الرسالة.

الحمد لله وحده
هذا نسخة جواب
الطابع خد مع أهل البيت اية عماد العربية أئمة الله
الدايرة شاعت الطابع ١٢٧٢ لله الحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
جواب
التي المعظم حاكم بني واعر داية رسا من عمالها السكام عليك السلام
وكم يا عمادية تفعل البشير بغير نسب علينا. وأما وأبلك في الخمس الناع وكم
بنسب عليك وسعدنا به سمعوا به أرا فندم بخودنا ونتملوا فيه وأما
في نواحينا (١٢) الخمس ياكل ويشرب حتى يجمع لك في (١٢) ما وقد اتونا الشجاعة
مرارا بعد مرارا وقد علمنا بهم بانك رسالتهم وأما وكمنا معهم (١٢) الخمس
وكذا لك الحاج محمد ولد صبيد في الحاج عيسى الخليل وصاحبه اليه عفو
خليعة الفايه منا عهم وأما شامع من الناس الذين ياتون في أيا لك وأما
نامر سكبر (١٢) في الخلاط وقد سكت تلك البكاد (١٢) ما جل كات في خلاط
٢ فاسمها مساكبر وهي ضعيفة كما علمت وقد رسلت لك بجمع من عداكم حملة
وقد رسلت لهم أمهات يغفلون وكذلك رسلت مئة أخرى وردهم الناس
ورجع عاريل وأما وأما في ثنية نزعها الناس ويقدم عند فاكل
وأحد مرس حته لها يعض صراخهم ويجمع سالما وأما تعرف ولد وأنت
راكي تفكر من ينسب علينا ومروصلنا وأنت راكي الشياخير والخالين
واليوم تفكر عشرة شهر مائة وأما وأما عندنا حبيب (١٢) الكلام يسي
الذي يبعوه الخلاله ينوطه بفرضون بيننا وبينك لكي ينوحوا شواش
واليوم أنت خير لك فمعل عن الامم بانك حبيب الخلاله وأما كما تنعوه
بفيه ونعلم وأما الحكام الكبار التي بيننا وبينهم الكلام وما علمنا
بمنا الكلام (١٢) في الحب والعمامة وفلت التشواش وأما أنت التي
في هذا الامم تفكر من ينسب علينا بالكفة وتاخذ رأي الخلاله فيهم
الناس الذين ينوحوا شواش وتحميه علينا وأنت التي رسلت (١٢) عن
على الكذب والسدحة فدوم العمامة وانزل في الطاعة وأما وأما
شعب (١٢) كرام نعلموا الحكام الكبار والسكام: من الخداه في حسامة
العربية الحكومة واسم
الله وأما

الملحق رقم (39)

رسالة من بوعمامة إلى سي قدور بن حمزة - رئيس أولاد سيدي الشيخ الشراقة

بتاريخ (ماي - جوان 1888)⁽¹⁾.

رسالة من بوعمامة الى سي قدور بن حمزة - رئيس اولاد
سيدي الشيخ الشراقة
بتاريخ (ماي - جوان 1888)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله
الحمد لله على سلامتكم وعفيا نكم ، والحمد لله على هذه السعة
التي انتم فيها هانئين . اخينا سيد قدور بن سيدنا حمزة . وعليك السلام
والرحمة والبركات تعملك وتعم جميع من هو منك فاليك . اعلمك الله
خير وعافية فان الابرار متقاتلين بينهم ايات واحليم . والمخزن عندهم .
وكذلك المخزن عند سيد محمد العرب من اجل الكفار قالوا لمولي
الحسان لا نؤمن في سيد محمد العربي (1) الا اذا تضمنه أنه متفق مع
سيد قدور بن حمزة وابو عمامة لا بد لك ان تضمنه ، فصرف له المخزن
ستين عود باقية عنده . ومولى الحسان ازال (2) باساقيت الحمر وولد
موسى ازال في العداوت مع السلطان على سد محمد بن عبد الله القندصي
صرف له السلطان بالقدوم فأب ، وبني حتى سمع بان السلطان قدم

(1) عبد الحميد زوزو : ثورة بوعمامة، ج2، المرجع السابق، ص ص 53-56.

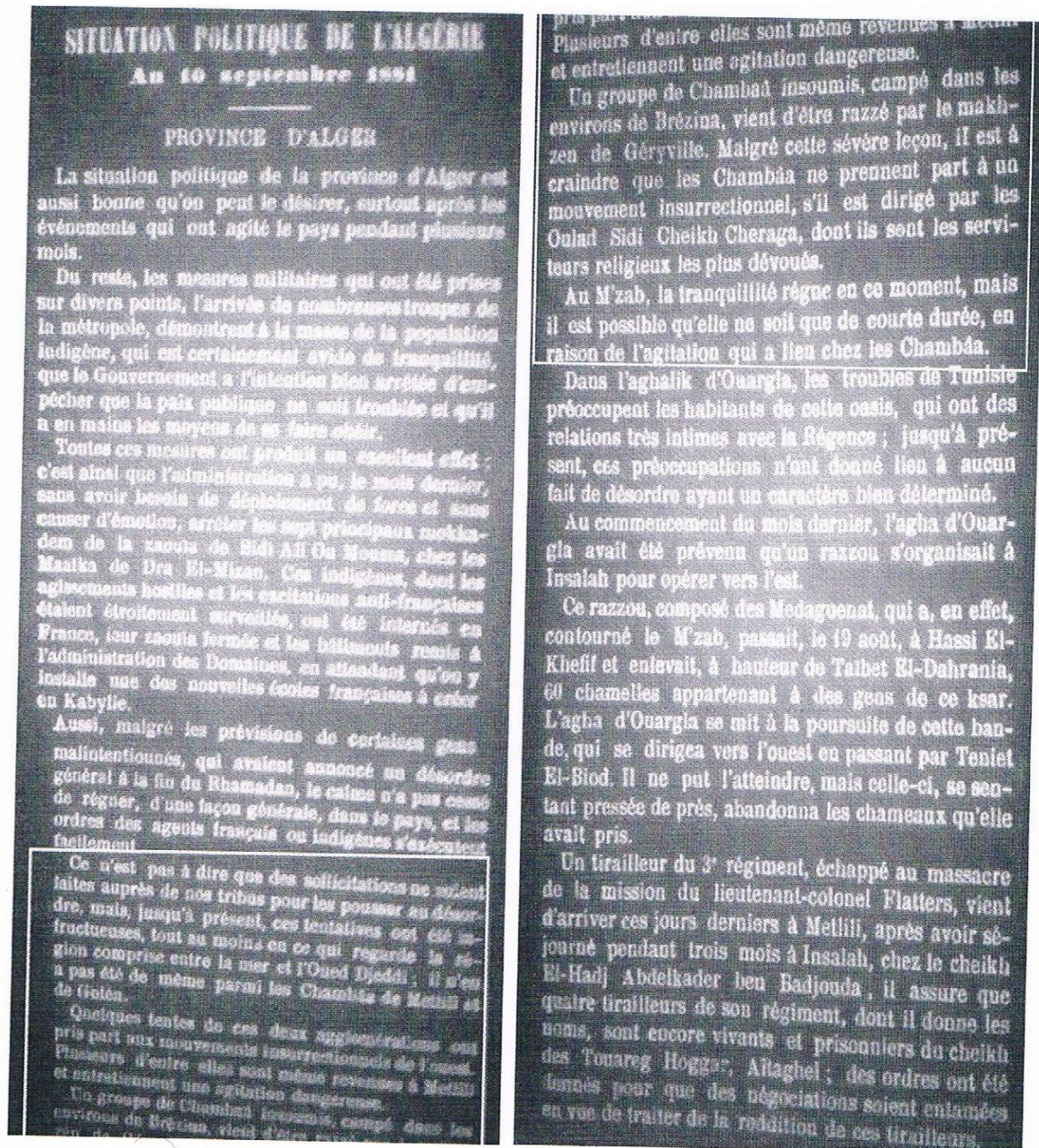
الملحق رقم (40)

1. The first step is to identify the problem or question that needs to be answered. This involves understanding the context and the specific requirements of the task.

مسودة الدستور التي أرسلتها إلى الرئيس في 8 نوفمبر 1899 (1)

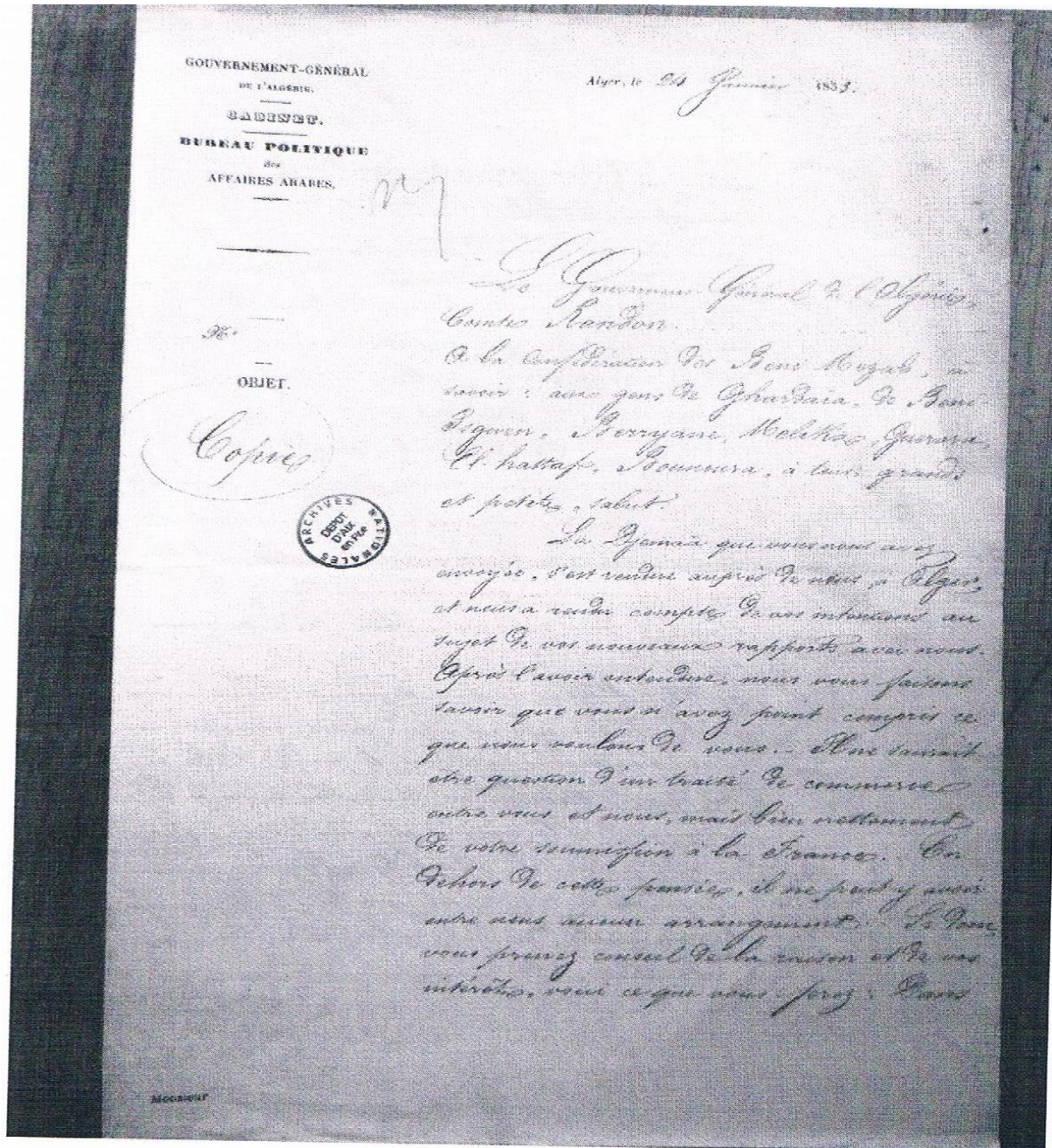


الملحق رقم (41)

شعانية متليلى في طليعة القبائل الثائرة سنة 1881⁽¹⁾.

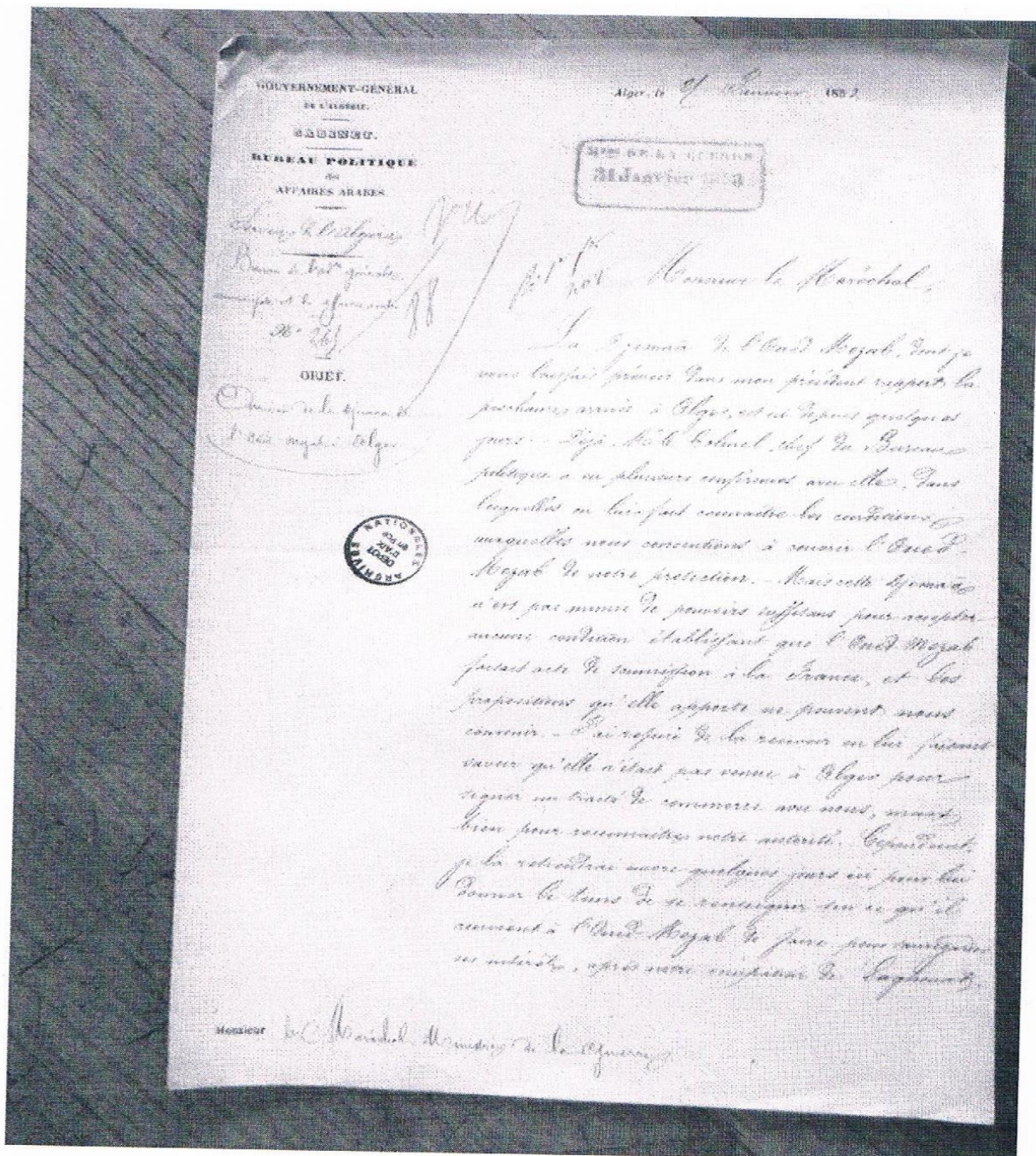
⁽¹⁾Couverttement Générale de l'Algérie : Situation politique de l'Algérie au 10 septembre 1881, ANOM, 18 MI 91.

الملحق رقم (42)

انتشار قبيلة الشعانية في شمال الصحراء الجزائرية⁽¹⁾.⁽¹⁾A.O.M, 1H 10.

الملحق رقم (43)

تقرير رقم 265 المؤرخ في 21 جانفي 1853 يتضمن معلومات عن استعداد بني ميزاب لتوقيع اتفاقية الحماية الذي قبلوا بشروطه⁽¹⁾.



⁽¹⁾ A.O.M, 1H 10.

الملحق رقم (45)

جدول يوضح أهم العمليات التي شارك فيها شعانية بوعمامة ضد الفرنسيين أو المتعاونين معهم بين سنتي 1894 - 1897⁽¹⁾.

التاريخ	عدد المهاجمين	المكان	النتائج
1 ماي 1894	30 شعانيا	-----	نهب 30 جملا للتوارق
26 ماي 1894	7 شعانية	وادي محيقن	نهب 40 جملا لسعيد عتبة
جويلية 1894	25 شعانيا	تابلبالة	نهب 200 جملا للتوارق
7 سبتمبر 1894	50 شعانيا	حصن مكماهون	نهب 93 بقرة و 377 شاة
8 سبتمبر 1894	50 شعانيا	حاسي بوخنفوس	قتل 5 جنود فرنسيين، نهب 600 جمل و 4000 فرنك
17 ديسمبر 1894	8 فرسان مهاري تابعين لبوعمامة	بوشاوشة (جنوب تاجرونة)	150 جمل لأولاد يعقوب
أفريل 1895	60 من الشعانية، الزوى والجرامنة	أوهان (بن غات وغدامس)	نهب 700 جمل و 20 عبدا للتوارق.
4 أفريل 1895	12 شعانيا	الفج (شمال المنيعه)	نهب 35 جملا من فرقة شعانية المواضي
4 ماي 1895	60 من الشعانية، الزوى والجرامنة.	الاييوز	قتل المستكشف فورو واثنين من مرافقيه
فيفري 1896	12 شعانيا	بين تيط وإينغار	نهب 200 جملا من أولاد زينان
13 فيفري 1896	-----	مور لشهب (البيض)	نهب 12 جملا من أولاد سيدي الحاج الشيخ-العرباوات

⁽¹⁾ H.M.P. de La Martinière et N. Lacroix : Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest African., t3, pp 36-39.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

01-المصادر بالعربية

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1. إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر، 1982م.
2. اطفيش أحمد بن يوسف: رسالة الرد على إلحاق وادي ميزاب والاعتراض على تعديل قانون الملكية العقارية بالجزائر، تح: فتيحة يطو، جامعة النيلين، السودان، 2006.
3. اطفيش محمد بن يوسف: الرسالة الشافية في تاريخ بني ميزاب، طبعة حجرية، 1908م.
4. الأغواطي ابن الدين : رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين، تخ: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
5. بن أيوب إبراهيم: قضية قانون الأهالي، مطبعة Rorgis، د.ط، سكيكدة، الجزائر، 1903م.
6. بن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط 1421هـ/2000م.
7. بن ساسي العوامر إبراهيم بن محمد: الصروف في تاريخ صحراء واد سوف، تع: الجيلالي ابراهيم العوامر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977م.
8. بن عمارة خليفة: السيرة البوكرية، تر: محمد قدوسي، ج1، مكتبة جودي مسعود، وهران، 2002م.
9. بن عمارة خليفة: سيدي الشيخ شخصية خارقة للعادة، تر: بوداود عمير، مكتبة جودي سعيد، الجزائر، 2011.
10. بوبكر حمزة: سيدي الشيخ الصوفي الجزائري، تر: محمد حسين آل سيدي الشيخ، دون ط، دون ت.
11. تروملي س. : الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية، تر: محمد المعراي، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
12. الحشائشي محمد بن عثمان: رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895م، تح: علي مصطفى مصراقي، دار لبنان، بيروت، 1965م.
13. رين لويس : تاريخ إنتفاضة 1871م في الجزائر، تر: مسعود حاج مسعود، دار الرائد، الجزائر، 2013م.

14. السعدي عبد الرحمن: تاريخ السودان، تح: هوداس، المدرسة الباريسية لللسنة الشرقية، باريس، 1981م.

15. هاليت روبين: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1988م.

02-المصادر بالأجنبية

1- Abou Zakaria : **Chronique d'Abou Zakaria** ,Trad :Emile Masqueray ,Imprimerie de L'association Ouvrière V. Aillaud et Cie ,Alger ,1878 .

2- Amat Charles : **le M'Zab, les Mozabites**, Challamel et C^{io} éditeurs ,Paris ,1888.

3- Baugault :**Metlili Berceau de Chaamba** ,Paris ,1986.

4- Baunard Mgr :**Le cardinal lavigerie** ,2Tomes ,Librairie.ch.Poussielgue,Paris1896 .

5- Ben Youb Blidi Brahim: **De l'Indigénat son application aux Mozabites**, Imprimerie Administrative et Commerciale Moderne, Philippeville 1903.

6- Bernard Au gustin et La Croisc :**Historique De La Pénétration Saharienne, giralt Tmprimieur phograveur** ,Alger ,1900.

7-Charles Hallencourt : **La Croix et l'épée. Vie illustrée du général de Sonis** , C. Paillart, Imprimeur, édition Abbeville , 1893.

8- Coÿne A. : **le Une Ghazzia dans Grand Sahara** ,Adolphe Jourdan Libraire – Éditeur , Alger ,1881.

9-d'Hallencourt Charles: **La Croix et l'épée Vie illustrée du général de Sonis**, C. Paillart Imprimeur- Editeur, Abbeville 1893.

10- Duverier Henry :**coup d œil sur les pays des Béni M Zab et sur Lelui des Chaamba Occidentaux Bull** ,social géographie ,de Paris ,1859 .

Éditeur, Paris, 1885.

11- Ernest Mercier : **Algérie et les questions algériennes**, par Ernest Mercier (31mai 1882) (2) paris 1883.

12- Eugene Daumas : **Le Sahara Algérien** , Dubos frères à Alger ,1845

- 13- Eugène Dumas : **Le Grand Désert ,Qu'itinéraire D une Caravane du Sahara au pays des Nègres** royaume de Haoussa , Imprimerie et librairie centrales de Napoléon. Chaix et Cie, ,1848.
- 14- Fillas Archilles, **l'insurrection des oulad sidi cheikh en 1864 (recit militaire)**, Alger, 1889.
- 15- Gaffarel Paul : **L'Algérie: Histoire, conquête et colonisation**, Libraire De Firmin-Didot et Cie, Paris, 1883.
- 16- Garrot Henri : **Histoire générale de L'Algérie**, Imprimerie p.crescenzo, Alger, 1910.
- 17- J- Barbier : **Géographie Militante, Voyages Et Exploration, Le Rôle De La Femme Dans La Géographie, Les Voyageuses**, Bulletin De La Société De Géographie De L'est, Tome XVII, Nancy, 1895.
- 18- Le Commandant Robin : **le M'Zab et son annexion à la France**, Adolphe jouran libraire- éditeur, alger1884.
- 19- Le Général Innocenti : **Insurrection du Sud-Oranais en 1881. Bou-Amema et le colonel Innocenti**, Téqui libraire éditeur, Paris, 1993.
- 20- Lehuraux: **Les Auxiliaires De L'Armée (Goum Et Makhzens Algériens)** L'Armée D'Afrique N° 54, 6ème Année 1929.
- 21- Lieutenant D'armagnac : **Le Mzab et les pays Chaamba** ,Edition Braconnier 1933.
- 22- MacCarthyOscar : **GéographiePhysique Economique et Politique de l'Algérie**, Dubos Frère Imprimeur –Editeur ,Alger 1958 .
- 23- Mandeville. G : **l'Algérie méridionale et le touat, au gustin challamel** édition, paris 1898.
- 24- Mario Vivarez : **Au Sujet Du Touat**, Librairie Michel Ruff, Alger, 1896.
- 25- Mgr Baunard : **Le Cardinal Lavigerie**,2 Tomes ,Ch.Poussielgue ,Paris 1896.
- 26- Passager.Paul Français, Michel. : **Metlili des Chaambas (Sahara Algeria)**, centre de documentation Saharienne ,sans date.
- 27- Paul Vuillot: **L'exploration du Sahara étude historique et géographique**, Augustin Challamel Editeur, Paris 1895.
- Randon:**MémoiresDu Maréchal Randon**, 1er Tome, Typographie Lahure, Paris, 1875.

- 28- Roy. J-J-E : **Histoire De L'Algérie Depuis Les Temps Les Plus Anciens Jusqu'à Nos Jours**, 4ème é, Alfred Mame Et Fils, Tours, 1880.
- 29- Solleillet Paul : **Avenir de la France en Afrique** , CHallamel aîné Editeur ,Paris ,1876.
- 30- Solleillet Paul: **Voyage De Paul Solleillet d'Alger à l'oasis d'in-Salah** ,Typographie et Lithographie. A Jourdan, Alger, 1875.
- 31- Trumelet- C : **Histoire de l'insurrection des Oulad-Sidi-Echikh (sud-Algérien) de 1864 a 1880**.
- 32- Trumelet C. : **Études sur les régions sahariennes histoire de l'insurrection d'Alger ESC 1864**, (Alger,1879).
- 33- Trumlet -C : **Histoire De L'insurrection Dans Le sud De La prvince DAlger En 1864** ,Adolphe Jour Dan Imprineur Libraire , Alger ,1879.
- 34- Trumlet. C : **Les Français dans le désert, Challamel Aîné**
- 35- Wolff Henri, et A Blachère : **Sahara et Soudan : les régiments de dromadaires**, Challamel Ainé, Editeur, Paris1884

2-1 الوثائق الأرشيفية :

- 01- Bissuel : **Histoire De Biskra**, 2ème Partie Du 1 Aout 1856 Au 31 Décembre 1879. A.N.O.M, 10H43.
- 02- Cambon Jules: **Attaque de la colonne de reléve de fort – mac- mahon,rapport à mr le president du conseil minister de l' intérieur et des cultes**, N 2234 , Alger 14-9-1894, ANOM F80 1695.
- 03- Couvenement générale de l Algérie : **Situation politique de l Algérie** au 10 septembre 1881, ANOM 18 mai
- 04- Kleinknecht Chales: **Mis à jour de la Monographie de l'Annexe de Ghardaïa et du Poste de Metlili** Rapport à Mr le Ministre Résidant de l'Algérie et du Gouverneur de l'Algérie ,N383 , Ghardaïa 03/10/1956 ANOM OA 59, F32
- 05- Le General De Loverdo: **Dépêche Télégraphique**, N 316, Médéa: 08/09/1877, A. O,f1

- 06– Le Marechal de Mac-Mahon : **Amendes et indemnités insurrection de 1864**, correspondance à monsieur le maréchale ministre de guerre, 16/02/1865, FR, ANOM, F80/1679.
- 07– Sujet Des Relations Des Mouadhi avec les Insoumis, N° 955, A.N.O.M, 2H84.

2-2 الوثائق الرسمية :

1. Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie cinquième Année .1865.N:190.
2. Cambon Jules : **au signal le meurtre de chef d'une caravane de d'Ouled Sidi Cheikh**, correspondance à Mr le ministre de l'intérieur.
3. Deverier Henry: **Itinéraire de Methlili à Hassi Brghaoui et d'El-Golea'a à Metlili**, /In/ Bulletin de la Société de géographie, Librairie
4. Gouvernement General de l'Algérie :**Les Territoires du Sud de l'Algérie premier partie** .Alger 1929 .
5. Gouvernement Général de l'Algérie, **les territoire du sud de l'Algérie, historique des companies miharistes,1902- 1952, Alger**, Im pofficielle à Alger, 1955.
6. Gouvernement General de l'Algérie: **Les Territoires du Sud de l'Algérie** Première Partie. Ce qu'ils sont - Pourquoi ils ont été créés, Imprimerie Algérienne, Alger 1929.
7. H,Simon , " comment Bouchouche raconta un jour sen histoire " ,Bulletin de liaison Saharienne ,janvier 1955,N :19.
8. H.M.P. de La Martinière et N. Lacroix : **Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest African**, t3.
9. H-M-P .de la martinière et N.lacroix :**documents pour servir à l étude du nord – Ouest afeicain**,t2 .
10. Me le général de subdivision de Midés rapport sur l'eneration du M'zab et sur l'organisation politique et administrative de cercle de Ghardaia, rapport à Mr Gouverneur général d'Alger, Media : 26/09/1821.

11. Melia Jeam, **Ghardaïa quatrième mille**, paris, sans édition, sans date, le fonds de la bibliothèque centre de documentations sahariennes.
12. LE Mobacher : Exécution à Constantine du faux Cherif Mohamed Ben Toumi dit Bouchoucha, N° 1106, 27ème Année, 30 juin 1875, A.O.M, 2H84.

2-3 الكتب المصدرة من الوثائق والمقالات الأجنبية

- 01-Bevia -J :**Note pour servir a l historique d Ouargla** ,Revue Africain ,64 ,Ben Aknon , Alger 1923
- 02-Bevia: **Notes pour servir a l'historique d'Ouargla** ,Revue Africain ,64 ,Ben Aknon (Alger) ,1923 .
- 03-Edmond doutte :**Algérie l'islam Algérien en l'an** (France,1900) .
- 04-Féraud Charles : **Notes Historiques sur La Province de Constantine, Les Ben Djellab Sultans de Touggourt**, R.A N° 23, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1879
- 05-Graulle, E. : **Insurrection de Bou-Amama (avril 1881)**, Henri. Charles-La Vauzelle Éditeur militaire, Paris.
- 06-Louis Rinn ,Histoire de Linsurrection de 1871en Algérie, Alger ,1891.
- 07-Pria de l'abonnement ,le voleur ,n1259,19,aout, (paris, 1881).
- 08-Si Hamza Boubakeur : **Origines de la guerre du Sud-Oranais Contre la France, 1864-1900, Selon la version arabe, Revue d'Histoire Maghrébine, n° 6, Tunis 1976.**
- 09-vellard Père – **le Sahara histoire et mission – le fonds de la bibliothèque centre de documentation – saharienne – sans éditions – sans Dat – N 009700144 – sur le bémirpage s'est écrit des deys – je ne sais si tu connais ce texte du vellard mort en 1906 tu ne diras ce fut en puses Meri 1886.**

3-المراجع بالعربية

1. أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 2005.
2. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1860 / 1900)، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 2000.
3. بافوللو صالح بن داود يوسف: ميزاب بلد المعجزات، ط1، غارداية، الجزائر، 2015م.
4. بلّاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2010.
5. بن ولّة عبد الحميد مسعود: أبناء الشعانبة ومراحل التطور الحضاري لبلاد الشبكة سكانيا عقائديا وعمرانيا، دار الصبحي للطباعة والنشر، غارداية، الجزائر، ط1، 2014م.
6. بن يحيى أحمد: الطريقة الشيخية وعلاقتها بالمشاركة السياسية، وهران، 2013.
7. بوحفص مالك: ثورة اولاد سيد الشيخ 1864، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004.
8. بوعزيز يحيى: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، عالم المعرفة، ط2، الجزائر، 2004م.
9. بوعزيز يحيى: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دون ط، الجزائر، 1999.
10. بوغلاية سليمان: الشعانبة ومساهماتهم في المقاومة الوطنية -1851-1919، دار النشر متليلي، ط1، 2007م.
11. بوغلاية سليمان: حصار 20 نوفمبر 1960م لقلعة المقاومة ومهد الثوار متليلي، د.ط، 2013م.
12. بيشي محمد عبد الحميد: تتطور الثورة الجزائرية في ناحية غارداية، دار زمرة للتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2013م.
13. توفيق مدني أحمد: كتاب الجزائر: تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها. المطبعة العربية، ط، 1931 م
14. الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
15. حوتية محمد: توات والازواد خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي (دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية)، ج2، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر، 2007م.
16. خليف عبد القادر: الطريقة الشيخية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.

17. زوزو عبد الحميد: ثورة بوعمامة (1881-1908) جانبها العسكري 1881-1883م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغبة، ج1، الجزائر، 2010م.
18. السعيد ميديان: النشاط التنصيري للكردينال لافيغيري في الجزائر، 1867-1892م، الجزائر، ط1، دت.
19. عامري أحمد: توات في مشروع التوسع الفرنسي في المغرب من حوالي 1850 إلى 1902 م (مساهمة في محاولة الكشف عن جذور المشروع وأبعاده وعلاقته بمشروع السودان الغربي)، منشورات كليات الأدب والعلوم الإنسانية، فاس، ط1، 1988.
20. عبد الحميد بن وهبة: الحركة الوطنية والثورة التحريرية بناحية غرداية، ج1، دار صبحي، غرداية-الجزائر.
21. عميراي حميدة: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، الجزائر، 2009.
22. قنان جمال: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
23. محمد أعيف: توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، مطبعة أبا رراق للطباعة والنشر، الرباط- المملكة المغربية، ط1، 2014م.
24. معمر محمد بن: البوبكرين الصديقون والبوشيوخ والسماحيون جذور واغصان، مطابع الرباط، 2012م.
25. مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.
26. مياسى إبراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، 1837-1934م، دار هومة، الجزائر، 2009م.
27. مياسى إبراهيم: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
28. يوسف بن بكير الحاج: تاريخ بني ميزاب، دراسة إجتماعية واقتصادية وسياسية، الطبعة العربية، نهج طالب أحمد، غرداية، 1992.

4-المراجع بالأجنبية

- 01-A-Couneille: les Chaamba leur nomadisme.Edition du c.n.r.s ,Paris 1968.
- 02-Bessi res Albert: **Sonis 1825-1887, Beauchesne** , Editeur, Paris 1946.
- 03-D'Armagnac: **le Mzab et les pays Chaamba**, Bracoonnier Editions, Alger, 1934. De Card E. Rouard.
- 04-Decraene Philipe :**Grands Sahariens** ,Deno l Editions ,Paris 1994 .
- 05-Derrecagaisc : **Le Generale de division comt de martim prey**, librairie chapelate rene, paris, 1913.
- 06-Passager Paul Fran ois Michel,: **Metlili Des Chaamba (Sahara Algeria)** ,Paris ,1876.
- 07-REGNIER Yves, **Le Chaamba sous le R gine Fran ais**, les  ditions Domat Montchrestien, paris, 1933.
- 08-Reney Alain : **Le Said Otba De N'giussa – Histoire et Etat Actuel De Leur Nimadisme – c'harmattan – Paris – 1983.**
- 09-Rey- R. Capot- : **Le Sahara fran ais, Presses Universitaires de France**, Paris 1953.

4-المقالات والمجلات بالعربية

- 01- بن معمر محمد: الشريف بوشوشة زعيم ثورة 1871م في صحراء الجزائر الشرقية، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، العدد 01، 1423هـ / 2002م.
- 02- بن معمر محمد: الشريف بوشوشة زعيم ثورة 1871م في صحراء الجزائر الشرقية، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، العدد 01، 1423هـ / 2002م.
- 03- بوعزيز يحي: أضواء على حركة الشريف بوشوشة، مجلة أول نوفمبر، مطبعة هومة، العدد 161، الجزائر، 1999.

- 04- بوعزيز يحي: اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار ومن خلال ما كتبوه، مجلة الأصالة، العدد 72، 1979م.
- 05- بوعزيز يحي: ثورة الشريف محمد بن عبد الله 1846م - 1895م، الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للإحتلال الفرنسي بالجنوب - الأغواط 23، 24، 25 ماي 1998م، جمعية أول نوفمبر 1954م لتخليد وحماية مآثر ثورة التحرير الوطني.
- 06- خليفني عبد القادر: استمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة من المغرب الأقصى، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع15، دار الهدى، الجزائر، 2004م.
- 07- زوزو عبد الحميد: الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي، سدراته بمناسبة انعقاد الملتقى 11 للفكر الإسلامي، مجلة الأصالة، ع 41.
- 08- سرقمة عاشور: الطريقة الشيخية بمنطقة متليلي الشعانية، واقعها وأهم أعلامها، محاضرة في الملتقى الوطني حول القيم الروحية والرؤية الوطنية في الطريقة الشيخية، تنظيم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الأبيض سيد الشيخ، البيض-الجزائر، 26-27 سبتمبر 2011.
- 09- سعود دحدي : ثورة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية، مجلة الباحث، جامعة الوادي، الجزائر، ع 1 2011، ص 111
- 10- شافو رضوان: التوسع الفرنسي في الجزائر "منطقة وادي ريغ على خط الاجداد"، محاضرات وشهادات حية أقيمت ضمن فعاليات المتحف الجهوي للمجاهد ببسكرة وملحقاته خلال 2011م، سلسلة كتب تصدر عن المتحف الجهوي للمجاهد العقيد محمد شعباني، بسكرة.
- 11- الغربي الغالي: ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مجلة الرؤية، ع1، جانفي وفيفري، 1996م.
- 12- مجموعة من المؤلفين: أولاد سيد الشيخ ومقاومتهم لاحتلال، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، البيض، 1996م.
- 13- محمد الساسي العوامر إبراهيم: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، منشورات ثالثة، الأبيار-الجزائر، 2007.

- 14- محمد سيد أشرف صالح: المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العهد التركي، منشورات الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، مجلة أمارا باك، مج4، العدد 7، (النرويج 2013).
- 15- مريوش أحمد: التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري ورد فعل سكان الهقار، مجلة المصادر، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، عدد 11، 2005م.
- 16- ملتقى الشاعر "بلخضر قدور بيتور" تحت عنوان "التجربة الشعرية عند الشاعر بلخضر قدور بيتور": الموضوعات وأدوات التشكيل الفني، 12-12-2015م- مخبر التراث بجامعة غرداية.
- 17- مياي إبراهيم: توسع الاستعماري في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، مطبعة روية ANEP، الحرائر، 1996.
- 18- مياي إبراهيم: مقاومة الشيخ بوعمامة للاحتلال الفرنسي في الجزائر، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد47، بغداد1993.
- 19- هجي حسن (أستاذ بجامعة وهران): مقاومة الشعانبة في تاريخ الوحدة الوطنية الجزائرية، جريدة الجمهورية الأسبوعية، العدد190، من 02 إلى 08 ديسمبر 1992م.
- 20- الواعي محمود: ثورة أولاد سيد الشيخ والقبائل المؤيدة لها، مجلة الجيش، العدد 403، مديرية الاتصال والإعلام والتوجيه، الجزائر 1997.

5-المقالات الأجنبية :

- 01- Maurice Baude: **Grace Pour Mokrani**, Le Figaro, 39^é Année, 3^é Série, N° 204,23 Juillet 1893.
- 02-fereaud Charles ;**Notes Pour servir a l’histoire d’Ouargla**, RAN :64 /1923.
- 03- Hallencourt Charles :**La croix et lepee vie clustree de général de sonis ,Paillart Imprimeur** .Editeur,Abbeville 1893
- 04-Mangin- E : **Notes sur l’histoire De La Ghouat** – In – R – A – V38 – 1894.
- 05-Mangin- E.: **Not sur L'Histoire de Laghouat**/In/ R.A.V39,1895.
- 06-Mangin-E- :**Notes Sur L Histoire de la ghouat**/In/R.A ,V38,1894.
- 07-Le Nouveau Progrès De L’Algérie : **Le Capitaine Ben-Driss**, Première Année, N° 15, 6 Septembre 1890.

- 08-Passager P : **Metlili des Chaamba: Sahara algérois** : étude historique, géographique et médicale , in archives de Institut Pasteur d'Algérie, T :XXXV, N°4, décembre 1958.
- 09-P -Vellard: **Le Sahara Mission et Histoire**, Manus., CCDS - Ghardaïa, Cote: 0007000144,f72bis
13. Couneille : les Chaamba leur nomadisme.Edition du c.n.r.s ,Paris 1968.
- 14.feraud Charles – **Notes Historiques sur la province de Constantine** – revue Africain – N31 – 1986.
- 15.Gouvernement Générale de l’algérie : **situation politique de l’algérie au 10 septembre 1881**, ANOM 18 MI 91
- 16.Cambon Gules :**confidentielles** ,Rapport a Mr LE Ministre des affaires étrangers ,N2057 ,Alger 21-08-1896 ANOM F801695-F31.
- 10– Le Radical : **Un Echec Du Souf**, N° 423, 4ème Année, 4 Avril 1874.
- 17.Graulle -E : **Insurrection de Bou-Amama (avril 1881)**, Henri. Charles-La Vauzelle Éditeur militaire, Paris.
- 11-Lagadee- Eng : **l’affaire du .touat, in,ahhbar**, 30-09-1894
- 12-Feraud .Ch: **Les Ben- Djellab Sultans de Tougourt**, In, R.A, V31, 1887.

6-الرسائل الجامعية

- 01- حباش فاطمة : **المكاتب العربية ودورها في المد الإستعماري بالغرب الح ازثري 1844م - 1870م تيارت جيرفيل-البيض نموذجاً**, أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013م- 2014م .
- 02- بامون آمنة: **دراسة تقنية وتحليلية لقصر متليلي الشعانية**. ماجستير علم الآثار الجزائر 1992
- 03- تومي حدة: **المنهج التربوي للعلامة سيدي الشيخ**, رسالة لنيل شهادة الماجستير (غير منشورة)، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، الجزائر، 2013.

- 04- حباش فاطمة: سي الاعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ 1820-1896، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2004-2005 .
- 05- ذكار أحمد: حاضرة وجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي من سنة 1591م إلى 1883م، رسالة لنيل شهادة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ جامعة العقيد أحمد درابا، أدرار، 2009-2010م.
- 06- شافو رضوان: مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاحتلال الفرنسي 1852-1875م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، تحت إشراف د/أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، 2006-2007م .

7-المعاجم والموسوعات بالعربية

- 01- بن منصور عبد الوهاب: أعلام المغرب العربي، المملكة المغربية، ج2، المطبعة الملكية، المغرب، 1998م.
- 02- الطيب محمد سليمان: موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، ج1. ط2، 1998م/1418هـ،
- 03- عبد الفتاح عبد الكافي إسماعيل: موسوعة الدول والبلدان الجغرافية والسياسية، الجزائر، 2005م.
- 04- معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء محيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة سلا المغربية، المغرب، 1992م.

8-الموسوعات بالأجنبية :

01-Narcisse Faucom : **Le Livre D'Or de L'Algérie 1830 1839**, T1
Paris 1889.

9-مواقع الانترنت :

1. www.cheikhiyya.com.

2. www.delcampe.net

3. www.earth.google.com.

4. www.gallica.bnf.fr

5. www.persee.fr

102	إبراهيم بن بوهون
10, 35, 184	ابن خلدون
59	ابن قانة
.....	ابن ناصر بن شهرة
.....	أبو القاسم سعد الله
62	أبو حفص عمر بن الحاج
34, 112	أحمد بن أحمد الشلقي
91	أحمد بن يوسف لملياني الراشدي
62	أحمد عزت باشا
43	ادوارد فوجيل
48	ادولف دوبونتيل
111	أرنودو
10, 19, 48	إسماعيل العرب
55	الأخوات البيض
23, 183	الأغواطي
.....	الأمير عبد القادر
.....	في أغلب الصفحات

الجنرال بيجو	61
الجنرال فرجمول	100
الجنرال يوسف	66, 67
الحاج بن يحي	19
الحاج بوبكر	54
الحاج بوخفص	19, 20, 89, 103
الرائد دي بارايل	69
الرائد روز	84
الرائد نيكو	68
الروقي	131, 132
السيدة الزهرة	62
الشريف بن عبد الله	في أغلب الصفحات
الشيخ عثمان	44, 59
الشيخ عمران	21
الطوارق	37
العقيد أرماندو	72
العقيد اينوسنتي	124

25	العیاشی
54	ألفرد بولی
75, 78.....	القائد جعفر
36	القطب طفیش
80	الکبلوتی
123	الملازم وینروتتر
107	النقیب ازنارد
108	النقیب دوران
38	آمینو کال
82	أولاد الساسی
18, 19.....	أولاد بلقاسم
18	أولاد زید
18, 144.....	أولاد سیدی الحاج
18, 19, 151	أولاد عائشة
19,30,105	أولاد فرج
18	أولاد معمر
53	أولیف

ايڤ رونية.....	27, 31
ايموها.....	37
برانجه.....	45
بركس.....	57
برنار.....	46
بروسلار.....	46
بني ثور.....	20, 64, 77, 103
بني جلاب.....	20, 70
بني ميزاب.....	55, 44
بوبريط.....	106, 107, 110
بوحمار الدرقاوي.....	46
بوروبة.....	27, 29, 33
بوسعيد.....	20, 21, 150
بوشوشة.....	في أغلب الصفحات
بوعمامة.....	في أغلب الصفحات
بوقولت.....	11, 14
بولخراس بن قانة.....	83

46	بومرزاق
43	بونمان
48	بويان
11, 13, 22	بيساجي
135	بيسوال
67	بيليسي
.....	تروملي
.....	في أغلب الصفحات
10, 18.....	ثامر بن تولال
119	جريفيل
33	جماعة العشرة
45	جيهارد رولفس
11	دارميناك
47	دافلامون
100	دو سونيس
43	دو كولومب
34	دو لوفيردو
48	دوبونتيل

34, 109	دوسونيس
84	دولاكروا
	دوماس
	في أغلب الصفحات
57	ديشفري
18	ذياب بن غانم
12	ذياب بن مالك
59, 67, 68	راندون
51	رودير
45	روش
53	روشي
48, 49	رولان
42, 197	روني كايي
39	رينيه
	سليمان بن حمزة
	في أغلب الصفحات
34, 108	سليمان بن مسعود
	سي الاعلى
	في أغلب الصفحات
31	سي الحاج محمد

سي الدين	54, 109
سي الزبير	82, 83, 84, 108
سي النعيمي	في أغلب الصفحات
سي حمزة	في أغلب الصفحات
سي قدور بن حمزة	107, 108, 129, 177
سي لعلا	54, 86, 111, 113
شار موتان	53
شارل دوفوكو	56, 197
شارل فيرو	102
شارموتان	54
شوازي	49
طارق بن زياد	37
ظريف	10
عبد القادر بن محمد	29
عبد الله بن خالد	62
عدون بن با سعيد	78, 81
علاهم	19

علي باي	70, 72, 80, 81
عوف بن بثة	12
غيار	46
فانسوا رودير	50
فرحات بن سعيد	59, 70
فلاترس	45, 46, 49, 197
فيرديناند دوليس	50
فيليب ميموري	54
قدور بن عدة	124
كاباني	48, 58
كاردينال لافيحري	53
كولونيو	44
كولينون دانسي	123
كويين	37, 39
لابيرين	39, 142
لوساتولييه	46
لويس رين	86, 92, 184

69	مارميه
57	ماريوس غارسين
11, 18, 30, 110	ماضي
31	ماك كارثي
61	محمد بن علي السنوسي
21	محمد بن يونس
60	محمد بوشوشة
54	محمد وقويدر بن سانية
79	محي الدين
112	معمر بن يعيش
45	موسون
44	مينكول ايخوخن
43, 197	هنري دوفري
51	هوكتافس
50	هيروودوت
28	هيليون
86	واين برينر

44 ورمان

59 وعكاز

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

إهداء

شكر وتقدير

قائمة المختصرات

1..... مقدمة

الفصل الأول: الشعابة خلال القرن 19م

9..... تمهيد:

10..... 01: التركيبة الديموغرافية للسكان

10..... أولاً : أصل الشعابة .

11..... ثانيا : معنى كلمة الشعابة .

12..... ثالثا : تركيبة مجتمع الشعابة وتطورها .

20..... 02: جغرافية الشعابة

20..... أولاً: الموقع الجغرافي

21..... ثانياً: الوسط الطبيعي والمناخي.

24..... 03: الأوضاع الاقتصادية

24..... أولاً: الرعي .

25..... ثانيا :الزراعة

26..... ثالثا: التجارة والصناعة .

28..... 04: الأوضاع الاجتماعية .

28..... أولاً: السلطة ونظام الحكم

29..... ثانيا : كيفية اختيار زعيم القبيلة:

30..... ثالثا: الشعابة وعلاقتهم بالقبائل المجاورة

الفصل الثاني: المخططات الفرنسية للتوسع في الجنوب

36..... تمهيد:

37..... 01: تقارير الرحالة الأوروبيين عن الصحراء الجزائرية

أولا :البعثات الفرنسية لاستكشاف الصحراء الجزائرية :	37
1-بعثة روني كايي :	38
2-بعثت هنري دوفري:	39
3-بعثة جيرهارد رولفس (Gerhardt Rohlfs)	40
4-بعثة الرحالة فلاترس (Flatters)	41
ثانيا :المشاريع الفرنسية لاحتلال الجنوب الجزائري	42
1-مشروع السكة الحديدية :	42
2-مشروع البحر الداخلي الصحراوي:	44
ثالثا :المبشرون ودورهم التوسعي في الجنوب	45
1-حملة الكاردينال لافيغيري :	46
2-حملة الكردينال شارل دوفوكو:	48
02 :سياسة التوسع في المنطقة .	49
1-القوافل التجارية :	49
2- استمالة أعيان المنطقة :	52
الفصل الثالث: مساهمة الشعابنة في مقاومة شريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة	
تمهيد:	55
01: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله	56
أولا: أصل وحياة الشريف محمد بن عبد الله	56
ثانيا: تحالف الشعابنة مع الشريف محمد بن عبد الله	57
ثالثا: جهاد الشعابنة مع الشريف محمد بن عبد الله	60
رابعا: أهم معارك الشعابنة ضد الفرنسيين:	62
1. معركة 2 ديسمبر 1852م في الأغواط:	63
2. معركة المقارين (قرب تقرت) 28 نوفمبر 1854م:	64
خامسًا: تراجع مقاومة الشعابنة مع الشريف محمد بن عبد الله:	66
02 :مقاومة الشريف بوشوشة	68

68	أولاً: الشريف بوشوشة نشأته وبداية حركته:
70	ثانياً: مراحل مقاومة الشعانية مع الشريف بوشوشة:
70	1-مرحلة إعداد بوشوشة للمقاومة:
71	2-مرحلة الجهاد (المقاومة) 1870م - 1872م:
76	3-مرحلة التراجع: (1872م - 1874م)
79	ثالثاً: أهم المعارك التي قادها بوشوشة مع الشعانية:
	الفصل الرابع: دور الشعانية في ثورة أولاد سيدي الشيخ (1880-1964م)
83	تمهيد:
84	01: أولاد سيدي الشيخ
84	أولاً: أصل أولاد سيد الشيخ
87	ثانياً: الطريقة الشيخية :
90	ثالثاً: دور الزاوية الشيخية وعلاقة الشعانية بها.
92	02: أسباب مقاومة أولاد سيدي الشيخ وتحضير الشعانية لها
92	أولاً: أوضاع قبيلة أولاد سيدي الشيخ قبل انطلاق الثورة:
95	ثانياً: أسباب ثورة أولاد سيد الشيخ.
99	ثالثاً: تحضيرات أبناء الشعانية للمقاوم.
99	03: مساهمة أبناء الشعانية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ
99	أولاً: مقاومة أولاد سيدي الشيخ ودور الشعانية فيها
106	ثانياً: رد فعل الاستعمار على الشعانية ونتائجها.
	الفصل الخامس: الشعانية ودورهم في مساندة الشيخ بوعمامة (1881-1900)
112	تمهيد:
113	01: مقاومة الشيخ بوعمامة
113	أولاً: أصل الشيخ بوعمامة :
115	ثانياً: أسباب إندلاع ثورة بوعمامة.

118	 ثانياً: مراحل ثورة الشيخ بوعمامة
129	02: الشعابنة ودورهم في مقاومة الشيخ بوعمامة
129	أولاً: أهم المساهمات التي قدمها الشعابنة لثورة بوعمامة:
130	ثانياً: رد فعل الشعابنة على القوات الاستعمارية.
130	1-الهجومات على حصن مكماهون :
132	2- مباغنة البعثات الاستكشافية والعلمية والتنكيل بها:
133	03: مواجهة فرنسا للشعابنة
133	أولاً: رد فعل السلطات الاستعمارية على الشعابنة
133	1-حملة العقيد بيلان وخلية متليلي "عام الخلية":
133	2-إلحاق ميزاب بفرنسا: (معاهدة الحماية):
134	ثانياً: النتائج المترتبة على الشعابنة
134	1-الآثار السياسية:
135	2-الآثار الاقتصادية:
135	3-الآثار الاجتماعية:
136	04: نهاية الشيخ بوعمامة ومصير الشعابنة بعده:
136	أولاً: وفاته:
137	ثانياً: مصير الشعابنة بعد وفاة الشيخ بوعمامة:
138	خلاصة الفصل:
140	خاتمة:
142	الملاحق
201	قائمة المصادر المراجع
216	فهرس الأعلام
225	فهرس المحتويات
	ملخص.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز جوانب من مساهمة الشعانبة في الثورات الشعبية بالجنوب الجزائري خلال القرن التاسع عشر ميلادي، فقد انخرط الشعانبة عموما وشعانبة بورزقة خصوصا في مقاومة الاحتلال الفرنسي قبل أن تصل قواته إلى دواخل البلاد، وذلك من خلال مشاركتهم في مقاومة الأمير عبد القادر، ونصرة الثائر بوحماره الدرقاوي، والانخراط بقوة في جيش الشريف محمد بن عبد الله.

إلى جانب ذلك، شارك الشعانبة في ثورة أولاد سيدي الشيخ وثورة بوشوشة، وأخيرا ثورة الشيخ بوعمامة الذي تواصل معهم قبل إعلان ثورته، ولم تقتصر مشاركتهم معهم بشكل متطوعين وفقط، بل قاموا بتقديم الدعم المادي كدفع الاشتراكات والصدقات والهبات ومواد التمويل، ووصلوا معه حتى إلى غاية مغادرته التراب الجزائري باتجاه المغرب الأقصى سنة 1896م.

وخلصنا إلى القول في الأخير؛ بأن مساهمة الشعانبة في الثورات الشعبية بالجنوب الجزائري، عملت على إعاقة تقدم القوات الاحتلال الفرنسي للتوغل في أعماق الصحراء الجزائرية لمدة تقارب نصف قرن من الزمان.

الكلمات الدالة: الشعانبة؛ الثورات الشعبية؛ الجنوب الجزائري؛ الصحراء الجزائرية؛ الاحتلال الفرنسي.

Abstract:

This research paper aims to show the aspects of CHaanbas contribution to the popular revolutions in southern Algeria during the nineteenth century.

The Shaabna in general, and CHaanba in général, and CHaanba of Barzka in Mitlili, in particular, were involved in resisting the French occupation before its further reach the country through their participation in the resistance of the Emir Abdelkader and supporting the revolutionary Si Mousa Bouhmara Al-Darkaoui and the strong engagement in the army of Sherif Mouhammed Ben Abdullah. Besides, CHaanba participated in the revolution of Ouled Sidi Sheikh, the revolution of Sherif Bouchoucha, and finally the revolution of Sheikh Bouamama who communicated with them before announcing his revolution participated as volunteers, but also they provided material support, such as payment of contribution Sadaka, gifts and supplies, and they remained with him until he left Algerian soil towards Morocco, in 1896.

We concluded by saying in the CHaanba to the popular revolution in southern Algeria worked to unpede the French occupation forces advance into the depths of the Algerian desert for a period of nearly half a century.

Keywords: CHaanba ; popular revolutions ; the southern Algeria
Algerian desert ; French occupation